نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب
٢٠

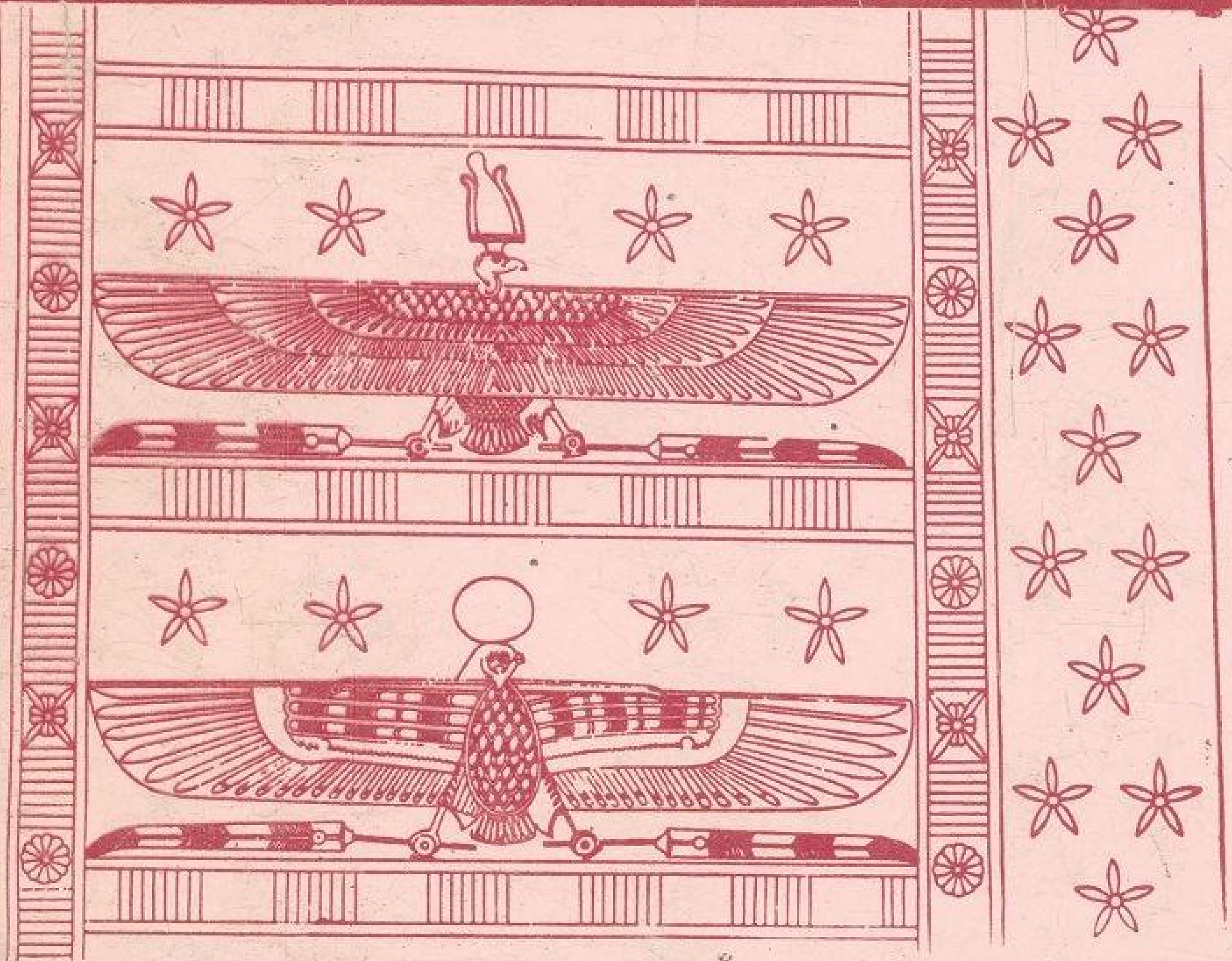
واحات مصر

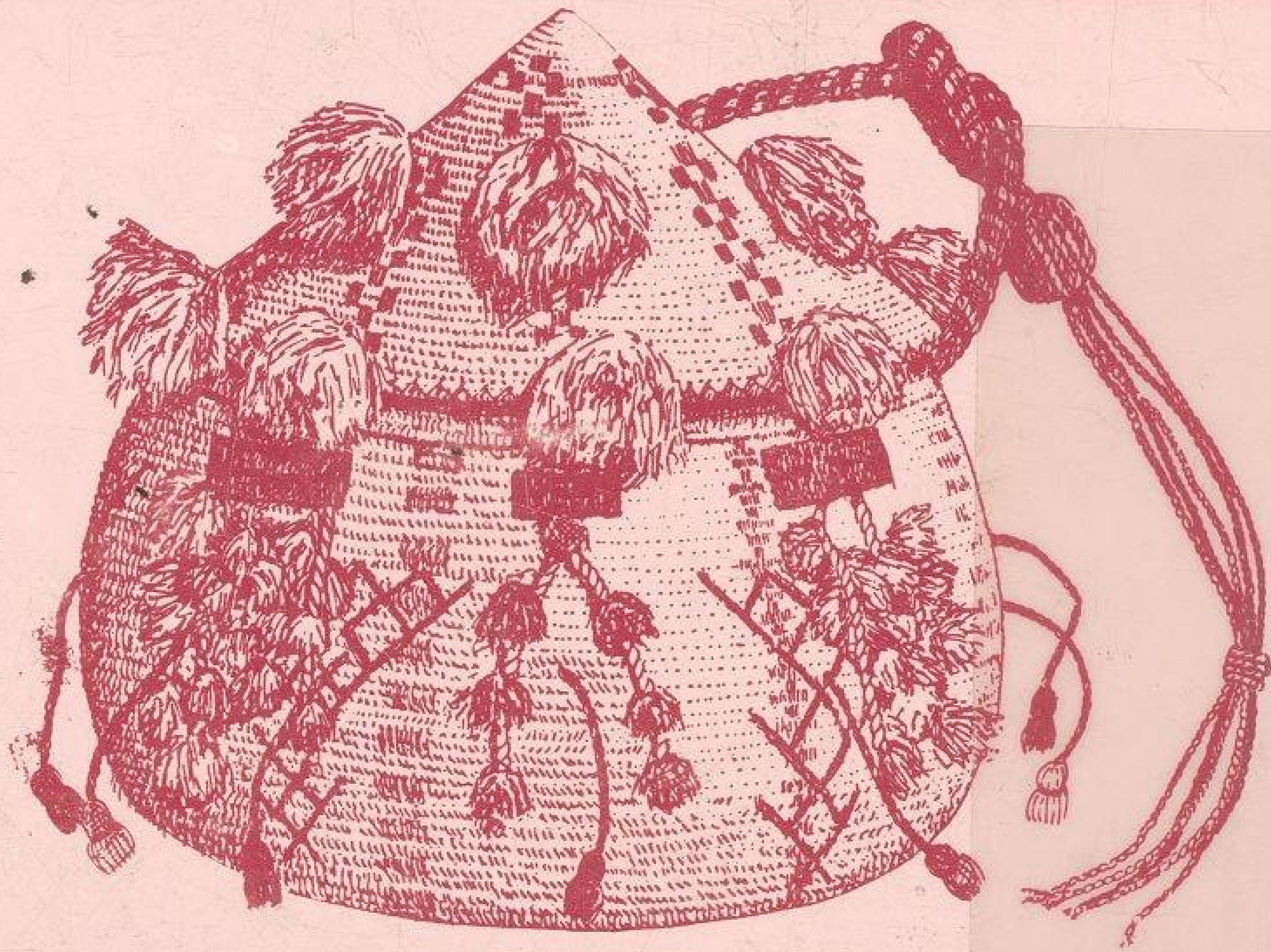
المجلد الأول

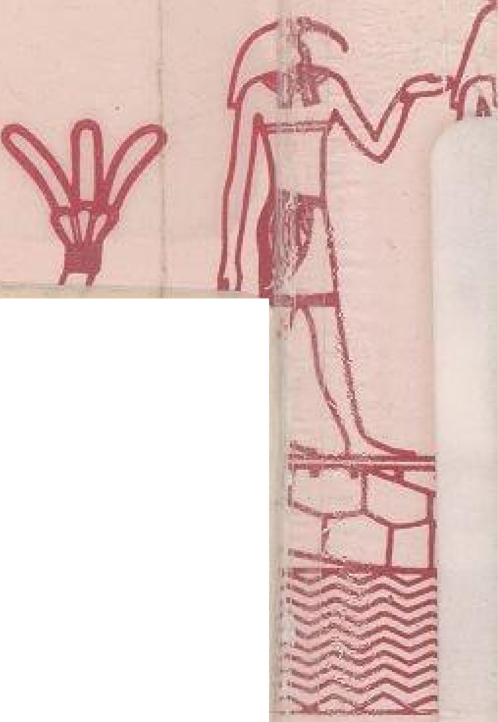
واحة سيوة

تأليف
د. أحمد فخرى

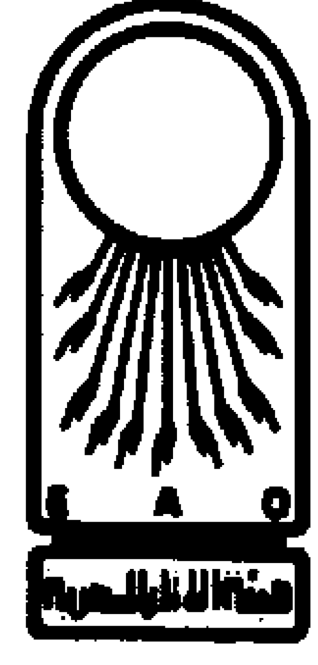
ترجمة
د. جاب الله على جاب الله







مراجعة
د. محمد جمال الدين مختار



وزارة الثقافة
هيئة الآثار المصرية

تصميم وتنفيذ : آمال صفــوت الألفــى

مطابع هيئة الآثار المصرية

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية
مشروع المائة كتاب
٢٠

واحات مصر

المجلد الأول

واحة سيوة

تأليف
د. أحمد فخرى

ترجمة
د. جاب الله على جاب الله

مراجعة
د. محمد جمال الدين مختار

تمهيـــد

منذ اثنى عشرة عاما ، وبالتحديد فى عام ١٩٦١ ، وضعت الخطوط الرئيسية لعمل طموح يقع فى سبع مجلدات ويتناول آثار وتاريخ وعادات سكان الصحارى المصرية ، فكانت الخطة الأصلية تشتمل على : (١) سيناء ، (٢) الصحراء الشرقية ، (٣) مريوط ، (٤) وادى النطرون ، (٥) واحة سيوة ، (٦) الواحات البحرية والفرافرة ، (٧) الوادى الجديد ، أى الواحات الخارجة والداخلة .

وقد انهيت جزءا كبيرا من مجلدى سيوة ومريوط بحلول عام ١٩٦٤ إلا اننى سرعان ما ادركت أن تنفيذ مثل هذه الخطة يحتاج إلى وقت أطول مما توقعت وكان انشغالى بأعمال أخرى وعدم وجودى فى معظم الوقت فيما بين ١٩٦٤ ، ١٩٦٨ يمثل احدى العقبات الرئيسية فى تكريس جهدى للانتهاء من هذا العمل ، ولذلك وجدت واجبا على تعديل الخطة ، على الأقل فى الوقت الحاضر ، وان اقصرها على الواحات الخمس فى صحراء مصر الغربية وبعبارة أخرى رأيت ان اقصرها على المجلدات الثلاثة الأخيرة (الخامس والسادس والسابع) تحت عنوان واحات مصر .

ومنذ بداية أبحاثى فى الصحارى من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٧٣ لقيت العون فى معظم رحلاتى من موظفى مصلحة الآثار المصرية وأنى لمدين لهم بالفضل ويسعدنى أن أعبر لهم عن امتنانى .

ولابد لى أن أعبر عن عرفانى بالجميل للمرحوم ايتين دريوتون مدير عام مصلحة

لآثار فى الفترة ما بين ١٩٣٦ و١٩٥٢ فان تشجيعه المستمر وتعاطفه وتفهمه هو الذى جعلنى استمر فى اهتمامى بالبحوث فى الصحراء إلى جانب واجباتى الأخرى فى مصلحة الآثار ، وهو الذى ساعدنى على تخطى كل العقبات التى اعترضتنى لا سيما خلال سنوات الحرب العالمية الصعبة .

ومنذ عام ١٩٦٨ قدم كل من الدكتور جمال مختار وكيل وزارة الثقافة لشئون الآثار (رئيس الهيئة العامة للاثار حاليا : المراجع) والمرحوم الدكتور جمال محرز كل مافى وسعهم لمساعدتى على استئناف واستمرار أبحاثى فى الصحراء ، واننى انتهز هذه الفرصة لأتوجه اليهما بشكرى العميق .

ويسعدنى كذلك أن اذكر بامتنان جميل كلاً من المعهد الالمانى للآثار (بالقاهرة) والدكتور اندريه اونجر (من مدينة مكسيكو) ومطبعة جامعة شيكاغو وذلك لتشجيعهم اياى وللعون المالى الذى قدموه لى ، اذ بدون مساعدتهم ما كان بوسعى أن أقوم بالكثير من رحلاتى فى الصحراء وما كان بوسعى أن أعد الكثير من الرسوم والصور الواردة فى هذه المجلدات الثلاثة .

ويهمنى أن اتوجه بالشكر كذلك إلى أعضاء مطبعة الجامعة الأمريكية بالقاهرة لما قدموه من عون غير محدود وانى لمدين بالفضل ، على وجه الخصوص للدكتور أحمد الصاوى المدير المساعد لجهوده المثمرة ولارائه المفيدة والتى كانت دائما مصدر عون لى . وقد قام كل من السيدة مارسون جونز والسيد ماسون روزتر سميث (مدير المطبعة الامريكية بالقاهرة) بالاطلاع على المقدمة والفصلين الأولين فى الكتاب فلهما جزيل شكرى .

أحمد فخرى

القاهرة فى ٨ مارس ١٩٧٣

تقديم

يسعدنى ويشرفى أن يُعهد إلى بمراجعة ترجمة هذا الكتاب القيم الذى ألفه الأستاذ الدكتور أحمد فخرى باللغة الانجليزية سنة ١٩٧٣ والذى سبقته حفائر ودراسات وبحوث استمرت عشرات السنين .

والمرحوم الدكتور أحمد فخرى وهو من الرعيل الثالث من الأثريين المصريين بعد رعيل أحمد باشا كمال ثم رعيل الدكتور سليم حسن ، قد استطاع أن يفرض شخصيته المصرية فى مجال التنقيب عن الآثار الفرعونية ودراستها والتأليف عنها ، خاصة فيما يتعلق بصحراوات مصر وواحاتها الخضراء .

وقد شغل الدكتور أحمد فخرى مناصب متعددة ومتنوعة فى مصلحة الآثار فى فترة امتدت طوال خمسة وعشرين عاما من سنة ١٩٢٨ حتى سنة ١٩٥٢ حتى اختير لشغل درجة كرسى تاريخ مصر والشرق القديم بكلية الآداب بجامعة القاهرة . وظل الدكتور فخرى شاغلا لذلك المنصب حتى بلوغه السن القانونية للمعاش فى ١٩٦٥/٥/٢١ فتعاقدت معه مصلحة الآثار ليشرف على مشروعاتها الجديدة للكشف عن آثار الصحراوات المصرية حتى وافته المنية فى ١٥ مايو سنة ١٩٧٣ .

وقد أشرف سيادته على العديد من الحفائر والأبحاث فى سيوة والواحات الخارجة والداخلة والبحرية والفرافرة وسيناء وصقاره وكذا ببلاد اليمن ، كما نشر العديد من الكتب والأبحاث والمقالات فى شتى النواحى والموضوعات الأثرية . ويعد كتابه هذا عن سيوة أروع وأمتع وأشمل ما كتب عن تلك الواحة .

وقد مسح هذا الكتاب واحة سيوة الخضراء التى كانت من أهم مراكز التبؤات فى العالم القديم والتى ذكر المؤرخون الكلاسيكيون أن الاسكندر الأكبر قد زارها وتوج بها ، حتى لقد أضحى اسمها لا يذكر إلا مقرونا باسمه ــ فى سبعة فصول شاملة متتابعة .

لقد خصص المؤلف الفصل الأول لتقديم عرض عام عن واحة سيوة متناولا موقعها وطرق الوصول اليها وحدائقها وعيونها وقبائلها وعائلاتها وبيئتها الطبيعية والبشرية بوجه عام .

أما الفصل الثانى فقد تحدث فيه عن عادات وتقاليد سكانها وما ابتدعوه من فنون شعبية ونواح فلكلورية ، حافظوا عليها عبر العصور .

وتناول الفصلان الثالث والرابع تاريخ سيوة منذ العصور الحجرية وخلال العصور القديمة والوسطى والحديثة حتى وقت نشر الكتاب سنة ١٩٧٣ وقبل وفاته رحمه الله بشهور .

أما الفصول الثلاث الأخيرة من الكتاب فقد خصصها للكتابة عن آثار سيوة العديدة وتراثها الضخم سواء ما كان قائما منه عند زيارة الاسكندر أو ما استحدث بعد تلك الزيارة . وقد عنى عناية خاصة بمعبد اجورمى (معبد الاسكندر أو معبد الوحى) الذى بنى فى عصر الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية واستكمل فى العصرين اليونانى والرومانى ، والذى تصدعت بعض جدرانه ويحتاج الآن إلى العلاج والترميم ثم الصيانة والرعاية .

وقد اهتم الكتاب أيضا بمعبد أبو عبيدة لما له من أهمية خاصة ، وبجبل الموتى (أو قارة المعبرين) التى تضم مئات المقابر الصخرية والتى تتميز بنقوشها الملونة وخاصة مقبرة سى آمون التى تعد بلا شك أجمل مقبرة بين آثار الصحراء الغربية .

وعدد المؤلف أيضا عشرات المواقع الأثرية بين أطلال سيوة وشرقها وغربها كجبل سيوة وجبل الدكرورى وبقارة قصر حسونه ومشتند وبلاد الروم والمعصرة والمراقى وقريشت وأبو شروف وأبو العواف والزيتون وخميسه .

واهتم المؤلف أيضا بالواحات المهجورة ما بين سيوة والواحات البحرية وخاصة قارة أم الصغير التى تقع على مسافة ١٣٠ كيلو متر شمال شرقى واحة سيوة والتى كثيرا ما ذكر اسمها فى المؤلفات العلمية للاعتقاد بأن الاسكندر الأكبر قد مر بها أثناء عودته من سيوة إلى منف .

وانى ليسرنى ان أقدم هذا الكتاب للأثرى الكبير الأستاذ أحمد فخرى ، والذى حرص مترجمه الأستاذ الدكتور جاب الله على جاب الله الأستاذ بكلية الآثار بجامعة القاهرة على توخى الدقة ولأمانته العلمية وكذا بساطة وسلاسة الأسلوب ، املا أن يجد منه القراء الكرام ما قد يفيدهم ويعرفهم ببلدهم وما به من كنوز أثرية وفنية وثقافية وفلكلورية وما يضمه من روائع طبيعية ، وراجيا أيضا أن يسد هذا الكتاب فراغا فى المكتبة العربية .

والله ولى التوفيق

المراجع د. جمال مختار

١٩٩٢/١١/٢٨

مقـــــدمة

الصحارى المصرية الثلاث والواحات الخمس

الصــــــحراء:

لا تقتصر موضوعات هذا الكتاب على اثار الواحات كما يتبادر إلى ذهن القارئ ، وهو فى الوقت ذاته ليس كتاباً عن الدراسات الانثروبولوجية التى تعنى بالانسان وعاداته وتقاليده وما شابه ذلك ، كما أنه ليس كتاباً من كتب الرحلات التى تقصر اهتمامها على أشياء خاصة رآها مؤلف الكتاب أو تجارب مر بها ، بل هو فى الواقع يحوى بين دفتيه الكثير من ذلك كله، وإلى جانبه موضوعات غيرها .

ما أشبه الصحراء بالبحر . ان مجرد سماع اسمها يحمل إلى ذهن الانسان وقلبه هزة خاصة لا يمكن تحديدها تماما ويستولى على نفسه شعور غامض ، ولكن هذه الهزة وذلك الشعور يختلفان من شخص لآخر ولا يمكن أن نتوقع أن يكون لاسم الصحراء رد فعل واحد لدى الناس جميعا .

فالصحراء فى رأى بعض الناس ليست الاقضاء واسعا ، بحر من الرمال لا نهاية له ، ملئ بالأخطار وليس من المستبعد أن يتصور الصحراء وقد انتشرت فيها قوة خفية لا يمكن رؤيتها .

وفى رأى اخرين أن الصحراء ليست الا مسرحا لقصص الغرام التى تمتلئ بها صحف الأدب العربى .

وربما تصورها البعض على أنها موطن الجمل ، سفينة الصحراء ، ذلك الحيوان

الصابر الرزين الذى يعيش مع أصحابه الذين يقتنون الخيام الداكنة اللون . وهناك آخرون اذا سمعوا كلمة الصحراء ، اتجه ذهنهم إلى تاريخ الكنيسة واطالوا التفكير فى اولئك الآباء العظام الذين فروا إلى الصحراء وتحملوا جميع المصاعب والمشاق للاحتفاظ بدينهم وعقيدتهم ، وهناك آخرون أيضا اذا فكروا فى الصحراء أو سمعوا اسمها وثبت إلى أذهانهم صورة ركن ظليل ، عليل النسيم إلى جانب عين ماء جارية فى واحدة من الواحات تحيط بها أشجار النخيل وغيرها من الزراعات ، وربما اشتد بالبعض الخيال فيتصور وجود بعض فتيات جميلات يمرحن ويلعبن وهن فى طريقهن إلى العين ويتصور نفسه وقد أخذ ينظر اليهن وهن يرتدين ملابسهن ذات الألوان الزاهية وقد تحلين بالحلى الفضية ، وقد ملأن جو المكان بضحكاتهن وصخبهن البرئ .

أما اذا كان السامع ممن يشتغلون بالدراسات الأثرية فان الصحراء ـــ فى رأيه ـــ هى المكان الأمثل لأدوات الظران (الصوان) التى يمكن العثور عليها فوق سطح الأرض فى بعض المناطق ، وان كثيرا من مناطقها مازالت تحتفظ حتى اليوم بالمعابد والمقابر وبقايا المدن القديمة ، وبالحصون والأديرة . وأكثر هذه الآثار أصبحت خربة الآن ولكن لم تمتد اليها حتى الان يد البحث العلمى أو يتم الكشف عنها . ولكن خيال الأثرى لا يقف عند ذلك الحد بل يجد نفسه مستمرا فى تفكيره وفى أحلامه فهو يعرف أن الصحراء ميدان مثمر عظيم للأبحاث الأثرية فى المستقبل ، ولكن كيف يتسنى له أن يقدم على مثل هذا العمل ، وان يكون لعمله نتيجة مثمرة دون أن يكون هناك من يشجع هذا العمل ويعول حملة كشف أثرى منظمة ، وتشمل الأعضاء اللازمين للعمل ووسائل الانتقال والاقامة خلال أسابيع أو شهور العمل فى الصحراء . ان سؤالا واحدا يلح عليه دائما وهذا هو : « من ذا الذى سيقوم بتمويل ورعاية مثل هذا العمل ؟ » لانه يلوح أن أكثر الناس فى الوقت الذى نعيش فيه الان يوجهون اهتمامهم إلى نواح ودراسات أخرى ، وموظفو الحكومة بصفة خاصة لا يقبلون ، أو لا تقبل غالبيتهم ، على العمل فى الصحراء واذا عملوا هناك فانهم لا يفعلون إلا ما تفرضه عليهم ضرورة العمل ، وكثيرا ما يجدون أنفسهم بعد فترة من الزمن يقضون وقت

فراغهم يفكرون ويطيلون التفكير فى حياة المدينة وما فيها من بهجة وتسلية ، وما يصوره لهم خيالهم من الراحة ودواعى الترفيه فى بيوتهم هناك . ان كلمة « الصحراء » تثير أعصابهم وتحملهم على الزمجرة والغضب فى بعض الأحيان . ولكن بالرغم من ذلك فيجب أن نعرف أنه ليس من العدل أن نقسو عليهم ، ان من يعيش فى الصحراء فترة طويلة يجد نفسه واحدا من اثنين اما كارها للصحراء أو محبا لها لان ذلك راجع إلى استعداده الذهنى وما يحس به نحوها ، والظروف التى تحيط به أثناء اقامته فيها .

وانى أعترف بصراحة تامة أنى أحب الصحراء وأحب أهلها وأحب كل ما يتصل بها . ولست أنكر أنى من المشتغلين بالآثار وان اهتمامى الرئيسى فى البحث يتركز فى التاريخ القديم وفى الآثار ، كلما طرقت اذناى كلمة « الواحات » أو الصحراء فان صورا كثيرة تطوف فى مخيلتى وهى كلها صور أرى الآثار فى خلفيتها ، ولكن المناظر التى فى مقدمتها تختلف بين صورة وأخرى .

وكثيرا ما اتذكر نفسى وأنا أقطع بعض أجزاء الصحراء الشرقية أو الغربية فى سيارة قديمة متهالكة تتعطل من حين لاخر ، أو تغوص عجلاتها فى الرمال وانزل للمساعدة فى دفعها للخلاص مما نحن فيه . وفى أحيان أخرى تعود بى ذاكراتى إلى ما تعرضت له أكثر من مرة من عطش شديد بسبب انتهاء ما معنا من ماء ، إلى الحد الذى كاد يوردنى مورد الهلاك ، ولكن مثل هذه الذكريات لا تلبث أن تختفى بسرعة وبخاصة عندما يطوف بخيالى بعض ما حدث لى من أمور سارة محببة إلى النفس وما أكثرها . وعلى أى حال فكل من ذكريات المتاعب والمشقة وذكريات اللحظات الملأى بالبهجة والسرة لا تستمر فى تفكيرى الا لحظات عابرة وسرعان ما تختفى كأكثر أحلام اليقظة ليأخذ مكانها حقائق أخرى لا يمكن أن أمر عليها مرا سريعا أو أن تنال منها الأيام ، وذلك عندما أعود بذاكرتى إلى ما أحرزته من نجاح فى عملى ، والأوقات التى استمتعت بها فى تلك الصحراء الساحرة ، وذكرياتى عمن قابلتهم من سكانها خلال تلك الأعوام الطويلة منذ بدء عملى فيها . لم تكن حياتى أثناء عملى فى الصحراء حياة سهلة أو هينة ، وقد قمت بكثير من رحلاتى فوق ظهور الجمال وعشت اما فى

الخيام أو فى منازل الواحة وفى بعض الأحيان كنت أقيم فى احدى الاستراحات الحكومية ، ولكن مهما تعددت أساليب السفر أو أماكن الاقامة فان جمال الصحراء يكسن فى بساطتها وفى بعدها عن وسائل الراحة والرفاهية الحديثة . لقد أحببت الصحراء كما هى واستمتعت بما اصطلح الناس على تسميته بمشاق الحياة فى الصحراء ، ففى حقيقة الأمر لم يكن هناك شئ صعب أو فوق حد الاحتمال ، بل كانت تجارب لطيفة ليختبر الانسان نفسه ليرى ما اذا كان فى استطاعته أن يعمل ما يعمله سكان الصحراء من رجال ونساء ، أم انه أقل منهم جلدا وأضعف منهم احتمالا .

رحـــلتى الأولـــــى :

كانت رحلتى الأولى إلى داخل الصحراء لدراسة ما فيها من آثار فى شهر ديسمبر ١٩٣٣ ، وكنت اذ ذاك مفتشا لآثار الأقصر . سافرت فى تلك الرحلة بسيارة من الأقصر إلى وادى دغيج فى الصحراء الشرقية وعدت من وادى دغيج إلى ادفو مارا بمعبد الكنايس الشهير والذى يعرف أحيانا باسم معبد الرديسية ، ولكن اهتمامى الجاد والمتصل بكل ما فى الواحات من آثار انما يرجع إلى عام ١٩٣٧ عندما أصبحت كبيرا لمفتشى الآثار فى مناطق مصر الوسطى .

وقبل قيامى بأولى رحلاتى إلى الواحات الخارجة والداخلة فى أكتوبر من ذلك العام قضيت بضعة شهور فى جمع كل ما تيسر لى من معلومات عن الآثار التى فى هاتين الواحتين ، وكانت هذه الرحلة فى الواقع بداية صداقة طويلة مثمرة طالت إلى أكثر من خمسة وثلاثين عاما ، استطيع أن أصفها بانها كانت ومازالت صداقة بل وحبا متبادلا بينى وبين الصحراء ومن يعيش فيها .

واذا كنت قد قلت « رحلتى الأولى إلى الصحراء » فلست أعنى المرة الأولى التى وطئت فيها قدماى رمال الصحراء أو توغلت بضعة كيلو مترات فى فيافيها ، فإنى فعلت ذلك طيلة أيام حياتى لان مصر بلد تحده الصحراء على الجانبين ، وتقوم أكثر ما تركته حضارة مصر القديمة من مناطق أو مبانى أثرية على حافة الصحراء ، وبعضها يبعد الآن عن الزراعة خمسة أو ستة كيلو مترات .

وفضلا عن ذلك فإنى من أهل الفيوم وهى فى حقيقة الأمر ليست الا واحة تحيط بها الصحراء ، ولى فى كثير من قراها الواقعة على حافة الصحراء أهل كثيرا ما أحببت زيارتهم عندما كنت تلميذا صغيرا فى مدارس الفيوم ، وكنت أميل للخروج مع بعض أقاربى نركب الدواب ، من خيل أو جمال أو حمير للسير بضعة كيلو مترات فى داخل « الحمداية » وهو الاسم الذى يطلقه سكان تلك المناطق على داخل الصحراء .

علمتنى الصحراء منذ اتصالى بها أشياء كثيرة ، علمتنى كيف أحب حياة أهلها واستولت على مشاعرى بجمالها ، وعلمتنى أيضا الكثير عن حياة كسانها من رجال ونساء وألممت بالكثير عن حياة ما فيها من حيوان وطير ونبات وحشرات وطالما استمتعت إلى قصص كثيرة عن حياة البدو ، وكثير منها روايات مبالغ فيها لا تمت إلى الحقيقة بصلة كبيرة . ولم يبق فى ذاكرتى الآن كثير من تفاصيل تلكم الزيارات المبكرة فى تاريخ حياتى ، ولكنى مازلت أذكر بكل وضوح وجلاء الرجل الذى كان أول من عرفت من شفتيه شيئا عن الواحات ، ومازلت اذكر كل قصصه التى كان لها أثر غير قليل فيما بعد فى اقبالى ومثابرتى على محاولة فهم طبيعة الصحراء ، وما فيها من أسرار .

عـــم ســـعيد :

كان عمرى ثمان سنوات عندما رأيت « عم سعيد » لأول مرة فى منزل العائلة بالفيوم . كان « عم سعيد » كهلا مسنا أسود اللون زنجى الملامح اختطفه تجار الرقيق من أهله فى مكان ما فى أفريقيا غندما كان طفلا صغيرا وبيع بعد ذلك فى واحة سيوة حيث ربى ونشأ فيها حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره ، ثم حدث له ، على أثر احدى غرامياته ، ما جعله يهرب من الواحة لينجو بحياته .

وشاءت الظروف أنه عند هروبه من واحة سيوة اصطحب احدى القوافل التى كانت تسير ، بصفة تكاد تكون منتظمة فى ذلك الوقت ، بين سيوة والفيوم ، ووصل مع من كان فى القافلة من البدو إلى وادى النيل .

وكان الرق قد تم الغاؤه فى مصر فوجد نفسه حرا وغير مرتبط بأحد وكعامل حر بقى مع بعض أقاربى أكثر من خمسة عشر عاما يعمل معهم فى الزراعة ولكن فى يوم من الأيام قرر أن يعود إلى واحة سيوة التى كانت مسرحا لأجمل أيام شبابه وشهدت أول حب له. وكان عم سعيد يأتى كل بضع سنوات إلى الفيوم ومعه هدية من البلح ويقضى معنا بضعة أسابيع ضيفا عزيزا ثم يعود بعد ذلك إلى سيوة .

رأيت عم سعيد أول مرة فى عام ١٩١٣ ، كان طاعنا فى السن ، وكانت نساء العائلة تقول انه جاوز التسعين من عمره ، ولكن هذا التقدير كان مبالغا فيه إلى حد كبير ، لانه لم يكن بكل تأكيد قد جاوز السبعين . عندما وقعت عليه عيناى لاح لى شيخا محطما عدت عليه الأيام ، وعندما أخذ يتحدث لم أفهم كل ما كان يخرج من فمه لأنه لم يكن عربيا له لهجة الفيوم ، ولكنه عربى ذو لهجة أخرى ومختلط إلى حد كبير باللغة السيوية وهى غير عربية ، ولكنها من لغات البربر . كان قصير القامة بعض الشئ عريض المنكبين ، قوى البنيان ، وكان شعر رأسه قصيرا جدا لانه كان معتادا على حلاقته بالموسى وكانت له لحية خفيفة اختلط شعرها الابيض ببعض الشعيرات السوداء ، أما ملامح وجهه فكانت زنجية أصيلة ، وكان جلده أسود لامعاً . كانت قد مرت على آخر زيارة له إلى الفيوم خمس سنوات كاملة وبالرغم من أنه وصل فى المساء ، بعد غروب الشمس بساعتين تقريبا ، فقد أسرع كل من فى المنزل إلى حوش الدار لتحيته والترحيب به وأخذ بعض الرحال يعاونونه لرفع أحمال البلح من فوق ظهر جمله. وأسرع كل الأطفال يتسابقون ليروا ما الذى حدث ، ولم تمض نصف ساعة حتى كان عم سعيد جالسا يأكل مما كان فى المنزل من طعام لان الجميع كانوا قد انتهوا من طعام العشاء ، ولكن جلس إليه بعض الرجال ليؤنسوه بالتحدث إليه، وبقينا نحن الأطفال نعج حولهم ، وكان لدينا نحن الصبية من الجرأة ما جعلنا نقترب منه،

ولكن الفتيات بقين بعيدا ، ولست استطيع القول الآن ، وبعد مضى كل هذه السنين ، ان كان وقوفهم بعيدا كان راجعا إلى الحياء أو أنهن كن خائفات .

لقد استرعى نظرى ، بل وإلى حد ما أدخل إلى نفسى شيئا عن عدم الاطمئنان ، شكل فمه الواسع الذى لم تكد تبق فيه سنة واحدة وطريقة مضغة للطعام ، فاقتربت منه وأخذت أنظر إليه ، فلما عرفه أحد الحاضرين من أكون ومن هو أبى توقف عن الأكل وامتلأت عيناه بالدموع لأنه كان يعرف أبى ، ذلك الأب الذى فقدته عندما كان عمرى عامين ونصف فقط . نهض عم سعيد من مكانه وحملنى بين ذراعيه وأخذ يؤدى نوعا من الرقص المنتظم ، ويذكر فى تعبيرات رقيقة اسم أبى الذى كان يحبه كثيرا ، ويطلب الرحمة لروحه .

مازلت أذكر حتى الآن كل ما حدث فى ذلك المساء ولم أنس شيئا من التفاصيل ، واذكر جيدا كيف أحسست انى أصبحت قريبا منه ، واذكر جلوسى إلى جانبه على الدكة الخشبية التى كان يجلس عليها وقبولى دعوته للأكل معه ، وكان أول شئ طلبته منه هو أن يحدثنى بكل ما يعرفه عن أبى ، وفى الأيام التالية أثناء الشهر الذى أقامه معناه وفى زيارته التالية بعد ذلك بعامين ، كنت لا أحب شيئا مثل صحبة عم سعيد والاستماع إلى ما كان يقصه ، أو الاجابة على ما كنت أوجهه إليه من اسئلة .

لم يعد الينا عم سعيد بعد عام ١٩١٥ اذ كانت الحرب العالمية الأولى قد استعرت وأصبحت الصحراء الغربية ، وواحة سيوة بصفة خاصة ، مسرحا لنشاط السنوسيين ، وانتهت الحرب ولكن لم يعد عم سعيد لزيارتنا أو نسمع عنه شيئا .

وعندما زرت سيوة فى عام ١٩٣٨ سألت الكثيرين عنه ولكنى لم أجد من يعرفه أو يذكر شيئا عنه . لم أكن اتوقع أن أجده على قيد الحياة بعد مرور كل هذه السنوات ، ولكن كنت أحس برغبة قوية لزيارة قبره ان كان قد مات فى الواحة ، وأقرأ على روحه الفاتحة وأطلب له الرحمة ، أو أتعرف إلى من يكون من نسله ان كان قد تزوج وأنجب ، ولكن كل محاولاتى ذهبت سدى .

مازلت حتى الآن أذكر ما قصه على من قصص ، وقد سمعت بعضها من فمه مرات عدة ، وقد أحببت كل ما كان يقوله لى ، وإليه يرجع الفضل فى تعريفى للمرة الأولى فى حياتى بهذه الواحة وببعض عادات سكانها ، وكان عم سعيد أيضا أول من عرفنى بالكثير من عادات البدو الذين يعيشون على الشاطئ الشمالى للصحراء الغربية ، وطالما حدثنى عن القوافل وما تدور فيها وحولها من أحداث .

لم تكن سنى فى ذلك الوقت تسمح لى بتقدير قيمة ما كان يقصه من قصص حبه وغرامياته لانها كانت فوق مداركى وخبرتى ، ولكننى أحببت بكل جوارحى ما كان يقصه على من قصص مشاجراته ومشاحناته . وأحببت أيضا ما كان يغنيه لى من أغانى أهل سيوة ، ورغم تقدمه فى العمر فانه كان دائما على استعداد ليرقص لى أى رقصة أطلبها منه وبخاصة رقصة « الزقالة » لأهل سيوة .

وفى أحد الأيام ، عندما كان يقوم بتقليد فتاة بدوية وهى تؤدى رقصة خاصة ، فاجأنا أحد أعمامى بدخوله علينا وكان عم سعيد قد عمل كل ما استطاع عمله فى ملبسه وتزيين رأسه لكى يظهر كفتاة وانى أترك للقارئ تصور الموقف وما احس به عم سعيد من حرج . وكانت أجمل قصصه التى كنت لا أمل من سماعها قصة اختفائه فى احدى حدائق سيوة البعيدة لمدة شهر عندما أراد سيده أن يقتله . كان فى ذلك الوقت فى العشرين من عمره ، وكان يقضى نهاره مختبئا حتى اذا ما حل الليل وعمت الظلمة خلع ملابسه كلها ودهن جسمه بزيت الزيتون حتى لا يستطيع أن يمسك به أى شخص لو لحق به . وسرت الاشاعة بين أهل المنطقة أن عفريتا أسود أخذ يظهر فى تلك الحديقة ويتجول فيها ، وفى بعض الأيام كان يتأرجح كالقرد بين الأغصان سواء بين جريد النخل أو فى أشجار الفاكهة وصدق الناس هذه الاشاعة ولم يجرؤ منهم أحد على الذهاب لتلك الحديقة فى الليل خوفا من ذلك الجن الأسود ، ولم يشذ عن ذلك الا فتاة فى مقتبل العمر كانت وحدها تعرف السر فكانت تخرج ليلا متسللة من المنزل بعد أن تطمئن إلى نوم من فيه وتخرج خفية إلى الحدائق وقد لبست ملابس الرجال لتقابله وتحضر له بعض الطعام .

كانت هى الحب الأول فى حياته وسبب ما أصابه من متاعب فى مستهل عمره ، وهى بدون شك التى بثت فيه روح المقاومة وعدم الخضوع للظلم ، والإعتماد على النفس وهى الصفات التى بقيت متأصلة فى نفسه طيلة أيام عمره .

وكان خيالى كطفل فى الثامنة يحملنى على تصور نفسى وأنا أفعل نفس الأشياء التى كان يفعلها فى حدائق سيوة ، متأرجحا بين الأغصان وأدهن جسمى بالزيت وأسبب الخوف للناس ، ولكنى لم أهتم كثيرا بالعنصر الغرامى فى القصة لأنى لم أعرف قيمته اذ ذاك .

ذهبت لزيارة سيوة بعد ذلك بخمسة وعشرين عاما وعاد لذاكرتى كل ما سمعته من عم سعيد من قصص ، ولكن زيارتى لسيوة لم تكن لتحقيق تلك القصص بل كانت لغرض آخر وهو دراسة آثار هذه الواحة ، ولكن بالرغم من ذلك وجدتنى حيثما ذهبت أطيل التفكير فى صديقى القديم ويزداد تقديرى لشجاعة الفتاة التى أحبته وكانت تجرؤ على الخروج بمفردها فى ظلمة الليل لمقابلته ، وما من شك فى أنها كانت تتحلى بشجاعة وجرأه غير عاديتيين لأن السيويين يؤمنون ايمانا عميقا بالخرافات كما أنه كان محرما تحريما تاما على أى امرأه فى سيوة أن تترك المنزل بعد الغروب بل كان محرما عليها أن تذهب بمفردها إلى الحدائق أثناء النهار .

ولنترك الآن قصص عم سعيد ونتحدث عن أشياء أخرى جذبتنى إلى الصحراء فيما بعد ، وفى مقدمتها بطبيعة الحال الآثار القديمة التى مازالت فيها ، ومن يعيش فى الصحراء من مواطنين وعاداتهم وتقاليدهم التى مازالوا يحتفظون بها .

كانت هذه الدراسات ميدانا جديدا لى كمصرى تخصص فى دراسة الآثار المصرية ، أنى أحب دائما عمل شئ جديد لم يسبقنى غيرى اليه وأميل بطبعى إلى قبول التحدى ، وهل هناك ميدان فى الدراسات المصرية يصعب العمل فيه ويحتاج إلى الثقة بالنفس ، وهابه الآخرون لقسوة العمل فيه أكثر من الصحراء ؟

أقبلت على ارتياد الواحات باحثا عما فيها من آثار بكل ما فى نفسى من حب ورغبة شديدة ، وعلى مدى سنوات كثيرة قمت بحفر الكثير من آثارها وسافرت فوق دروب قوافلها . ومن آن لآخر كنت أستطيع ترتيب أوقات عملى فى مصلحة الآثار لأتفرغ بضع شهور للعمل فى الواحات ، وقد قمت بنشر أكثر النتائج العلمية فى مؤلفات خاصة بعد ذلك ، ولكن مازال لدى الكثير من نتائج تلك الحفائر والدراسات لم أنشره حتى الآن ، ولا يعرف عنه زملائى الأثريون شيئا مفصلا وعلى أى حال فأن ما نشرته من مؤلفات عن الواحات كاد ينحصر فى الآثار والتاريخ فقط ولم أتعرض فيها للسكان وعاداتهم إلا فى أضيق الحدود ، لانى كنت أؤمن دائما أن مثل هذه الدراسات يجب أن يقوم بها مختصون فى الدراسات الأنثروبولوجية وخصوصا بعد كثرة استخدام السيارات ، مما ترتب عليه حدوث تغييرات كبيرة فى حياة سكان الصحراء بصفة عامة .

وفضلا عن ذلك فان مصر بدأت عدة مشروعات لاستطلاح الأراضى لأنه من الحقائق المروعة أن أكثر من أربعة وثلاثين مليونا من المصريين يعيشون على ما تنتجه أرض مزروعة لا تزيد فى مساحتها عن ستة ملايين من الأفدنة ، ومن المسلم به أن مشروع السد العالى سيساعد على حل جزء من المشكلة ولكنه لا يحل المشكلة كلها ، وعلينا أن نجد الوسائل التى تساعدنا على الحصول على مزيد من الأراضى التى يمكن زراعتها .

إنها حرب بين المصريين والصحراء ، وقد نجحت مصر إلى حد ما بفضل ما قامت به مؤسسة تعمير الصحراء من مشروعات نجح الكثير منها ، فى اضافة بعض آلاف الأفدنة فى الواحات المختلفة وعلى طول الشاطئ الشمالى للصحراء الغربية ، وحتى لوفرضنا وتحققت كل أحلام مشروعات تعمير الصحارى فان مساحة الأرض لن تتعدى بضع مئات من آلاف الأفدنة على الأكثر ، وهى لن تحل كل مشاكل السكان فى وادى النيل الذين يزداد عددهم زيادة مطردة .

ولكن هذا التوسع الزراعى فى الواحات ستكون له دون شك أثار سيئة على الآثار ذاتها ، وذلك لأن التوسع الزراعى سيكون على حساب المناطق الأثرية القديمة ، كما سيكون له أثر اجتماعى له أخطاره ، لأن تهجير أعداد كبيرة من السكان من وادى النيل إلى الواحات لزراعة الأراضى الجديدة سيعرض الكثير مما احتفظت به الواحات حتى الآن من عادات وتقاليد وطابع محلى إلى الزوال مع مرور الزمن ، أو على الأقل إلى أخذه صورا وأشكالا جديدة لأن المهاجرين الجدد سيأتون ومعهم عادات وتقاليد وطبائع أخرى .

الصـــحارى المـــصرية :

ليست الصحارى المصرية إلا جزءا من الحزام الصحراوى الكبير الذى يبدأ من مساحل المحيط الأطلسى فى شمال أفريقيا ويمتد إلى البحر الأحمر وسيناء وشبه الجزيرة العربية والعراق ويستمر نحو الشرق حتى يصل إلى أواسط آسيا .

ووادى النيل نفسه، ليس فى الواقع إلا واحة فى هذه الصحراء . ان مساحة مصر تبلغ مليون كيلو متر مربع تقريبا ولا تزيد مساحة الأراضى المنزرعة فيها عن ٤ ٪ (١) .

ويبلغ طول مصر من أقصى الشمال إلى الجنوب ١٠٧٣ كم ، وأقصى عرض لها من الشرق إلى الغرب ١٢٢٦كم ، أما مساحتها فهى مليون كيلو متر تقريبا (٢) .

ويعيش ٩٩ ٪ من سكان مصر (٣٠٫٠٧٦٫٠٠٠ فى تعداد ١٩٦٦ ، وحسب التقدير الرسمى فى عام ١٩٧١ أصبح عدد السكان أكثر من ٣٤٫٠٠٠٫٠٠٠) فوق رقعة مساحتها حوالى ٣٥٫٠٠٠ كم^{٢} وهى تشمل وادى النيل والدلتا ومحافظة الفيوم ومنطقة القنال أى فى المساحة المنزرعة ، أما باقى سكان مصر ، وهو واحد فى المائة فقط فانهم يعيشون متفرقين فى مساحة ال ٩٦٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع الباقية (٣) وهى المنطقة الصحراوية .

وفى وسط هذا البحر الكبير من الرمال نجد أراضى الدلتا والصعيد على طول مجرى النيل ، كما نجد عددا من الواحات فى أرجاء الصحراء الغربية وأشهر هذه

الواحات هى سيوة والبحرية والفرافرة والخارجة والداخلة ، ولكن يوجد أيضا عدد آخر من الواحات الصغيرة التى لا يعيش فيها إلا عدد قليل من السكان كما يوجد عدد من الواحات الأخرى كانت فى يوم من الأيام عامرة بسكانها ولكنها أصبحت الآن خالية ولا يقطنها أحد [٤] .

ويمكننا تقسيم الصحارى المصرية إلى ثلاثة صحراوات وهى سيناء والصحراء الشرقية (أو الصحراء العربية) ثم الصحراء الغربية (وتسمى أحيانا فى بعض المؤلفات القديمة الصحراء الليبية) .

صحراء سيناء :

صحراء سيناء ليست إلا شبه جزيرة يحدها البحر الأبيض فى الشمال وفلسطين من جهة الشرق وقناة السويس من جهة الغرب ويقع طرفها الجنوبى المثلث بين خليج السويس وخليج العقبة ، وتبلغ مساحتها ٦١٫٠٠٠ كيلو متر مربعا . وفى جنوبى سيناء عدد من الجبال المرتفعة أما سكانها من البدو فيعيشون متفرقين فى وديانها العديدة ولا نجد تجمعات سكانية ذات حجم كبير نسبيا إلا فى قرية الطور فى الجنوب وفى قرى العريش والشيخ زويد فى الشمال .

وفى تعداد ١٩٦٦ كان عدد سكان سيناء ١٣٠٫٨٤٩ موزعين كالآتى :

العريش	٥٠٦٧٥
الشيخ زويد	٢٨٥٩١
القنطرة شرق	١٥٨٤٠
أبو زنيمة	٨٦١٦
الطور	٢٢٣٠
بير العبد	١٢٥٦٧
الشط	٥٢٣٨
الحسانة	٤٧٨٩
نخل	٢٣٠٣

ولا يعيش السكان عادة فى قرية واحدة بل يعيشون متفرقين فى الأودية المختلفة وعلى مقربة من آبار الماء .

وشبه جزيرة سيناء غنية بما يوجد فيها من معادن كثيرة استغل بعضها قدماء المصريين من فجر تاريخها وخلفوا وراءهم نقوشا ومعابد فى بعض المناطق مثل المغارة وسرابيط الخادم ، كما يوجد أيضا بعض المناطق الأثرية على مقربة من الشاطئ الشمالى وعلى طول الطريق الحربى الكبير الذى كان يربط بين مصر وفلسطين كما توجد أيضا فى الجنوب بقايا مبانى أثرية أكثرها من العصر المسيحى وبخاصة فى واحة فيران ، وأهم ما فى جنوب سيناء من آثار هو دير سانت كاترين وهو دون شك من أهم الآثار المسيحية فى العالم ويشتهر بكنيسته التى ترجع فى الأصل إلى القرن السادس الميلادى وما احتفظت به من فسيفساء وما أحتفظ به الدير من مجموعة ايقونات على أكبر جانب من الأهمية ومكتبة غنية بمخطوطاتها القديمة النادرة .

الصـــحراء الشـــرقية :

أما مساحة الصحراء الشرقية فهى ٢٢٣٫٠٠٠ كيلو متر مربع على وجه التقريب وتمتد من وادى النيل (أو على الأصح من حدود الزراعة) حتى قناة السويس والبحر الأحمر . وفى هذه الصحراء عدة جبال ، وعلى الأخص قريبا من البحر الأحمر ، تصل قممها إلى ارتفاع كبير ، أهمها جبل الشايب (٢١٨١ مترا) وجبل حماطه (١٩٧٨ مترا) ، وموارد مياهها قليلة لا تكاد تكفى لما تتطلبه حياة سكانها من البدو وما يملكونه من حيوانات . وهذه الموارد تتكون من العيون الصغيرة والآبار والمياه التى تتجمع بين صخور الجبال ، ولكن لا نجد فى أى منطقة فى الصحراء الشرقية أى عيون ماء هامة متدفقة مثل العيون التى نراها فى واحات الصحراء الغربية .

وإلى جانب البدو من سكان الصحراء الشرقية نجد عددا غير كبيرمن المناطق التى توجد فيها تجمعات سكانية مستقرة . ومجموع عدد سكان الصحراء الشرقية

(وتسمى عادة محافظة البحر الأحمر) حسب تعداد عام ١٩٦٦ هو ٣٧٫٨١٨ نسمة ، وأكثر مناطقها كثافة فى السكان تقع على مقربة من شاطئ البحر الأحمر حيث توجد مناجم الفوسفات وغيرها من المعادن ، وحيث توجد حقول البترول .

وأهم هذه التجمعات السكانية فى القصير (١٣٦٩٥ نسمة) والغردقة (٤٠٨٧ نسمة فى القرية ، ٢٠٨٢ فى الميناء) وسفاجة (٢٢٧٤ نسمة) وهم يعتمدون فى حياتهم على مياه البحر المقطرة .

وكان المصريون القدماء يستغلون الكثير من مناجم الذهب وغيره من المعادن فى أماكن كثيرة فى هذه الصحراء ، وقد تركت البعثات الكثيرة التى ذهبت إلى هناك نقوشا على الصخر وعلى لوحات أقاموها هناك مثلما نراه حتى الآن فى وادى الحمامات (الذهب) ووادى الهودى (لأجل الحصول على حجر الجمشت (الأماتيست) . وعلى مقربة من المناجم القديمة نرى كثيرا مما بقى من آثار القدماء ، كما نجد أيضا آثاراً كثيرة فى الموانى القديمة على البحر الأحمر ، كما توجد أيضا فى هذه الصحراء آثار من العصر المسيحى أهمها دير الأنبا بولوس ودير الأنبا انطونيوس .

الصحراء الغربية :

تبلغ مساحة الصحراء الغربية ٦٨١٫٠٠٠ كيلو مترا مربعا أو أكثر من ثلثى مساحة مصر كلها ، وهى من أشد مناطق العالم جفافا ، وفى بعض جهاتها نجد موارد المياه تبعد عن بعضها بمئات الكيلو مترات [(٥)] .

وفى جنوبى هذه الصحراء هضبة مرتفعة من الحجر الرملى النوبى تمتد من جبال العوينات (ارتفاعها يزيد عن ١٨٠٠ مترا) ثم تهبط تدريجيا حتى تصل إلى المنخفض الذى توجد به الواحات الخارجة والداخلة ــ وفى شمال هذا المنخفض نجد هضبة من الحجر الجيرى ترتقى نحو ٥٠٠ مترا عن سطح البحر وتمتد إلى منخفض الفرافرة والبحرية ، ثم يستمر سطح الهضبة فى الانحدار وهو متجه شمالا إلى أن ينتهى بمنخفض كبير تصل بعض أجزائه فى انخفاضها إلى ما تحت سطح البحر

مثل منخفض واحة سيوة ومنخفض القطارة [٦] . وفى شمال منخفض القطارة ترتفع هضبة ثالثة متوسط ارتفاعها حوالى ٢٠٠ مترا فوق سطح البحر تنحدر نحو شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين الاسكندرية والسلوم .

وعدد سكان المنخفضات الرئيسية الخمسة فى الصحراء الغربية كما يلى :

الداخلـــــة	٣٣٫٧٨٠
الخارجـــة	٢٥٫٦٠٥
الفرافـــــرة	١٫٠١٠
البحريــــــة	٩٫٦٠١
ســــــيوة	٥٫١٦٩

وكما سبق القول توجد منخفضات أخرى لا يوجد فيها إلا بعض البحيرات المالحة والمستنقعات والملاحات ولا يعيش فيها أحد من السكان وأكثر هذه المنخفضات اتساعا وأقلها منسوبا هو منخفض القطارة الذى تصل أعمق نقطة فيه إلى منسوب ١٣٤ مترا تحت سطح البحر .

وفى أماكن كثيرة فى تلك المنخفضات نرى خطوطا مرتفعة ومتوازية من غرود الرمال تمتد فى اتجاه شمالى ـــ جنوبى وتسير أحيانا مسافات طويلة ، وأكثرها يصعب على السيارات اجتيازه بل يكاد يكون ذلك أمرا مستحيلا فى بعض الحالات ، وأشهر هذه الغرود ، أو على الأصح سلسلة الغرود ، هى التى تسير إلى الشرق من الواحات وتستمر حتى جنوبى الواحة الخارجة ويبلغ طولها نحو سبعمائة كيلو مترا على وجه التقريب .

ولكل واحة من الواحات الخمس طابعها الحضارى أو ثقافتها المحلية الخاصة بها ، والتى تميزها عن غيرها ولكن يمكننا القول بوجه عام أن الخارجة والداخلة تكونان مجموعة حضارية واحدة وكذلك الحال مع واحتى البحرية والفرافرة اذ أنهما يكونان أيضا مجموعة واحدة أخرى .

وهناك آثار غير قليلة فى المناطق القريبة من الشاطئ ، وهى ، مثل آثار الواحات ، يرجع تاريخها إلى العصور المختلفة فى التاريخ المصرى ، وسنتحدث فى الفصول القادمة بشئ كثير من التفصيل عما يوجد فى الواحات الخمسة من آثار ، اذ يوجد فيها معابد ومقابر ملونة وخرائب مدن قديمة وحصون وآثار مسيحية تثبت بصورة قاطعة وجود فترات من الأزدهار فى كل منها خلال التاريخ الطويل الذى مر بها .

سكان الصحراء فى الوقت الحاضر :

وقبل أن أختم هذه المقدمة العامة أرى لزاما على ذكر بعض الملاحظات الضرورية ، فمن الخطأ أن يظن أحد أن جميع من يعيشون فى الصحراء يقيمون فى منازل أو فى خيام أو أنهم يتكلمون اللغة العربية أو لهم نفس العادات أو التقاليد .

فالذين يعيشون فى مناطق الشاطئ الشمالى فى شبه جزيرة سيناء يقيمون فى قرى ، أما البدو والذين فى الداخل فهم يقيمون فى خيام وينسبون إلى قبائل متعددة لكل منها تقاليدها الخاصة بها ، ولكنهم بوجه عام ذوو صلة وقرابة ببدو فلسطين والأردن وشمال المملكة العربية السعودية . وبالرغم من أنهم يتحدثون فيما بينهم بلهجات نختلف بعض الشئ فان اللغة العربية هى لغتهم الأصلية .

وفى الجزء الشمالى من الصحراء الشرقية يعيش بدو من قبائل عربية ، ولكن فى الجزء الجنوبى من هذه الصحراء يعيش العبابدة الذين يرجعون فى أصلهم إلى الجماعات الحامية وهم لا يعرفون الآن لغة غير اللغة العربية ولكن كانت لهم فى يوم من الأيام لغة أخرى ضاعت منذ بضع مئات من السنين ، ومازال كثير من هؤلاء العبابدة يحيون حياة البدو الرحل وينتقلون بخيامهم من واد إلى آخر حيث يجدون الماء والمرعى وإلى جنوبى مناطق العبابدة تعيش قبائل « البشارية » وهم بدو أيضا ولكن لهم لغتهم الخاصة بهم وتسمى « البشارية » ونجد بينهم من يفهم ويتحدث باللغة العربية ولكن كلغة ثانية .

ويرتبط البشارية برابطة القرابة والأصل بالجماعات التى من أصل حامى وتعيش الآن على طول الشاطئ الجنوبى للبحر الأحمر ، ولهم ثقافتهم الخاصة بهم ، أما منطقتهم التى ينتشرون فيها فهى الصحراء الشرقية الجنوبية إلى الجنوب من مدينة أسوان .

ويختلف سكان الصحراء الغربية فيما بينهم أيضا . فعلى طول الشاطئ الشمالى وعلى مقربة منه تعيش بعض فروع من قبائل عربية تربطها صلة القرابة بالقبائل الليبية ، ويرتبطون أيضا بصلة القرابة والأصل المشترك ببعض سكان المحافظات التى فى غرب مصر مثل البحيرة والفيوم والمنيا ، ويعيش أكثر بدو الصحراء الغربية فى الوقت الحالى فى قرى أو نجوع مستقرة ، ولكن مازال يوجد بنيهم من يسكن فى الخيام ويحيا حياة البداوة وهم يتكلمون اللغة العربية طبعا ولكن لهم لهجاتهم الخاصة بهم ، ولهم عاداتهم وشرائعهم التى تختلف إختلافاً كبيراً عن مثيلاتها بين سكان سيناء .

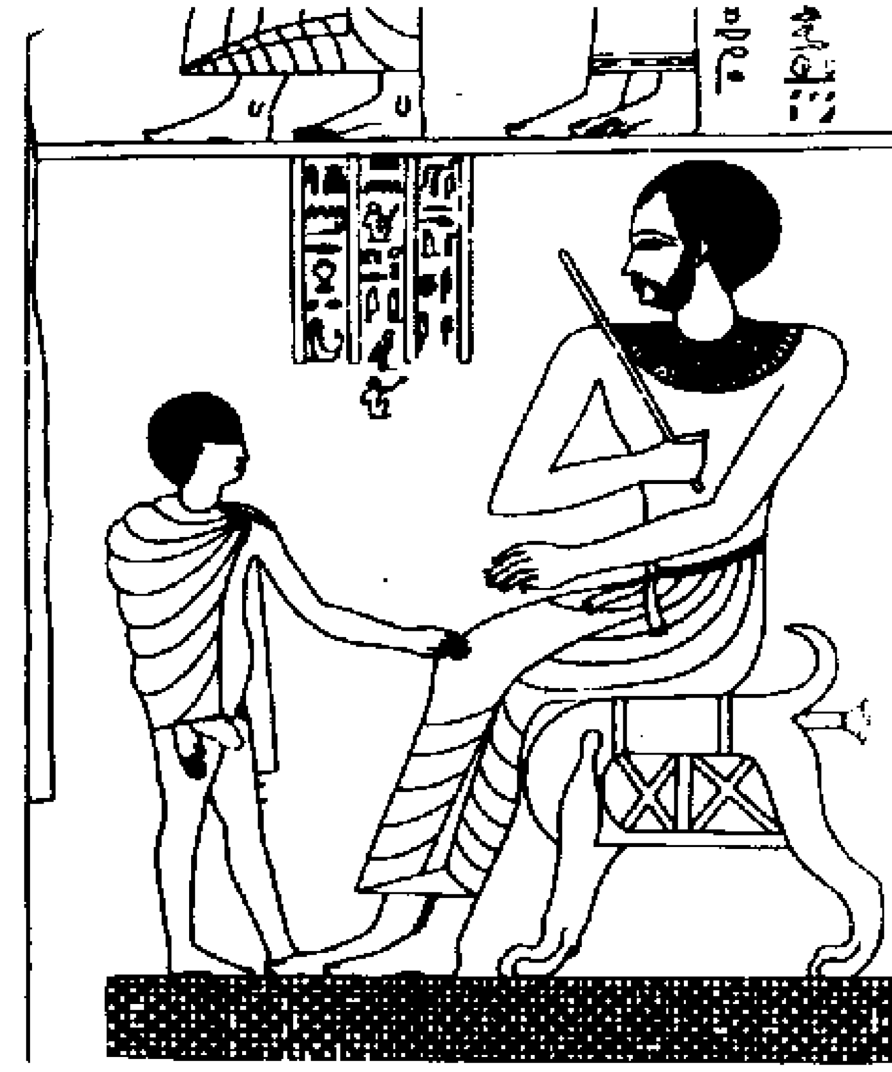
الواحـــــات :

أما سكان الواحات الخمسة التى فى الصحراء الغربية فانهم جميعا يحيون فى القرى حياة استقرار واذا رأى أى زائر لأى واحة من الواحات خياما فيها فان تلك الخيام أما أن تكون خيام بعض البدو الذين وفدوا من مناطق الشاطئ أم من وادى النيل للتجارة أو لأجل رعى أبلهم وأغنامهم ، أو أن تكون هذه الخيام ، وخصوصا اذا كانت من قماش أبيض وتختلف عن خيام البدو الداكنة اللون ، خياما أقيمت لبعض الموظفين ومن معهم من العمال عند قيامهم بأى عمل مؤقت هناك .

ولكل واحة منها تقاليدها الخاصة بها ولها لهجتها التى تختلف عن لهجة غيرها . فكل من يعرف الصحراء يستطيع أن يميز بدون صعوبة أهل الخارجة من أهل الداخلة ، بل أن الأمر ليذهب إلى أبعد من ذلك اذ أن هناك اختلافات غير قليلة بين لهجة أى قرية ولهجة القرى الأخرى فى الواحة نفسها .

والواحات الأربع الخارجة والداخلة والبحرية والفرافرة ، لا تعرف لها لغة أصلية غير اللغة العربية ولكن واحة سيوة لها لغة أخرى وهى اللغة السيوية ، احدى لهجات لغة البربر .

ويفهم السيويون من الرجال ، وأكثر النساء ، اللغة العربية فهما طيبا ، ولكنهم يتحدثون بها كلغة ثانية ، وليس من المستبعد أن يقابل الانسان رجالا أو نساء طاعنين فى السن يجدون صعوبة كبيرة فى التعبير عما يريدون قوله باللغة العربية ، أو يقابل أطفالا صغارا قبل سن التحاقهم بالمدارس لا يتحدثون بها . ولكن الشبان والرجال الذين فى مقتبل العمر والذين تعلموا فى المدارس أو عاشوا بعض الفترات خارج واحتهم فى الاسكندرية أو على الشاطئ أو غير ذلك من الأماكن فانهم يتكلمون اللغة العربية بطلاقة تامة ويعرفونها معرفة جيدة إلى جانب لغتهم السيوية .



الفصل الأول
واحة آمون ــ عرض عام

هنالك الكثير من أوجه التشابه بين أربعة من الواحات لأنها ، كما سبق القول ، لا تعرف لها لغة غير اللغة العربية كما أن معظم عادات سكانها وتقاليدهم تجد فى كثير من الأحيان ما يشابهها فى بعض القرى الواقعة فى جهات معينة من وادى النيل .

فيمكن عقد مقارنات بين البحرية والفرافرة وبين بعض القرى فى محافظات الفيوم والمنيا وأسيوط ، كما يمكن عقد المقارنات بين الخارجة والداخلة وبين بعض قرى محافظتى سوهاج وقنا التى كانت ترتبط بهما هاتان الواحتان منذ آلاف السنين .

أما واحة سيوة فانها تختلف اختلافا تاما عن أى شئ فى وادى النيل . فمظهرها العام وعمارة بيوتها وملابس سكانها وملامح وجوههم ولغتهم وموقفهم تجاه غيرهم من الناس الذين يزورون واحاتهم ، وحياتهم فى داخل منازلهم وفى خارجها ، كل هذا يذكر من يزور الواحة أنه لم يعد فى وادى النيل ، بل يحس فى الحال أنه أصبح فى مكان يختلف عن كل ما عرفه فى مصر سواء فى الدلتا أو فى الصعيد أو فى الصحراء .

كان هذا هو ما أحسست به عندما زرت سيوة للمرة الأولى فى أغسطس ١٩٣٨ ولم يتغير هذا الاحساس تغييرا كبيرا فيما تلا ذلك من زيارات فى سنين مختلفة . وفى أخر زيارة لهذه الواحة فى شهر مايو ١٩٧٢ أحسست ، كما أحسست فى مرات سابقة ، أن هناك تغييرا ملحوظا فى حياة سكانها ، وأن الفجوة التى كانت تفصل دائما بينهم وبين سكان الواحات الأخرى ووادى النيل أخذت تضيق ، فالأطفال ، من صبية وبنات والذين كانوا يلعبون أمام منازلهم وهم يرتدون جميعا ملابسهم التقليدية الجميلة أصبح أكثرهم الآن يرتدى زى المدارس المنتشر فى قرى وادى النيل ، وهو بكل تأكيد أقل

جمالا وأقل ملاءمة لجو الواحة من ملابسهم المحلية الأصلية كما نجد كثيرا من المبانى الحديثة قد أخذت تظهر فى بعض المناطق فى مدينة سيوة ، وهى فى رأيى قد شوهت من جمال هذه الواحة كما نرى أيضاً كثيرا من العمال الأغراب الذين أتوا من القاهرة أو من بعض بلاد الوجه القبلى ونجدهم بكثرة ملحوظة فى السوق وأمام المقاهى التى ظهرت فى السنوات الأخيرة فى ميدان المدينة .

ولكن كثيرا من هذه التغييرات ليست إلا تغييرات سطحية فقط ، وليس لها جذور عميقة لأنها فرضت على أهل سيوة ، وأشك كثيرا فى حدوث أى تغيير جذرى فى حياة السيويين قبل مرور عشرين أو ثلاثين عاما ، ومع ذلك فان واحة سيوة هى أكثر الواحات المصرية استرعاء للاهتمام ، وأقربها إلى قلوب الزائرين لا لمكانتها فى التاريخ وحسب بل ولأجل جمالها بشكل عام وما لأهلها من عادات وتقاليد .

كانت الحمير هى وسيلة الانتقال بين سيوة وغيرها من البلاد ، ولكن منذ استخدام الجمال فى الصحراء المصرية كوسيلة من وسائل الحمل والانتقال على نطاق واسع فى العصر البطلمى (القرن الرابع ق.م.) أصبح الجمل أوفى أصدقاء البدوى وأكثرهم نفعا فى خدمته ، وحتى وقت استخدام السيارات لم تكن هناك وسيلة انتقال يستخدمها أهل سيوة أو من يأتون اليهم من البدو غير وسيلة واحدة وهى الجمل ، أو الحمير فى بعض الأحيان ، وقد ظل ذلك حتى بدأ استخدام السيارات فى الصحراء الغربية أثناء الحرب العالمية الأولى ، اذ يرجع تاريخ أول سيارة تصل إلى سيوة إلى عام ١٩١٧ عندما وصلتها بعض السيارات العسكرية بعد انسحاب قوات السيد السنوسى منها فى ذلك العام .

وفى الوقت الحاضر يوجد خط طيران بينها وبين القاهرة عدة مرات فى الأسبوع منذ بدأ البحث عن البترول منذ أكثر من عامين ، كما يوجد خط أوتوبيس بين سيوة ومطروح مرتين فى الأسبوع يعتمد عليه السيويون وأكثر الموظفين اعتمادا كبيرا فى أسفارهم إلى مطروح ، ولكن قبل انشاء خط الأوتوبيس كان أهل سيوة يعتمدون منذ

أواخر العشرينات فى أسفارهم ونقل حاصلاتهم على سيارات اللورى . وقلما يهتم السيويون الآن بتربية الجمال وإذا رأى الزائر بعضا منها فى الواحة فانها جمال بعض البدو الذين أتوا من أجل المرعى أو للاتجار مع أهل سيوة وشراء جزء من محصول البلح .

الطرق بين سيوة وغيرها من البلاد :

يستخدم زائرو سيوة الطريق الرئيسى الذى يربط بينها وبين مرسى مطروح ، وهو طريق آمن وصالح للسيارات وهو فى الوقت ذاته نفس الدرب القديم الذى استخدمه القدماء منذ آلاف السنين عندما كانوا يأتون لاستشارة نبوءة أمون من بلاد البحر المتوسط المختلفة اذ كانت سفنهم تصل إلى ميناء براتونيوم (Paraetonium — مرسى مطروح) ثم يأخذون بعد ذلك الدرب الصحراوى للوصول إلى الواحة ، وهو الطريق نفسه الذى سار عليه الاسكندر الأكبر عند زيارته لسيوة فى عام ٣٣١ ق.م. والذى سار عليه معظم الزائرين الذين أتوا من قبله أو من بعده وطوله حوالى ٣٠٠ كم واسمه على خرائط المساحة « مسرب الأسطبل » ولكن البدو يسمونه باسم آخر وهو « درب المحصحص » وخط أسلاك التليفون الموحود حاليا بين مطروح وسيوة يعبر فوق هذا الدرب القديم ، وهو بذلك علامة هامة تساعد سائقى السيارات عند سفرهم ، وخير لهم ألا يبتعدوا عنه كثيرا ، وبعبارة أخرى يجب ألا يجعلوه يغيب عن أنظارهم سواء ساروا عن يمينه أو عن يساره . وكان هناك مشروع لرصف هذا الطريق ، كأحد المشروعات المهمة لاصلاح وتعمير واحة سيوة بعد زيارة الملك فؤاد لها فى عام ١٩٢٨ ، بدأت الدولة فعلا فى رصف هذا الطريق ولكن لم يرصف منه إلا مسافة ١٢٥ كم فقط بعد مرسى مطروح ومسافة ٢٥ كم أخرى قبل مدينة سيوة أى أن مجموع الجزء المرصوف ، وهو الآن فى حالة سيئة لعدم العناية به، لا يزيد عن ١٥٠ كيلو مترا أما المسافة الباقية وقدرها ١٥٠ كم أخرى فهى طريق بسيط فوق سطح الصحراء لا يحدده إلا أثر سير عجلات السيارات فوقه. ويستغرق قطع هذا الطريق ٧ — ٩ ساعات لأن كثيرا من أجزائه غير صالحة للسير السريع المنتظم يستوى فى ذلك المرصوف وغير

المرصوف ، ولكنه على أى حال خال من غرود الرمال ، ويستطيع المسافر أن يطمئن على سلامته مادام يضع فى ذهنه الا تغيب أعمدة التليفون عن عينيه [1] .

ويصل المسافر بعد قطعه لمسافة ١٦٠ كيلو مترا من مرسى مطروح إلى بير النص حيث يوجد هناك صهريج للمياه تحت سطح الأرض ، وحيث يجد كشكا خشبيا يقيم فيه جندى شرطة ولديه تليفون يمكن الاتصال منه بكل من مرسى مطروح وسيوة .

وكان يقوم فى الماضى بيت كبير من الخشب عند المنطقة المعروفة باسم « آلبويب » وهى قبل « بير النص » للقادم من مرس مطروح ، أقيم فى هذا المكان فى عام ١٩٢٨ ليقضى الملك فؤاد الليل فيه ، وأصبح هذا المنزل بعد ذلك شبه استراحة للمسافرين فى هذا الطريق ولكن عند نشوب الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ أزالته السلطات العسكرية من مكانه لأنه كان علامة هامة على الطريق الموصل إلى مطروح وإلى جانب مسرب الاصطبل توجد عدة دروب للقوافل تربط بين واحة سيوة والبلاد الواقعة على شاطئ البحر أهمها الدرب الذى يربط بين الجراولة (على الشاطئ ، شرقى مرسى مطروح) ويمر بمنخفض القطارة والواحة الصغيرة المعروفة باسم « قارة أم الصغير » (وتسمى أحيانا « القارة » فقط) وطوله ٣٥٠ كيلو متر تقريبا و« مسرب دنقاش » الذى يربط سيوة بالسلوم وطوله نحو ٣١٠ كم .

وعدا ذلك هناك ثلاثة دروب أخرى أحدها يتجه غربا إلى واحة جغبوب التى كانت واحة داخل الحدود المصرية وقضت الظروف السياسية بالتنازل عنها لايطاليا فى عام ١٩٢٦ لتضمها إلى ليبيا وثانى هذه الدروب هو الدرب الموصل من سيوة إلى البحرية مارا بحطية الزيتون وواحات العرج و« سترة » و« البحرين » أما ثالثها فهو طريق يربط سيوة بوادى النيل ويمر بواحة « قارة أم الصغير » ثم يسير مخترقا منخفض القطارة حتى يصل إلى عين المغرة [2] ومن غين المغرة يسير هذا الدرب إلى وادى النطرون . ومن وادى النطرون يوجد درب يوصل إلى الفيوم ، أما الدرب الرئيسى فيستمر من وادى

النطرون إلى قرية كرداسة القريبة من أهرام الجيزة . وكان هذا الدرب هو الطريق الذى يربط سيوة بعاصمة وادى النيل منذ العصور القديمة وهو الدرب الذى استخدمه الاسكندر الأكبر عند عودته من واحة سيوة إلى منف .

وفى الاستطاعة استخدام السيارات للسير فوق كل هذه الدروب ، ولكن من الخطر الاقدام على ذلك إلا بسيارات قوية صالحة للسير فى الصحراء ، ويستحسن فى جميع الحالات اصطحاب أدلاء للصحراء من الذيم يختارهم سلاح الحدود لمثل هذه الرحلات ، وكثيرا ما تسبب الاهمال فى اتباع ذلك فقْد بعض المغامرين لحياتهم عندما ضلوا الطريق ، وساروا بعد ذلك يتخبطون على غير هدى حتى نفد ما معهم من الماء والوقود للسيارات .

مديـــــنة ســـــــيوة :

بعد أن يترك المسافر لسيوة حدود مدينة مرسى مطروح لا تقع عيناه على أشجار أو حقول حتى يصل إلى الواحة . ومن المحتمل جدا أن يرى على جانبى الطريق شجيرات خضراء متناثرة هنا وهناك وذلك فى الخمسين أو الستين كيلو مترا التى تدخل فى المنطقة المعروفة باسم حزام البحر المتوسط الذى تسقط فوقه الأمطار من حين لآخر ، ولكن عندما ينتهى هذا الحزام الممطر ويأخذ فى صعود الهضبة التى تبدأ بعد سبعين كيلو متر تقريبا من الشاطئ لا يصادف شيئا غير صحراء قاحلة حتى يصل إلى المنخفض نفسه فتلمح عيناه بعض حدائق النخيل فى الواحة .

كانت القوافل تقضى ثمانية أو تسعة أيام فى قطع هذا الدرب ، ومن السهل أن تتصور ما كان يخالج المسافرين من سرور عندما يرون أنفسهم على مقربة من عيون المياه الجارية ، وحدائق النخيل والأشجار الأخرى ويستلقى مطمئنا فى ظلها الوارف بعد أن يكون قد قضى أكثر من أسبوع فى سفر مضن .

ويصل ارتفاع أعلى الأماكن فى الهضبة إلى ٢٤٠ مترا أو أكثر قليلا فوق سطح البحر (متوسط ارتفاعها ٢٠٠ مترا) . ولكن أرض الواحة نفسها ١٨ مترا تحت سطح

البحر فى المتوسط (أكثرها ارتفاعا وأشدها انخفاضا) . وطول منخفض سيوة من الشرق للغرب حوالى ٨٢ كيلو مترا و وهو يقع بين ٢٥°، ١٦ ، ٢٦°، ٧ من خطوط الطول شرقا وخطى ٢٩°، ٢١ من خطوط العرض شمالا ، ويبدأ طرفها الغربى فى الحراقى ، وأخر قراها العامرة فى الجهة الشرقية هى حطية الزيتون ، وتقع مدينة سيوة فى المنتصف على وجه التقريب . أما عرض المنخفض فهو حوالى تسعة كيلو مترات فى الناحية الغربية ويصل إلى ستة وعشرين كيلو مترا فى الناحية الشرقية ، وهو يضيق فى وسطه.

وإلى جانب مدينة سيوة حيث يعيش الجزء الأكبر من سكان الواحة توجد عدة قرى متباعدة فى المنخفض يقيم فى كل منها عدد غير كبير من السكان أهمها المراقى وخميسة وأبو شروف والزيتون . وفيها أيضا بضع بحيرات مالحة أكبرها مساحة بحيرة الزيتون ، وهى أشهرها ، وتبدأ على مقربة من سفح جبل الدكرور وتمتد غربا نحو خمسة وعشرين كيلو مترا ومتوسط عرضها نحو خمسة كيلو مترات (٣) .

كانت مدينة سيوة القديمة ، فى أيام الفراعنة والرومان فى أغورمى حيث نجد ما ابقى عليه الزمن من المعيدين الرئيسيين فى الواحة ، وهما معبد النبؤة أو الوحى الذى مازال قائما فوق الصخرة الكبيرة التى ترتفع فى وسط السهل المنبسط بين حدائق النخيل هناك ، ومعبد « أم عبيدة » الذى نجد بقاياه على مسافة كيلو متر تقريبا إلى الشرق من صخرة أغورمى .

وفى أيام العصور الوسطى تعرضت تلك المدينة القديمة للتخريب الذى سببته اعتداءات البدو من البربر والعرب ، ونعرف ان كثيرا من هؤلاء الأخيرين كانوا يعيشون فى خيامهم فى الواحة حيث وجدوا مراعى صالحة ، ومياه وفيرة ونخل كثير .

ونقرأ فى التاريخ المحلى لسيوة ـــ وسأشير اليه دائما فى هذا الكتاب باسم « مخطوط سيوة » ـــ الذى يوجد لدى احدى عائلات الواحة تفصيلات تسترعى الاهتمام عن أصل عائلات سيوة وبعض شرائعهم القديمة . فقد تضاءل عدد سكان

هذه الواحة حتى أصبحوا أربعين رجلا ينتمون إلى سبع عائلات فاستقر رأيهم على ترك قريتهم المعرضة لخطر الغزو واختاروا موقعا جديدا شيدوا فيه قرية جديدة محصنة فوق جبل ليكون فى ذلك حماية لهم من أعدائهم ويساعدهم على الاحساس بالأمن والطمأنينة ، وليس هذا الموقع الجديد الذى اختاروه إلا مدينة سيوة الحالية أو بعبارة أوضح خرائبها التى نراها اليوم ، والتى يرجع تاريخ تأسيسها كما ورد فى المخطوط إلى عام ٦٠٠ هجرية (١٢٠٣ ميلادية) والتى اطلقوا عيها اسم « شالى » ومعناها « المدينة » فى اللغة السيوية .

شيد الرجال الأربعون منازلهم على منحدر التل وأحاطوها بسور متين البناء ، ولم يجعلوا له غير مدخل واحد لأجل الاطمئنان إلى حسن الدفاع عنه اذا هاجم عدو من الخارج ، ومازال هذا الباب قائما حتى الآن ويسمونه « الباب انشال » وهى مركبة من كلمتين أولاهما عربية والثانية بربرية أى « باب المدينة » وهو فى الجهة الشمالية من سور المدينة إلى جوار الجامع القديم ويمكن الوصول منه إلى ممر ضيق صاعد إلى داخل المدينة .

وبعد مرور قرن من الزمان ، فتحوا بابا ثانيا فى الجهة الجنوبية من السور قريبا من معصرة الزيت سموه « الباب أترات » أى « الباب الجديد » وكان يستخدم للذين كانوا يفضلون تحاشى المرور أمام « الأجواد » (رؤساء العائلات) الذين كانوا يعقدون مجلسهم اليومى على مقربة من المدخل الرئيسى للمدينة ، وأفاد فتح الباب الجديد أهل سيوة فائدة كبيرة لأنه لم يكن معروفا لغيرهم ، وكلما تعرضت مدينتهم المحصنة للهجوم أو الحصار ، كانوا يستخدمون سرا هذا الباب الصغير الجديد للخروج أو الدخول .

ولما ازداد عدد السيويين ، وزادت الحدائق التى غرسوها زاد كثيرا ترددهم على تلك الحدائق ، فضلا عن ذلك فقد كانت عادتهم فى الأصل عدم السماح للنساء بالخروج من أسوار المدينة ولكن مع مرور الزمن كانوا يسمحون لبعضهن بالخروج للمساعدة فى العمل أو لنقل ما يلزم من الوقود ، وكان يتحتم على هؤلاء النساء ألا

يمروا أمام مجلس الأجواد كما أن الرجال لم يكونوا يرتاحون لمرور زوجاتهم أو بناتهم أمام الذين كانوا يتسكعون على مقربة من معصرة الزيتون عند الباب الجديد ولهذا استقر الرأى بعد مضى ما يقرب من قرن أخر من الزمان على فتح مدخل ثالث فى السور ، وكان لا يسمح للنساء عند خروجهن إلى الحدائق إلا باستخدام هذا الباب فقط وسموه « باب قدوحة » لأنهم فتحوه فى مكان بيت رجل كان يحمل هذا الاسم .

وعلى مر القرن زاد عدد سكان سيوة زيادة كبيرة وأخذت كل عائلة تزيد طابقا أخر فى منازلها الأصلية لسكنى أفراد العائلة اذ لم يسمح الأجواد لأى شخص أن يبنى منزلا خارج سور المدينة .

وكانوا يبنون منازلهم بـ « الكرشيف » وهو الطين الذى يأخذونه من الأرض المشبعة بالملح ، واذا جف يصبح شبيها بالاسمنت فى صلابته، ولهذا فقد ارتفعت بعض منازل سيوة القديمة إلى سبع أو ثمان طبقات ولكن العيب الكبير للبناء بمادة الكرشيف انها تتأثر جدا اذا طالت فترة المطر فى أى وقت من الأوقات ولكن من حسن الحظ انه يندر سقوط المطر فى سيوة واذا سقطت أمطار فانها لا تعدو رخات بسيطة لا تستمر إلا فترات قصيرة جدا ، ولكن يحدث كل بضع سنوات أن تسقط أمطار شديدة (٤) وفى هذه الحالات تخلف الأمطار وراءها نتائج سيئة لأن الملح الذى فى الكرشيف يذوب وتنهار بعض الجدران .

وفى عام ١٨٢٠ وصلت جنود محمد على فأتمت فتح سيوة وأخضعتها لسلطة الحكومة ، ومنذ هذا التاريخ أحس السيويون بالأمن ولم تعد هجمات البدو تهدد حياتهم ، ولهذا السبب سمح مجلس الأجواد فى عام ١٨٢٦ للأهالى ببناء منازل لهم خارج اسوار المدينة اذا شاءو .

ومما يستحق الذكر أن « موسى بوبيشى » الذى كان يحكم الواحة فى ذلك الوقت وضع قيوداً شديدة يجب أن يتبعها كل من بريد بناء منزل جديد فى الفضاء القريب من أسفل الجبل الذى بنيت فوقه المدينة القديمة .

أمر موسى بويشى أن يكون عرض الشوارع الرئيسية عشرين ذراعا (١٤ مترا تقريبا) ، وعرض الشوارع الجانبية اثنا عشر ذراعا أما الأزقة فيجب ألا تقل عن ثمانية أذرع . كما خطط فيها بعض الميادين وحرم أن يرتفع أى منزل أكثر من طابقين .

كان موسى بوبيسى رجلا ذكيا ، وكان يسافر إلى القاهرة كل عام ورأى أنه من الضرورى تطبيق مثل هذه القواعد ليضمن للسكان الحياة فى منازل صحية تأخذ نصيبها الكافى من الهواء والضوء لان شوارع المدينة القديمة المحصنة كانت ضيقة جدا إلى الدرجة التى كانت لا تسمح لحمارين محملين ان يجتازا الشارع فى اتجاهين متضادين فى وقت واحد ، واذا حدث أن تقابل اثنان فكان يتحتم على واحد منها أن يرجع القهقرى حتى يصل إلى شارع صغير جانبى أو يدخل فى أحد المنازل ليتيح للآخر فرصة المرور .

لقد ترك لنا الرحالة الذين زاروا سيوة فى أواخر سنى القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر وصفا لما فى الواحة من أثار قديمة كما تركوا لنا أيضا معلومات هامة عن بعض مظاهر حياة أهل الواحة فى ذلك الوقت بل أن بعض أولئك الرحالة أمثال « كايو » الذى ذهب اليها فى عام ١٨١٩ قبل وصول حملة محمد على و« فون مينو تولى » الذى زارها بعد الحملة بقليل فى عام ١٨٢٠ تركوا لنا ، إلى جانب ما كتبوه ، رسوما ذات قيمة كبيرة ترينا كيف كانت « شالى » وكيف كانت « أغورمى » فى تلك الأيام .

ومنذ عام ١٨٢٦ كما قلنا بدأ السيويون يبنون بعض المنازل خارج « شالى » أكثرها كان عند سفح مدينتهم المحصنة التى يرجع تاريخ تأسيسها إلى العصور الوسطى كما بنوا أيضا بعضا منها بعيدا عن موقع المدينة وقريبا من الحدائق .

واستمرت بعض العائلات تعيش فى المنازل التى عند سفح جبل سيوة بعد أن تهدمت المنازل المشيدة فى داخل المدينة المحصنة بل أن هذا التهدم مازال مستمرا واذا ما قارنا صورى الفوتوغرافية التى صورتها فى عام ١٩٣٨ مع الصور التى صورتها فى

عامى ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ نجد كثيرا من التغيير اذ سقطت بعض المبانى الخالية من السكان وتهدمت أجزاء كثيرة من السور .

وعند زيارتى الأولى لسيوة فى ١٩٣٨ سمعت كثيرا من القصص عند تهدم المدينة . فقد قصوا على أن كثيرا من العائلات ظلت محتفظة بسكنها فى شالى حتى عام ١٩٢٦ ، وكانوا يرفضون ، وبخاصة النساء ، ترك المنازل التى ولدوا فيها ليعيشوا فى منازل جديدة رغم ثرائهم وقدرتهم على تشييد منازل فسيحة جديدة ، ولكن حدث فى تلك السنة (١٩٢٦) ان هطلت أمطار غزيرة استمرت ثلاثة أيام متعاقبة كان من أثرها انهيار بعض تلك المنازل وتصدع الباقى ولهذا لم يجد أصحابها بدا من تركها خوفا على حياتهم .

ومنذ هذا الحادث ترك من بقى من سكان شالى منازلهم القديمة كما حدث الشئ نفسه فى بلدة أغورمى القديمة ، وشيدوا منازل جديدة عند سفح الجبل أو الصخرة واستخدموا فيها الأبواب والشبابيك وعروق السقف من أفلاق النخيل ، التى استطاعوا نزعها فى حالة صالحة من منازلهم القديمة .

وبالرغم مما أصبحت عليه الآن مدينة سيوة القديمة من تخريب وتهدم فإن الزائر مازال يستمتع بالنظر اليها لانها تسيطر على المنظر العام للمدينة وتفرض شخصيتها على المكان كله، كما تضيف مساجدها القديمة ، ذات الشكل المخروطى والطرز المعمارية الخاصة بها الشئ الكثير إلى جمال المنظر .

ويستطيع الزائر أيضا أن يلقى نظرة على المدخل القديم للحصن « الباب انشال » الذى يؤدى إلى دهليز ضيق نجد فيه مسطبة مشيدة بالطين كان يجلس عليها حارس البوابة وعلى مقربة منه موقد كانت تشتعل فيه النار ليلا ونهارا ، كان يستعين به السكان اذا ما انطفأت نيران مواقدهم أو المشاعل التى كانوا يستضيئون بها . وقبل أن يعم استخدام الكبريت فى هذه الواحة اعتاد السيويون أن يحصلوا على النار بحك قطعتين من حاملات عراجين البلح ببعضها البعض حكا قويا سريعا ، ومازالت هذه

الطريقة معروفة ومستخدمة حتى الآن فى بعض الحطايا البعيدة فى هذه الواحة عند الحاجة .

مازال الشارع الضيق الذى كان خلف البوابة باقيا حتى الآن وفى مقدورنا القاء نظرة على الباب الصغير التى كان يؤدى إلى الغرفة التى كانوا يستخدمونها سجنا ، فاذا ما تقدمنا مسافة بسيطة نرى أن المكان قد اتسع ، ونجد بقايا المصاطب التى كان يجلس عليها الأجواد تحت مظلة كانت هناك ، وعلى مقربة من هذا المجلس نجد باب الجامع العتيق المبنى بالكرشيف مثل باقى المدينة القديمة . والمسجد نفسه مشيد خارج سور المدينة ولكن ليس له بابا الا من الداخل ، وفى الجهة الشمالية الشرقية منه غرفتان واسعتان ، كل واحدة منهما كانت مخصصة لأحد فريقى السكان المتنافسين ، احدهما للشرقيين (ويسمون أيضا « التخصيب » والثانية للغربيين « ويسميهم منافسوهم » اللغاية) ومازال هذا الجامع مستخدما حتى الآن فى الصلاة وبخاصة فى بعض المواسم ، وكان السكان يعتمدون فى الحصول على الماء اللازم لهم على وجود أربعة آبار بين منازلها .

وفى أيامنا الحالية ، بعد هجر السكان لمدينتهم القديمة ، وأصبح مركز مدينة سيوة فى المكان القريب من مبانى الحكومة والجامع الجديد وفى ميدان السوق نجد السيويين والعمال الاغراب يجلسون على المقاهى القليلة هناك ، كما نجد عددا كبيرا من المتاجر منتشراً فى كل أرجاء السوق .

ومن الأشياء المألوفة أن من يسير فى شوارع سيوة سواء على قدميه أو فى سيارة ، يجد كثيرا من الأطفال يلعبون أمام منازلهم ، ولكن اذا حدث ورأى أمرأة تسير فى الطريق أو تجلس فوق عربة يجرها حمار ، فانه لا يرى الا شيئا ملتفا فى ملابس داكنة اللون ، واذا ما لمحت غريبا فانها تغطى وجهها أيضا بجزء من ملاءتها التى تضعها فوق رأسها وتلف بها جسدها .

والسيويون قوم محافظون فى العادة ولكن ليس من الأمور الصعبة أو المستحيلة معرفة المزيد عن حياتهم أو زيارة منازلهم وحدائقم خصوصا اذا قام بعمل الترتيبات لمثل هذه الزيارة أحد موظفى الحكومة ذوى النفوذ أو أحد رؤساء العائلات .

وما من شك فى أن تغييراً كبيراً قد طرأ على حياة السيويين ولم تعد مدينتهم ذلك الحصن الذى يستثير الخيال ويعود بزائره إلى أيام العصور الوسطى ، لقد استمر ذلك إلى حد ما حتى بداية هذا القرن ، ثم أخذ التغيير يسير بخطى سريعة حتي الآن ، ان سيوة الآن ، سيوة التى زرتها هذا العام تختلف اختلافاً كبيراً عن سيوة التى عرفتها من قبل ، بل وتختلف عن سيوة التى عرفتها قبل عشرين عاما .

ولكن بالرغم من كل هذه التغييرات فانها مازالت من أكثر البلاد جمالا واستحقاقا للزيارة ، ليس بين بلاد الصحراء وحسب ، بل فى مصر كلها ، وستظل دائما نقطة مضيئة فى ذاكرة من يسعده الحظ بزيارتها .

العـــيون والحدائـــق والمحاصـــيل :

يبلغ تعداد سكان سيوة ، حسب تعداد ١٩٦٦ ، خمسة آلاف ومائة وتسعة وستين نسمة (٢٧٠٢ من الذكور ، ٢٤٦٧ من الاناث) والذين يقيمون منهم فى مدينة سيوة نفسها ٣٥٦٩ نسمة ، والذين يقيمون فى ضواحيها القريبة منها هم ٢٨٩ نسمة ، أما سكان أغورمى القريبة من سيوة فيبلغ عددهم ٥٣٧ نسمة وبعبارة أخرى فانه من بين ٥١٦٩ نسمة يسكنون الواحة كلها يسكن منهم ٤٣٥٩ فى مدينة سيوة وعلى مقربة منها فى دائرة لا يزيد قطرها عن عشرة كيلو مترات . أما الباقون وعددهم ٩٧٤ نسمة فانهم يقطنون فى قرى متفرقة فى المنخفض ، ويعيش منهم فى المراقى ٥٥٨ نسمة وفى أبو شروف ٥٣ نسمة وفى حطية الزيتون ٢١ نسمة ، ويشمل التعداد الكلى لسكان سيوة منطقة قارة أم الصغير على حافة منخفض القطارة على مسافة ١٣٠ كم من مدينة سيوة ، ويبلغ تعداد سكانها ١٤٢ نسمة .

ويتضح من هذه الأرقام أن الجزء المكتظ بالسكان فى هذه الواحة يتركز فى الجزء الأوسط منها حيث توجد مدينة سيوة وحيث توجد أهم العيون والحدائق ، ولكن الأمر فى العصور القديمة الماضية كان يختلف بعض الشئ عما نراه الآن ، وذلك لان وجود الكثير من المناطق الأثرية وفيها مقابر منحوتة فى الصخر ومعابد ، مثل المراقى وخميسة وأبو شروف والزيتون وأبو العواف يثبت انه كانت فى هذه الجهات ، حتى خلال العصر الرومانى ، بلاد أو قرى صغيرة فى الوقت الذى ازدهرت فيه المدينة الرئيسية فى الواحة ، وكانت اذ ذاك فى الموقع الذى تحتله أغورمى الآن .

وقد ذكر بعض كتاب العرب ان أكثر من ألف عين كانت مياهها تتدفق فى سيوة وحتى لو وضعنا فى اذهاننا انه من المحتمل جدا أن يكون هذا الرقم مبالغا فيه فلست اشك فى أن عدد العيون فى سيوة فى العصور السابقة كان أكبر بكثير من عدد التى توجد فيها الآن وعددها مائتان وواحد وثمانون عينا [٥] .

ومشكلة سيوة الرئيسية ليست ندرة مياه عيونها أو قلتها بل فى الحقيقة هى كثرة المياه التى تتدفق من عيون الماء وعدم كفاية المشروعات الخاصة بالصرف . ففى هذه الواحة كثير من العيون الجارية التى لا يستفيد أحد من مياهها أو يستخدمها فتذهب تلك المياه إلى البحيرات المالحة التى يرتفع منسوب مياهها باطراد ويسبب الضرر لما جاورها من الأراضى المزروعة لارتفاع منسوب المياه الجوفية وعدم وجود نظام للصرف للتغلب على هذه المشكلة .

ومن أمثلة ذلك فان بعض العيون ومنها عين قريشت أكبر عيون سيوة ومن أهم العيون فى جميع الواحات ، تضيع مياهها سدى وتذهب مياهها إلى عين الزيتون [٦] ، وبسبب ذلك نجد بضع آلاف من الأفدنة الصالحة للزراعة قد استحالت إلى أراضى كرشبف ، وليس هناك أى شك فى أن تلك الأراضى كانت مزروعة فى العصور القديمة وان كثيرا من الناس كانوا يعيشون فيها والدليل على ذلك وجود الآثار الكثيرة ، سواء قريبة جدا من العيون أو على مسافات غير بعيدة منها ، مما يثبت أن اولئك السكان

كانوا على درجة من التقدم ومن الثراء الذى ساعدهم على تشييد تلك المعابد وغيرها .

وهناك مثل آخر فى الجهة الغربية من الواحة فان منطقة المراقى كانت آهلة بسكانها وكان جزء كبير من أراضيها مزروعا وذلك حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، كما نعرف من كتابات المقريزى المؤرخ المصرى المعروف [٧] .

ومن الأمور التى ينشرح لها صدر من يزور واحة سيوة ، وقوفه إلى جانب بعض العيون بين الحدائق ، واستمتاعه بالنظر اليها . فهى محاطة عادة بسور دائرى مشيد بالحجر فوق الصخر الذى يحيط بالعين وجمالها الحقيقى فى ألوان الطحلب الأخضر والمياه التى تخرج من عدد من الشقوق الطبيعية التى فى الصخر ويحمل بعضها معه فقاعات من الغاز تتراقص فى مياه العين حتى تصل إلى السطح ، وتكون هذه العيون فى أجمل حالاتها عندما تكون اشعة الشمس غامرة لها وتظهر فى انعكاسات اشعتها ألوان متعددة الأطياف بين الزرقة والخضرة ، تتخللها صور النخيل المعكوسة ، ففى مثل هذه اللحظات يكاد الانسان أن ينسى كل شئ إلا هذا المنظر الجميل الذى يحيط به الهدوء والهواء العليل فلا يملك المرء إلا أن يطيل الصمت واذا تحدث إلى صديق معه فلا يخرج الكلام إلا همسا كما لو كان يخشى أن يعكر صوته هدوء المكان أو يؤثر على إنعكاس الألوان أو يخل بنظام اندفاع وتراقص الغازات التى تخرج من شقوق الصخور .

ومن أجمل عيون واحة سيوة العين المعروفة باسم « عين الجوبة » على مسافة غير بعيدة من معبد « أم عبيدة » فى أغورمى ، ومازال بعض الأهالى يسميها باسم « عين الحمّام » كما كانت تعرف من قبل لانه حتى نهاية القرن الماضى كانت العين التى تأتى اليها الفتيات بعد الظهر فى يوم زواجهن لتغتسلن فيها ، أما الآن فقد أخذت « عين طموسى » مكانها نظرا لانه لم يعد لعين الحمام ما كان لها من ميزة البعد عن الطريق العام حتى تكون للنساء خلوتهن .

وعين الجوبة ، (عين الحمام) ليست إلا « عين الشمس » التى ذكرها المؤرخ الاغريقى هيرودوت فى كتابه الذى كتبه حوالى عام ٤٥٠ ق.م. وقال عنها انها احدى عجائب بلاد الامونيين (واحة سيوة) : « وعندهم عين أخرى ماؤها فاتر فى الصباح المبكر ثم يأخذ ماؤها فى البرودة فى الوقت الذى يبدأ فيه سكان المدينة فى الخروج من منازلهم حتى اذا حل وقت الظهر أصبح ماؤها باردا جدا ، وهذا هو الوقت الذى يستخدمون فيه مياه هذه العين لرى حدائقهم ، وكلما تقدم اليوم نحو المساء أخذت حرارة الماء ترتفع وتصبح فاترة عند غروب الشمس ، وبعد الغروب تزداد حرارتها شيئا فشيئا حتى تصل إلى درجة الغليان فى منتصف الليل ، وبعد منتصف الليل تسير الدورة فى طريق عكسى وتأخذ المياه التى تغلى فى البرودة رويدا رويدا حتى يحين الفجر . وتعرف هذه العين باسم عين الشمس » [٨] .

وتبلغ مساحة الأراضى المزروعة فى سيوة ١٣٠٠ فدانا منها ١٠٠٠ فدان حدائق أما الباقى ومساحته ٣٠٠ فدان فيزرعون فيها مختلف المحاصيل .

وأهم الأشجار التى تنمو فى الحدائق هى أشجار النخيل وأشجار الزيتون ، وهما المورد الأساسى لدخل الواحة ، ولكن إلى جانب هذين النوعين نجد أشجاراً أخرى من أنواع مختلفة من أنواع الفاكهة لان أكثر أنواع الأشجار التى تنمو فى وادى النيل وفى الواحات الأخرى ، من الممكن أن تنمو هنا أيضا ما عدا أشجار البرتقال والمانجو والجوافة التى لا تجود زراعتها فيها بسبب طبيعة تركيب تربتها .

ومن الممكن زراعة كل أنواع الخضروات المعروفة ما عدا البطاطس وعلى أى حال فان زراعة الخضروات أو المحاصيل ، وعلى الأخص الشعير والقمح تحتاج إلى مجهود كبير من العمال لانه يتحتم عليهم أن يعزقوا الأرض إلى عمق قليل ، يصل إلى المتر أحيانا ، ليصلوا إلى تربة أفضل ويتفادوا الملح الذى يتجمع على سطح الأرض لان فى وجود هذا الملح خطرا كبيرا على النباتات فى بداية نموها .

ويهتم بعض الأغنياء من ملاك الأراضى بزراعة بعض الأزهار ، وعلى الأخص الورد والنعناع ، ويسرهم تقديمها إلى ضيوفهم عندما يدعونهم إلى حدائقهم اذ أن

حضور مثل هذه الولائم من الأمور التى تدخل السرور على النفس وهناك يجلس الزائرون على الطنافس والوسائد ويضعون أمامهم أكواما من فواكه الموسم والبسكويت وأنواع الحلويات والفول السودانى فوق طاولات غير مرتفعة ، وعلى مقربة من مكان جلوس الضيوف أمام أنظارهم يقومون بعمل الشاى الأخضر ويقدمونه ثلاث مرات فى أكواب صغيرة . واذا كان الضيوف ممن يهتم بهم الشيخ الذى دعاهم اهتماما خاصا فانه يقدم لهم أيضا « الجُمّار » وهو القلب الأبيض لرأس النخلة ، وهو لذيذ الطعم ويأخذونه عادة من قلب نخلة ذكر لا يحتاجون اليها ولا يسبب لهم فقدها على هذه الصورة ضررا كبيرا .

ويحيط بكل حديقة ، فى العادة سور يشيدون الجزء الأسفل منه من الطين أما الجزء العلوى فانه من أجزاء جريد النخل ، ويبلغ ارتفاع السور مترين تقريبا . ويجب الا يتوقع زائر سيوة أن يرى بين حدائقها ما يمكن أن نطلق عليه حديقة منظمة أو معتنى بها أو حتى شبه نظيفة ، فكل ما فيها يظهر فيه عدم التهذيب ويفتقر إلى النظافة التى يجب أن تتوقعها عند سماع كلمة حديقة ، ولكن هناك بعض الزائرين الذين يفضلون رؤيتها على هذه الصورة بل ويرون أنها فى حالتها الوحشية أكثر جمالا لأنها تكون أقرب إلى الطبيعة .

وحيثما يذهب الانسان يجد النخيل أمام ناظريه، ففى هذه الواحة ٢٤٠٫٠٠٠ نخلة [٩] منها ١٠٠٫٠٠٠ من النوع الذى يعرفها باسم « صعيدى » وهو أفضل الأصناف وأكثرها رواجا فى الأسواق التجارية فى مدن وقرى وادى النيل ، ولدى البدو الذين يعيشون على الساحل .

ويلى الصعيدى فى الأهمية النوع المعروف باسم « الفريجى » الذى يوجد منه بسيوه ٦٨٥٤ نخلة ، وهناك نوع من البلح اسمه « الغزالى » له شهرة بين أهل سيوة بفائدة لمن يكون قد فقد نشاطه الجثمانى اذ يساعده على استعادة شئ من هذا النشاط وهناك أيضا نحو ١٠٠٫٠٠٠ من النوع المسمى « العزاوى » وهم يعتبرونه أقل فى المرتبة من جميع الأنواع الأخرى ويقدمونه عندما يجف لتأكله الحمير ، وينظرون اليه

كشئ قليل القيمة لانهم لا يستفيدون إلا من جريده وجذعه، ويبلغ عدده حوالى ٢٣٫٠٠٠ نخلة .

والنخيل هو أهم الأشجار التى يعتنى أهل سيوة بزراعتها أكثر من أى نوع أخر ويوجهون إلى أشجاره أقصى اهتمامهم ويلعب دورا كبيرا فى حياتهم ، فكثيرا ما يطرب الانسان عند سماعه لاحد الزقالة أو غيره من عمال الزراعة السيويين وهو يغنى باللغة السيوية أثناء عمله وهو فى أعلى النخلة ، فإن نغماته الطويلة التى تطرب لها الأذن تسمع من مسافات بعيدة ، وفى اللحظة التى يتوقف فيها عن غنائه يجيب عليه شخص أخر من احدى الحدائق القريبة ، ومن المعروف أن لكل نوع من الأعمال التى يقوم بها عامل الزراعة السيوى وهو فوق شجرة النخيل أغنية خاصة ، وفى استطاعة أى شخص سيوى أن يعرف فى الحال نوع العمل الذى يؤديه.

ويعتمد السيويون اعتمادا كبيرا على النخيل ، فالبلح هو دون شك المصدر الأول لدخلهم الاقتصادى وتغذيتهم ولكن إلى جانب البلح فانهم يستخدمون أجزاء النخلة المختلفة فى تشيد منازلهم فجذوع النخل (تقسم عادة إلى قسمين) تستخدم لحمل السقف وفى بعض الأحيان لعمل الأبواب ، ويستخدم الجريد لاجل السقف ، أما السعف فهم يستخدمونه فى صناعة الحصر وجميع أنواع الأطباق والمواعين وبخاصة النوع المسمى « مرجونة » وهى من الأدوات التى تلعب دورا هاما فى حياة السويين ويمدهم النخيل أيضا بشرابهم المفضل « اللبجى » وهو منعش ولذيذ الطعم عندما يكون طازجا ، ولكنه يصبح مسكرا اذا تخمر ، ويقوم بعض السيويين بعمل نوع من نبيذ البلح من « الفراوى » وذلك بالرغم من مخالفة ذلك للقانون ، وكان أحد اليونانيين المقيمين فى الاسكندرية يأتى سنويا إلى سيوة فى شهور الصيف حتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ويقوم باستخراج الكحول من نبيذ البلح .

ويلى شجرة النخيل فى أهميتها شجرة الزيتون التى يوجد منها فى سيوة ٢٥٫٠٠٠ شجرة لا يقل عمر بعضها عن بضع مئات من السنين كما يؤكدون ، وخير أنواع حدائق الزيتون نراها فى حطيه خميسة . وتوجد الآن فى سيوة معصرة زيتون

هيدروليكية إلى جانب المعاصر التقليدية القديمة التى تدار باليد .

وينمو بحدائق سيوة أشجار لفواكه أخرى ولكن ما يحصلون عليه من ثمارها لا يمكن اعتباره مصدر دخل للواحة لأن أكثره يستهلكونه محليا ، ولا يصدرون منه إلى خارج الواحة ، إلا كميات قليلة . وعدد أشجار العنب يزيد قليلا عن ألف شجرة ، كما تنمو فى حدائقها بعض أشجار الليمون الحلو والتين والرمان والليمون البنزهير ، كما نجد بين حين وآخر أشجارا من الخوخ والبرقوق والتوت والكمثرى والخروب واللوز ، ولكن أكثرها لا ينتج ثمارا إلا من نوع ردئ وعددها مجتمعة لا يتجاوز مائة شجرة وقد حاول عدد كبير من السيويين فى السنين الأخيرة أن يدخلوا إلى واحتهم زراعة أشجار فواكه أخرى ، مثل المانجو ، ولكن ذهبت كل محاولاتهم عبثا .

وفى هذه الحدائق تنمو أكثر الخضروات التى يمكن زراعتها فى وادى النيل وأحب الأنواع اليهم نبات الملوخية والبامية والباذنجان ، والقرع ، والفلفل ، والرجلة ، والطماطم والخيار ... الخ ، ولا تجود زراعة البطاطس فى سيوة ، أما الأرز فانه يمكن زرعه ولكن الحكومة حرمت زراعته منذ سنين كثيرة خوفا من انتشار الملاريا ، وأهم المحاصيل التى تنمو بنجاح هى الشعير والقمح والأذرة .

عائــــلات ســــيوة :

استنادا إلى ما ذكره « مخطوط سيوة » ، فان الأربعين رجلا الذين أسسو « شالى » كانوا ينتسبون إلى سبع عائلات ولكن عدد هؤلاء الرجال الأربعين وعائلاتهم أخذ يزداد مع مرور الزمن ، وأخذت بعض تلك العائلات ترتبط بروابط وثيقة مع بعضها ، وبعد ردح من الزمن أصبح الذين يقطنون فى القسم الشرقى من مدينتهم المحصنة يسمون « الشرقيين » ويعتبرون أنفسهم منتمين إلى جماعة واحدة ، ويقابلهم الذين فى القسم الغربى من المدينة ويسمون « الغربيين » ، ويكونون الجماعة أو الفريق المنافس لهم .

ويميل السيويون إلى التأكيد لزوار واحتهم بأنهم من نسل بدو من العرب وان بعض قبائلهم التى ينتمون اليها جاءت من شمال افريقيا ، بل ويذكر بعضهم ان اسلافهم جاءوا من بلاد العرب ، بل أن أحد السيويين أخذ يفتخر مرة أمامى بأن جده الأكبر كان من أهل مكة . ولكن الحقيقة هى أن السكان الأصليين لسيوة ليسوا الا فرعا من احدى قبائل « زناته » الذين اختلطوا مع مرور الأيام ببعض البدو من قبائل مختلفة ممن يعيشون إلى الغرب من وادى النيل ، وفى ليبيا وغيرها من بلاد شمال افريقيا ، أضف إلى ذلك أن سيوة كانت فى العصور الوسطى محطة هامة من محطات القوافل ، وسوقا لتجارة الرقيق ، وهذا هو السبب فى وجود اثر الاختلاط بالعنصر الزنجى فى ملامح بعض السيويين الحاليين . والعائلات الأصلية فى هذه الواحة هى « الظناين » و« العدادسة » و« الحدادين » ويكونون مجتمعين جماعة الشرقيين « الذين يسمون عادة باسم « التخصيب » وهو تعبير يمكن تفسير مدلوله على أن صاحبه شخص لطيف المعشر ، صريح ولا يميل إلى الاعتداء على غيره . أما « الغربيون » فيتكونون من عائلات « أولاد موسى » و« العراقنة » و« الشحايم » و« البعاونة » ويطلق عليهم منافسوهم اسم « اللفاية » ومدلولها يكاد يكون عكس الوصف الذى يطلق على الفريق الاخر .

ويذكر « مخطوط سيوة » أن عائلة « البعاونة » بعد فترة من الزمن تركت « شالى » وذهبت إلى « أغورمى » حيث سكنت هناك مع من كانوا يعيشون فيها من « الرومان » .

المعارك بين الشرقيين والغربيين :

يشير « مخطوط سيوة » وما قصه أهلها على زائريهم منذ زيارة براون فى أواخر القرن الثامن عشر إلى حدوث معارك بين فريقى السكان ، وكانوا يسمون هذه المعارك حروبا ومازالوا يستخدمون هذا التعبير عند اشارتهم لتاريخ واحتهم فى سالف الأيام ، اذ كانت تلعب هذه الحروب دورا هاما فى حياتهمن الاجتماعية ، وكانت هناك قواعد يجب اتباعها ، وشروط يلتزم الجانبان باحترامها .

فعندما كانوا يقررون نشوب القتال بين الشرقيين والغربيين كان يتحتم على جميع الرجال القادرين على حمل السلاح الاشتراك فى المعركة . وفى اليوم المعين كانوا يقفون صفين متقابلين ، كان الظناين يحتلون دائما وسط صف الشرقيين وأمامهم يقف رجال عائلتى « السراقنه » و« الشحايم » من الغربيين ، وفى الجناح الأيمن للشرقيين كان يقف « العدادسة » وأمامهم « أولاد موسى » من الغربيين ، وفى الجناح الأيسر للشرقيين كان يقف الحدادين وأمامهم « البعاونة » سكان أغورمى الذين كانوا يعتبرون أنفسهم دائما من الغربيين ، أما النساء فكن يخرجن ليقف كل فريق وراء رجاله على مسافة غير بعيدة يشجعون المحاربين ، ويقذفون بالأحجار من يظهر الجبن منهم ويحاول الفرار .

وقبل أن ينتشر استخدام الأسلحة النارية كانوا يتحاربون منذ شروق الشمس حتى غروبها ، فاذا لم يسلم أحد الريقين بالهزيمة ويفر من الميدان عادوا إلى منازلهم ليقضوا فيها الليل ، كجيران لا يوجد ما يعكر الصفو بينهم ، ليستأنفوا القتال فى صباح اليوم التالى ، ويستمرون على ذلك حتى يسلم أحد الفريقين بالهزيمة .

وبعد ظهور الأسلحة النارية واستخدامها فى حروبهم كانوا يقفون فى صفين متقابلين كالمعتاد ، ولكن على مسافة بعيدة ، وعند اعطاء اشارة معينة يطلق كل فريق النار على خصمه مرة واحدة فقط ثم يتوقفون للعناية بالجرحى ونقل من عساه أن يكون قد مات ، وبعد مرور وقت كاف للانتهاء من ذلك وتعمير بنادقهم بحشوها بالبارود كانوا عند صدور اشارة أخرى يطلقون بنادقهم مرة ويستمرون على هذه الحالة حتى يعترف أحد الفريقين بالهزيمة ويطلب الاستسلام أو يفر هاربا من ميدان المعركة .

كانوا يخوضون معاركهم على هذه الصورة البطولية ، وكثيرا ما بلغ عدد القتلى فى كل من الفريقين عشرات الرجال بجانب الجرحى الكثيرين قبل أن يعترف أحد الفريقين بالهزيمة . ومن الأمور التى تستلف النظر أنه بعد مثل هذه المعارك التى كانت تستغرق عدة أيام متتالية ، وتفقد فيها أرواح كثيرة كان كل من الفريقين يعود للسكنى فى منازله ، جيرانا كان لم يحدث بينهما شئ ومازال السيويون يقصون قصصا كثيرة عن

تلك « الحروب » وسأقص اثنين منها بشئ من التفصيل لأوضح نوع الفروسية الذى كانوا يعجبون به، ومازالوا يتذكرونه ويقصون قصته بكثير من الاحترام .

بطل من أبطال سيوة :

من أحب قصص تلك الحروب إلى قلوب السيويين ، وبخاصة الغربيين ، قصة معركة « الرملة » التى حدثت فى عام ١٧١٢ . فقد كان من الأمور المتفق عليها بين الشرقيين والغربيين انه لم يكن يسمح بتوسيع أى طريق من طرق المدينة دون موافقة رؤساء العائلات (الأجواد) من الفريقين لانهم كانوا يعتبرون أنفهسم شركاء فى المدينة كلها .

فى تلك السنة أراد الشرقيون توسيع أحد الشوارع الصغيرة الذى يؤدى إلى الحدائق نظرا لضيقه الشديد . وكانت السلطة فى ذلك الوقت فى يدى أحد مشايخ الشرقيين ، ولهذا السبب ، واستجابة للعناد والمعارضة رفض الغربيون توسيع الطريق رفضا باتا . وكان هذا الحادث البسيط مدعاة للغضب والتحرش فى كل من الجانبين ، وبدأوا يخربون ويتلفون حدائق ومحاصيل بعضهم البعض خلسة وفى أثناء الليل .

لم تكن هذه الحوادث من الأمور التى يرتاح لها « الأجواد » فعقدوا فيما بينهم اجتماعا للصلح ولكن الغربيين صمموا على املاء شروطهم وكان الشرقيون يميلون إلى السلم وقبلوا أن يضربوا صفحا عن كل ما لحق بهم من خسائر وقبلوا أيضا أن يدفعوا ما طالب به الغربيون على سبيل التعويض . ولكن هذا الموقف المتسامح زاد من غطرسة الغربيين فسحبوا قبولهم لشروط الصلح التى تم عليها الاتفاق محتجين بأن « الزقالة »[١٠] الغربيين لم يوافقوا على الاتفاق وأصروا على أن يدفع الشرقيون ضعف التعويض المتفق عليه، وبالرغم من هذا المطلب القاسى فقد رضى الشرقيون بقبوله. واعتقد الغربيون أن الشرقيين خائفون منهم ، وزادوا من تعسفهم وتحديهم ظانين بأن فرصتهم قد حانت لتصبح فيهم زعامة الواحة ويخضعون منافسيهم لسلطانهم ، ولهذا رفضوا الاتفاق الثانى وأصروا على الحرب .

ذهب بعض مشايخ الغربيين إلى زعيم البعاونة فى أغورمى وكان اسمه « أحمد الحاج عمر » وسألوه أن يشترك هو ورجاله فى الحرب كما جرت العادة فرفض ذلك لاعتقاده بأن أهله الغربيين كانوا مخطئين فى موقفهم وعندما اتهموه بأنه خائف من الحرب أجابهم بأنه لا يوافقهم على رأيهم وحذرهم من عواقب غدرهم وتحديهم دون وجه حق لجيرانهم الميالين إلى السلم . وبدأ الانقسام يدب بين رؤساء البعاونة ووافق بعض أقربائه على الانضمام للغربيين ووجدوا أن واجبهم يحتم عليهم أن يشتركوا فى المعركة مادامت أغلبية مشايخ الغربيين قد وافقت على ذلك ، وأن يحتلوا مكانهم فى صف الغربيين حسب ما اعتادوا عليه من مئات السنين . فلما رأى أحمد ذلك وافق فى النهاية على أن يذهب على رأس رجاله للاشتراك فى المعركة ولكن على شرطين أولهما ألا يهاجموا عدوهم فى الليل كما حدث فى الأيام الأخيرة من تخريب الحدائق والمحاصيل فى الليل ، وألا يلجأوا إلى أى حيل أو ألاعيب بل يخوضون حربا حسب تقاليد أبائهم ، أما شرطه الثانى فهو أنهم يقسمون جميعا على القرآن ألا يهرب أى واحد منهم من ساحة المعركة ، بل يجب أن يستمروا فى القتال لانه بعد هذه العداوة الجديدة وموقفهم المتعنت الظالم فان أحد الفريقين يجب أن يزول ويختفى ولهذا يجب أن يستمروا فى القتال حتى يموتوا جميعا أو يقضوا على أعدائهم قضاء تاما ، وبهذا يتيسر للفريق المنتصر أن يعيش وحده فى الواحة بسلام ، فوافقوه جميعا على هذين الشرطين .

وفى اليوم المحدد للمعركة كان أحمد الحاج عمر على رأس رجاله، وكان كالأسد أثناء المعركة ، ولكن الشرقيين كانوا أقوى من خصومهم وكان رجالهم أشجع وأكثر مهارة فى القتال ولم يلبث الغربيون جميعا حتى لاذوا بالفرار تاركين وراءهم قتلاهم وجرحاهم ما عدا رجل واحد إستمر وحده فى ميدان القتال ، ورفض أن يتوقف عن الهجوم على خصومه، ولم يكن هذا الرجل الا أحمد الحاج عمر نفسه.

وامتلأت نفوس محاربى الشرقيين اعجابا بشجاعته العظيمة ورموا بأسلحتهم عند موطئ أقدامه وسارعوا بتقبيل رأسه ويديه ونادوه بأنه بطل المعركة وفارس اليوم .

وكان أحمد يحس بالخجل الشديد لما ظهر من جبن أهله ورجال عشيرنه الذيم لم يبروا بيمينهم الذى أقسموا به على أن يحاربوا حتى الموت ورفض أن يعود إلى منزله فى أغورمى . وعرض عليه الشرقيون أن يزوجوه من ابنة أى شيخ كما يشاء وألحوا عليه أن يوافق على أن يأتى معهم إلى « شالى » ويعيش معززاً مكرما بينهم ، وقد قبل أحمد المصاهرة ولكنه رفض الاقامة فى بيوت الشرقيين وشيد لنفسه منزلا فى حديقة يمتلكها فى منتصف المسافة بين شالى وأغورمى .

وعاش هناك سبعة عشرة عاما ، حياة تكاد تخيم عليهم الوحدة الكاملة حتى استطاع أهله وعشيرته أن يؤثروا عليه ويقنعوه بأن ينسى موقفهم المتسم بالجبن وأن يصفح عنهم . وكان قد أصبح متقدما فى العمر ، وأخذ جسمه ينوء بما يحمله من السنين فوافق أخيرا على أن يعود إلى أغورمى ويقضى ما بقى له من سنوات حياته فى المنزل الذى ولد فيه وقضى فيه أيام شبابه.

ويحق للقارئ أن يستاءل كيف يمكن للشرقيين والغربيين ــ بعد مثل هذه المعركة ــ الحياة معا كجيران فى منازل متقاربة داخل مدينتهم المحصنة وكيف يستطيعون العمل فى حدائقهم المتجاورة . والجواب على ذلك أنهم سرعان ما كانوا يتناسون ما حدث ويستأنفون حياتهم . ولنعد ثانية إلى قصة حرب الرملة فان الأمر لم ينته عند يوم الهزيمة بل كان له ما وراءه .

فقد فر الغربيون من ميدان المعركة إلى حدائقهم ، ورأى الشرقيون أن أعداءهم يستحقون المزيد من الاذلال فهاجموا بيوتهم ووجهوا الاهانات إلى نسائهم ، وأخذوا من بيوتهم كل ما راق فى أعينهم . واستمرت هذه الحالة أياما ثلاثة سمح المنتصرون فى نهايتها لخصومهم أن يعودوا إلى منازلهم ولكن بعد قبولهم لأربعة شروط ، تعطينا فى حد ذاتها صورة من الحياة فى سيوة فى تلك الأيام وتعطينا أيضا فكرة عن عقلية السيويين .

ويقضى أول تلك الشروط بأنه ابتداء من ذلك اليوم عند وصول أية قافلة تحمل سلعا للبيع يتحتم على الغربيين ألا يقربوا منها بل يقفوا بعيدا حتى يشترى الشرقيون

كل ما يريدون شراءه ، والشرط الثانى ينص على حرمان جميع أفراد الغربيين من حق البيع أو الشراء من رجال القوافل مباشرة بل يجب أن يتم ذلك عن طريق أحد الشرقيين ، والشرط الثالث لا يقل عن الشرطين السابقين فى اذلال الغربيين وينص على أنه إذا أراد أحد الشرقيين وأحد الغربيين أن يعبر جسرا فوق احدى القنوات فى وقت واحد فعلى الغربى أن يترك الأولوية للشرقى ومن يجرؤ على مخالفة ذلك يعتبر معتديا ويجب أن ينزل به العقاب ، والشرط الرابع أكثر غرابة من الشروط الثلاثة السابقة فقد كان لكل من الشرقيين والغربيين حدائق متجاورة فى حطيه خميسه [١١] ، وقد نص على أنه إذا غنى أحد زقالة الغربيين أثناء عمله فى احدى الحدائق ثم توقف عن الغناء وبدأ أحد الزقالة الشرقيين يغنى ، فليس يحق لأحد من الغربيين أن يتابع الغناء بعد أن ينتهى الشرقى من أغنيته. وظلت هذه الشروط الأربعة مرعية ، ولم يجرؤ الغربيون على نقضها مدة ثلاثة عشر عاما ، ولكن حدث فى عام ١٧٢٧ ما سبب قيام المنازعات بين الفريقين ووضعوا شروطاً واتفاقات جديدة . ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن تعداد سكان سيوة فى تلك الأيام لا يمكن أن نتصور أنه كان يزيد على ثلاثة آلاف شخص وأن أكثرهم كانت تربطهم ببعضهم رابطة القرابة ، وبالرغم من حروبهم ومنازعاتهم ومنافساتهم المستمرة فأنهم استطاعوا دائما أن يعيشوا معا فى واحتهم فى قلب الصحراء الليبية ، وفى اليوم الذى كانوا يتعرضون فيه لأى خطر خارجى ، كمهاجمة بعض البدو لهم مثلا ، فانهم كانوا ينسون فى الحال كل خلافاتهم ويواجهون عدوهم كرجل واحد .

قـصة رجـل شـجاع آخـر :

وها هى قصة أخرى ولكنها من نوع مختلف عن القصة السابقة . عندما أتى جنود محمد على لاخضاع سيوة فى عام ١٨٢٠ كان يرافق الحملة أحد مشايخ الغربيين ، واسمه « عل بالى » ، الذى عينته الحكومة فيما بعد عمدة لسيوة . وبعد مضى فترة من الزمن أخذ على بالى يخرج عن حدود وظيفته واستغل الموقف ليظلم الناس ويفرض سلطته وجبروته على الجميع فكرهه الجميع بما فى ذلك أقرب أهله .

وأخيرا استطاع أحد أبناء عمه أن يقتله، وفر على أثر ذلك . ومعه أخواه من سيوة، وأخذوا ينتقلون من مكان إلى آخر فى أرجاء الصحراء .

حدثت جريمة قتل « على بالى » فى عام ١٨٣٨ وكان قاتله يسمى « المبارك » وقد انتقم ابن على بالى لمقتل أبيه وصب جام غضبه على أعدائه، وفى السنوات التالية زاد هذا الابن واسمه « يوسف على بالى » من دسائسه واستطاع أن يجمع السلطة فى يده وأصبح فى عام ١٨٥٣ الزعيم المقرب من الحكومة وأهم شيخ فى الواحة كلها .

ولم يجد المبارك ترحيبا فى أى مكان آخر فى الصحراء و وضاقت به الحياة فى منفاه، وفى أحد الأيام عاد إلى سيوة وفى المساء ذهب إلى منزل على يوسف بالى ودخل عليه وخاطبه قائلا : « اذا كنت لم تعرفنى فانى (المبارك) الذى قتل أباك وها أنذا أمامك وأعطيك الحق الكامل فى قتلى ودمى ملك لك وهاأنا استسلم لك وتستطيع أن تقتلنى ان شئت لأنى استحق القتل . ولن يكلفك قتلى شيئا لأنى قد أحضرت معى الآن كفنى وها هى غدارتى اسلمها اليك لتطلقها على » .

ولم يرد عليه يوسف بشئ وانما أمر اتباعه بأن يضعوه فى السجن حتى الصباح .

وعندما انتظم « الأجواد » فى مجلسهم كعادتهم فى صباح كل يوم قص عليهم يوسف ما حدث فى الليلة السابقة وقال لهم أن شرفه يأبى عليه أن يقتل شخصا أتاه مستسلما وأمر بأن يخرجوه من السجن ويأتوا به، وأمام جميع الحاضرين أعلن انه قد سامحه وأنه أصبح حرا يفعل مايشاء فأجابه المبارك انه يعتبر حياته ملكا ليوسف طالما كان حيا على ظهر الأرض، وأصبح منذ ذلك اليوم أوفى اصدقائه. وبعد مضى أربع سنوات، أى فى عام ١٨٥٧ ثار الشرقيون ضد يوسف وقتلوه واضطرب أهله وأقاربه من الغربيين ولم يعرفوا كيف يتصرفون فى الأمر لانهم كانوا يدركون أن منافسيهم أقوى منهم بكثير، وفضلا عن ذلك فإن عددا كبيرا منهم كانوا يكرهون يوسف وطغيانه وظلمه، وأحسوا بالسرور عندما سمعوا خبر مقتله. لم يكن المبارك فى سيوة عندما قتل الشرقيون يوسف على بالى وانما كان فى القاهرة، وبمجرد أن سمع الخبر اسرع

عائداً إلى الواحة وبذل كل ما فى استطاعته ليقنع أكثرية الغربيين بأن يثأروا لمقتل زعيمهم .

وفى اليوم الذى حددوه للمعركة صاح المبارك بأعلى صوته مخاطبا الشرقيين الذى اصطفوا على سفح التل المجاور ، فوق جبل ادوار : « انى مدين بحياتى للرجل الذى قتلتموه ، ويحتم على واجبى ان انتقم من فعل ذلك ، وانى أقول لكم جميعا ان أى شخص فيكم تصيبه رصاصة فى مقدم رأسه فليعلم بأتى أنا الشخص الذى أصابه » . وحارب المبارك بشجاعة تامة وعندما انتهت المعركة كان هو من بين الثمانية وعشرين شخصا الذين فقدوا حياتهم فى ذلك اليوم ، ولم ينس الكثيرون من أهل سيوة قصة المبارك لا سيما المتقدمين فى السن ، وبخاصة بين الغربيين ، الذين يروون قصته كمثل نبيل لرجل جرئ ، شجاع ، ويتصف بالأمانة والوفاء .

لغة واحة سيوة :

يتحدث السيويون فيما بينهم لغة غير عربية الأصل ، وتسمى اللغة السيوية ، ويندر أن نجد الآن الرجال من أهل سيوة من لا يفهم اللغة العربية ويتكلمها كلغته الثانية ، ولكن قبل ثلاثين سنة من الآن كان من الأمور العادية أن نقابل بعض الرجال المتقدمين فى السن الذين لا يعرفون من اللغة العربية الا بضع كلمات قليلة بينما كان أغلب النساء والأطفال لا يفهم العربية .

وحتى عام ١٨٢٠ لم يكن فى سيوة غير عائلة واحدة تخصص أفرادها فى فهم اللغة العربية وغيرها من اللغات الضرورية التى تساعدهم على التحدث إلى رجال القوافل سواء من البدو العرب أو من وادى النيل أو من شمال أفريقيا أو من الواحات البعيدة فى الصحراء والذين كانوا يأتون إلى الواحة للتجارة أو لشراء البلح والزيتون وكانوا يسمون رئيس هذه العائلة « شيخ الخبر » .

ومنذ أن بدأ الرحالة فى المجئ إلى سيوة كانت اللغة السيوية موضع اهتمامهم وبدأ بعضهم فى دراستها كما نشر بعضهم فى مقالاتهم وكتبهم مجموعات من

الكلمات والجمل [١٢] ، ولكن إلى جانب هذه الجمل ومجموعات الكلمات أصبحت لدينا الآن بضع كتب عن هذه اللغة ونحوها .

وأول ما ظهر من هذه الكتب ، كتاب ب. باسيه المسمى « لهجة سيوة »

B. Basset, Le Dialecte du Syauah, Paris, 1890

ثم تلاه كتاب و. سيمور ووكر « اللغة السيوية »

W. Seymour Walker, The Siwan Language, (London, 1921)

وثالث هذه المؤلفات كتاب ا « لاوست »

E. Laoust, Siwa, Son Parler, (Paris 1932).

وفى هذا الكتاب الأخير عرض بارع للموضوع ونتائج جميع الأبحاث الجدية فى مقارنة اللغة السيوية بغيرها من لهجات البربر وعلى الأخص التى ما زالت مستخدمة حتى الآن فى التخاطب فى بلاد « سكنه » و« نفوسة » و« غدامى » و« سند » وغيرها من الأماكن فى الصحراء الليبية التى تقيم فيها قبائل الزناتية فى شمال أفريقيا .

وبمرور الأيام يزداد تأثير اللغة العربية فى لغة سيوة ، ودخل عليها نتيجة لانتشار التعليم والاذاعة وكثرة اتصال السيويين بغيرهم جمل وتعبيرات عربية كثيرة ، وانى أتمنى بل أورجوأن يهتم المشتغلون بالدراسات اللغوية بعمل أبحاث جادة على لغة أهل هذه الواحة قبل أن تضيع فرصة مثل هذه الدراسات .

مشـــــروعات جـــــديدة :

لا يملك كل من يزور سيوة نفسه من التفكير فى موضوع زيادة مساحة الأرض المزروعة ويعتقد أن مثل هذا الأمر سهل وميسور اذا ما انتفع الناس من مياه العيون التى يراها أمام عينيه تخرج متدفقة من باطن الأرض ثم تضيع سدى ليذهب ما بقى منها إلى الملاحات . ويزداد الحاح هذه الفكرة على الزائرين عمدما يزورون الآثار القديمة فى هذه الواحة ويقرأون شيئا عن تاريخها فى الأزمنة القديمة و ولكن الأمر

الذى لا يعرفه أكثر أولئك الزائرين أن الزمن قد تغير وان مشكلة سيوة لم تعد قاصرة على قلة اليد العاملة ، ولكنها فى الواقع ، وفى الدرجة الأولى ، مشكلة الصرف ، وهو مشكلة كبرى فى منخفض متوسط سطح أرضه المزروعة ثمانية عشر مترا تحت مستوى البحر ، يضاف إلى ذلك أن مياه العيون التى لا تستخدم فى رى الحدائق والحقول كونت مع مرور الأيام عدة بحيرات فى الواحة أصبحت مياهها فى مستوى الأرض المحيطة بها .

فى شتاء عام ١٩٠٧ لقيت واحة سيوة اهتماما كبيرا من الخديوى عباس حلمى وبدأ فعلا مشروعا كبيرا لاصلاح بعض أراضيها وخصوصا الأرض التى يمكن أن ترويها مياه عين قربشت أكبرعيون الواحة .

كان نجاح الخديوى عباس فى مشروعاته الزراعية فى مريوط مشجعا له على التفكير فى واحة سيوة ، وعندما زارها اصطحب معه عددا من الخبراء فى استصلاح الأراضى ، ورحب به السيويون ترحيبا كبيرا وقدموا له كهدية لولى عهده الأمير عبد المنعم عين قربشت وجميع الأراضى المحيطة بها وهى لا تقل عن ألفى فدان . وبدأ مهندسوه هذا المشروع الكبير ولكن قلة الأيدى العاملة فى سيوة واضطرار رجال الخديوى إلى احضار عمال من خارج الواحة ، وما كانت تحتاج اليه مشروعات الصرف من تكاليف باهظة جعل هذا المشروع يسير سيرا بطيئا ، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى فتوقف العمل نهائيا و ولم يفكر أحد فى احيائه حتى الآن .

ومن آن لآخر كانت الحكومة تفكر فى بعض المشروعات الزراعية فى هذه الواحة لتشجيع الأهالى على النهوض باصلاح أراضيهم ولكنها كانت كلها مشروعات صغيرة نسبيا اذا ما قيست بمشروع عين قربشت ، ولم ينجح أكبرها نجاحا يذكر وتوقف العمل فيه، كما ظل جزء من بعضها مستمرا على نطاق ضيق ، ولكن تكاليفه كانت باهظة .

وأهم المشروعات التى اهتمت بها الحكومة وأرادت أن تجعلها ميدانا لدراسة مشاكل التوسع الزراعى فى سيوة مشروعات أولها مشروع النقب فى الجزء الشرقى من

الواحة الذى بدأه تفتيش عموم رى الصحارى عام ١٩٥١ والذى بدأ بنجاح فى ذلك الوقت وأمكن زراعة ٣٥٠ فدانا فى السنوات القليلة التالية ، ولكن الحكومة لم تستمر فى المشروع بعد ذلك لما صادفه من صعوبت جمه ، سواء فى الأيدى العاملة أو فى كثرة المصروفات ، وكان من بين الحلول التى فكرت فيها الحكومة اذ ذاك احضار بضع مئات من المساجين ليعملوا فى هذا المشروع ، ولكن هذه المحاولة لم تنجح أيضا لان المساجين كرهوا العمل فى هذا المكان النائيى فى الواحة وتحت شمسها المحرقة أثناء الصيف وخلق الكثيرون منهم المتاعب لكى يعودوا إلى السجن .

أما المشروع الثانى الذى بدأه تفتيش عموم رى الصحارى فهو مشروع خميسه الذى كان فى حقيقته مشروعا تجريبيا فى الصرف ولدراسة امكانية استخلاص بعض أجزاء من بحيرة (ملاحة) خميسة للزراعة ولتنظيف ما تراكم فوق بعض العيون القديمة من رمال ، ولكن المشروع لم يستمر لسوء الحظ لقلة الاعتمادات .

وفى السنوات الأخيرة تعرضت سيوة لمشكلتين أولاهما تطبيق قانون التجنيد على أهل الواحة اذ كان أهل الواحات جميعا ، معفيين من الخدمة العسكرية فى الجيش ، شأنهم فى ذلك شأن جميع البدو الذين يعيشون فى الصحراء ولكن القانون الجديد ألغى هذا الامتياز وأصبح شباب سيوة ملزمين بأداء الخدمة فى الجيش مثل جميع المصريين ، وقد أصاب تجنيد الشبان المشايخ الأغنياء بضربة كبيرة اذ حرمتهم من الأيدى العاملة الرخيصة ، كما أن أكثر أولئك الشبان بعد انتهاء مدة خدمتهم العسكرية آثروا العمل فى القاهرة أو الاسكندرية أو مرسى مطروح ، أما من آثر منهم العودة إلى الواحة فانه كان يفضل العمل فى أحدى المصالح الحكومة ، ولم يعد منهم إلى عمله الأصلى فى الزراعة الا نسبة قليلة .

والمشكلة الثانية التى تعرضت لها سيوة لم تقل فى اثرها عن المشكلة الأولى وان كانت من نوع آخر . بدأت هذه المشكلة فى عام ١٩٦٢ عند بدأ اكتشاف حقول البترول فى ليبيا وخصوصا فى المنطقة القريبة من واحة جغبوب التى لا تبعد كثيرا عن سيوة فاجتذبت عددا لا يقل عن ثلاثمائة من شباب سيوة الذين اغرتهم الأجور

العالية لترك واحتهم والذهاب للعمل هناك ، ولكن من حسن الحظ لم تكن فرص العمل أمام أولئك الشبان فرصا ثابتة مستمرة ولكنها مؤقتة ، وكان البعض منهم يعود بعد شهور قليلة . وفى عام ١٩٦٩ اجبرت قوانين العمل الجديدة فى ليبيا أكثر أولئك السيويين ، وخصوصا الذين دخلوها سرا وبدون جوازات سفر رسمية ، على ترك ليبيا والعودة إلى مصر .

ولقد أمكن ملء الفراغ الذى أحدثه حرمان سيوة من عدد كبير من شبانها باستحضار عمال من الصعيد ولكن هؤلاء العمال كانوا يطالبون بأجور مرتفعة كما أنهم لم يكونوا معتاديم على قسوة العمل الذى تستلزمه زراعة حدائق سيوة أو حقولها ، زاد على ذلك أن بعض أولئك العمال من خارج الواحة لم يكونوا على درجة كافية من الأمانة ودماثة الخلق ، ولهذا بدأت المتاعب تطل برأسها وحدثت بينهم وبين الأهالى كثير من المتاعب واذكر انه عندما كنت فى احدى زياراتى للعمل فى واحة سيوة فى سبتمبر ١٩٦٨ كانت أجرة العامل ، الذى يعمل أجيرا عند أحد السيويين خمسة وستين قرشا فى اليوم وكان صاحب العمل ملزما بتقديم وجبة الغداء له وتقديم الشاى له عدة مرات فى اليوم ، ومع ذلك فكان الذين يمكن الحصول عليهم قليلى العمل ، وعندما عدت إليها للعمل فى معبد أغورمى فى ابريل ١٩٧٠ كانت الصورة تختلف اختلافا كبيرا فقد كان الحصول على العمال يتم عن طريق الجمعية التعاونية وكان الأجر اليومى المحدد هو ستون قرشا فى اليوم لا يقبض العامل منه إلا مبلغ سبعة واربعين قرشا ونصف ويخصم منه الباقى وقدره اثنا عشر قرشا ونصف مقابل التأمين الاجتماعى ، ومع ذلك فلم تكن هناك أى صعوبة فى الحصول على أى عدد من العمال لان عددا كبيرا من السيويين الذين عادوا من ليبيا كانوا فى سيوة ، وعلى استعداد للعمل بالأجر المحدد .

التغير الذى طرأ على الواحة فى الثلاثين عاما الأخيرة :

بدأت الأعمال التمهيدية للبحث عن البترول فى سيوة منذ عشرين عاما تقريبا ، وقد دلت الأبحاث التمهيدية على احتمال وجود البترول فى هذا المنخفض ، ولكن

الأبحاث الجيولوجية السطحية لم تكن كافية بأى حال من الأحوال للتأكد من وجود كميات من البترول تصلح للاستغلال من الناحية اقتصادية مثل ما حدث فى ليبيا القريبة منها .

وأخيرا ، فى صيف عام١٩٦٩ ، استقر الرأى على البدء فى حفر بعض الآبار التجريبية فى أنحاء مختلفة من المنخفض ، ولكن حتى الآن ، أى فى صيف ١٩٧٢ لم يظهر البترول فى المنخفض ، وان كان بعض هذه الآبار ، وخصوصا فى مناطق على حافة المنخفض مثل واحة البحرين ، قد أثبت وجود مياه صالحة وبوفرة كبيرة فى الطبقة الصخرية العميقة هناك .

وعلى أى حال فإذا ثبت وجود البترول فى سيوة فلا شك أن ذلك سيكون سببا فى رخاء الواحة وفى زيادة الدخل القومى لمصر بوجه عام ، ولكن سيكون له فى الوقت ذاته أثر كبير على الحياة الاجتماعية فى سيوة ، وإذا سأل الزائرون ، وبخاصة من يكونون مصحوبين بموظفى الحكومة أو شركة البترول فإن السيويين يظهرون أغتباطهم وأملهم فى ظهور البترول ، ولكن الحقيقة أن كثيرين من بينهم غير متحمسين لذلك لانهم يعرفون أن فى ذلك نهاية لحياتهم الهادئة التى اعتادوا عليها فى واحتهم التى يحبونها .

ومع ذلك فسواء ظهر البترول فى سيوة أو لم يظهر فان الحياة فى سيوة ستتغير حتما ، وذلك كما حدث بشكل واضح فى السنوات العشر الأخيرة ، فما من شك أن الجيل التالى من السيويين سيحيا حياة تختلف عن حياة آبائهم ، وخصوصا الفتيات اللائى يكثر اقبالهن على الذهاب إلى المدرسة ويتطلع الكثيرات منهن إلى اتمام تعليمهن فى مرسى مطروح وفى الاسكندرية .

وعندما أفكر فى المقارنة بين حياة السيويين الآن وبين حياتهم التى عرفتها عندما ذهبت لزيارتها أول مرة فى عام ١٩٣٨ أكاد لا أصدق سرعة ما حدث من تغير فى حياه أهلها ، لقد اختفى تقريبا أولئك البنات والأولاد الذين كانوا يلعبون فى طرقات مدينتهم الهادئة وهم يرتدون ملابسهم التقليدية ، وأصبحت الغالبية الكبرى من أولئك الأطفال يلبسون الآن ملابس تشبه ما يلبسه أمثالهم فى البلاد الأخرى مثل مرسى

مطروح أو القرى فى مصر . واذا تحدث انسان اليوم أمام أحد السيويين عن احدى عاداتهم القديمة التى كانت من مميزاتهم فلا يزيد عن الابتسام والقول بأن الناس كانوا يفعلون ذلك فيمامضى من الأيام أما اليوم فقد تغيرت الأوضاع كمالو كانت مثل هذه العادة علامة من علامات التأخر والجهل ، ولا يوجد اليوم بين السيويين من الرجال من يصر على تمسكه بالعادات القديمة ، ويعتز إلى حد ما باتباعها الا بعض المتقدمين فى السن ، ولكن يجب ألا ننسى أن السيويين ، وبخاصة النساء قوم محافظون إلى حد كبير ، ولست اتردد فى القول بأن المرأة السيوية ستبقى حارسا وحاميا لما لهذه الواحة من طابع ثقافى ، فقد بدأ الرجال يغيرون الكثير من عاداتهم القديمة وأخذ الكثيرون منهم يقتبسون ما يجدونه سائدا بين غيرهم من أهل وادى النيل ، وذلك بسبب كثرة اتصالهم بأناس من خارج واحتهم وبسبب كثرة استخدام أجهزة الترانزستور فى سماع الاذاعة ، وبسبب تقليد من يعيش بينهم سواء من موظفى الحكومة أو غيرهم ، يقلدونهم فى ملبسهم وفى حديثهم وفى بعض تصرفاتهم كأنما هذا التقليد الأعمى هو الوسيلة الوحيدة ليثبتوا بها أنهم قوم متقدمون فى طريقة تفكيرهم ، ولكن هذه التغييرات هى فى الواقع تغييرات على السطح فقط ، وبخاصة فيما يتعلق بالنساء .

والآن ، بعد هذه المقدمة عن واحة أمون والاشارة إلى الصراع المحتوم بين التجديد والتمسك بالقديم الذى أخذ يخيم على الواحة نبدأ الحديث عن العادات والتقاليد فى سيوة .

الفصل الثانى

العادات والتقاليد فى واحة سيوة

ما زال أغلب أهل سيوة يحتفظون بالكثير من عاداتهم القديمة وتقاليدهم وبالرغم من أن مرور الزمن وتغيره ، وما أدخلته التيارات الجديدة فيما يسميه الناس بالتمدن قد أثر الى حد كبير فى تطور بعض عاداتهم فان المجتمع السيوى ما زال متماسكا حتى الآن ، ولا يمكننا أن نقول عنه أنه انهار ، أو تحطم ،وما زال يوجد بين السيويين ، وبخاصة بين النساء ، عدد كبير ممن يعتزون بتقاليدهم القديمة ويحسون بالاسى لأولئك الذين أخذ تيار المدنية الحديثة يجرفهم بعيدا عن طريق حياتهم التقليدية .

كانت حياة السيويين من أهم ما استرعى انتباه الرحالة الذين زاروا سيوة فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، ولهذا سجلوا فيما كتبوه عن هذه الواحة ما سمعوه من الأهالى ، عن طريق المترجمين الذين كانوا يرافقونهم لان أولئك الرحالة لم يكونوا ممن يجيدون اللغة العربية أو يفهمون اللغة السيوية ولم يتيسر لأى فرد منهم الاختلاط بحرية مع أهل الواحة أثناء زيارته القصيرة لها .

مخطوط سيوة :

الى جانب ما سجله الرحالة الغربيون من ملاحظات عن عادات السيويين وتقاليدهم فلدينا مصدر هام عن هذه العادات وهو « مخطوط سيوة » الذى سبقت الاشارة اليه وهو مخطوط بدأ فى كتابته منذ تسعين سنة تقريبا زعيم عائلة « أبو مسلم » الذى كان فقيها وقاضيا يحكم الأمور الدينية بين أهل الواحة لأنه ذهب فى سنى شبابه الى القاهرة وقضى فى الأزهر الشريف بضع سنوات فى طلب العلم .

سجل أبو مسلم فى مخطوطه ما ورد ذكره عن سيوة والواحات الأخرى فى بعض كتب المؤلفين المسلمين فى العصور الوسطى وأضاف اليه ما كان يتناقله أهل الواحة فيما بينهم من معلومات شفهية عن أصل العائلات المختلفة والحروب التى كانت تنشب بين الشرقيين والغربيين كما سجل فيه أيضا معلومات عامة عن بعض العادات والتقاليد ـــ وبعد موت المؤلف استمر ابنه فى تدوين ما كان يحدث فى أيامه، ويضيف أيضا ما كان يصل الى علمه من أمور، ولم يقتصر الأمر على الوالد والأبن فقط بل استمر الحفيد أيضا فى الاضافة اليه.

وعلى أى حال فمن المعروف أن المخطوط الأصلى قدمته العائلة الى المرحوم امير عمر طوسون فى أواخر العشرينات بعد أن نقلوا عن الأصل أكثر من نسخة، ومازالت العائلة تضيف الى نص هذه النسخ زيادات عما يرون أنه يستحق التسجيل من حوادث تمر على هذه الواحة . وقد رأيت أحدى هذه النسخ فى عام ١٩٣٨ وسمح لى صاحبها بأن أبقيها لدى لمدة يومين وأن آخذ منها ما شئته من معلومات، ولكن النسخة التى رأيتها فى عام ١٩٣٨ لم أتمكن من رؤيتها بعد ذلك، ويقول بعض أفراد العائلة أن مأمورا طلبها منهم بعد ذلك وأنه أرسلها الى القاهرة ولم يروها بعد ذلك ولكنى شخصيا أعتقد أنها مازالت لديهم وأنهم يذكرون هذه القصة للتخلص من الحاح كل من يأتى الى الواحة من موظفين، وهم يقدمون فى بعض الأحيان نسخا فيها بعض مقتطفات من النسخة القديمة وفيها اضافات كتبها بعض أفراد العائلة، كما أن بعض العائلات الأخرى وخصوصا فى العشرين عاما الأخيرة بدأ بعض أبنائها الأذكياء يكتبون مذكرات عن واحتهم وعن أصل عائلاتها من وجهة نظرهم الخاصة.

وعلى أى حال فان أهم ما فى المخطوط الأصلى، أو المخطوطات الأخرى التى أستمدت منه، الأجزاء الخاصة بالقوانين والشرائع التى وضعها أهل سيوة لأنفسهم والوصف التفصيلى لمدينتهم القديمة، والعادات التقليدية التى كانت متأصلة الجذور بين أهل الواحة، وفى هذا الفصل نجد الكثير منها . وفى الصفحات التالية اقتصر على ذكر العادات والتقاليد التى تلقى الضوء على حياة سكان سيوة،

وأعتقد أن ذكرها ضرورى لفهم الحياة الاجتماعية فيها ، وبالرغم مما كتبه الرحالة الأوربيون ، وما ورد فى المخطوط ، وما كتبته من قبل أو أكتبه اليوم وما ذكره غيرى ممن زاروا سيوة فان موضوع عادات السيويين وتقاليدهم ما زال فى حاجة ماسة الى دراسة تفصيلية مقارنة ، وأرجو أن يتم ذلك قبل ضياع الكثير منها .

الزقـــــالة:

الزقالة جمع « زقال » ومعناها الحرفى « حامل الزقلة » وهى العصا القصيرة الغليظة ، وكانت وما زالت تطلق على فئة خاصة من الشبان الذين يعملون فى حدائق الأغنياء من الملاك ، وكانوا يعملون فى تلك الحدائق خلال ساعات النهار ، وكان المفروض أن يقع على عاتق بعضهم عبء القيام بالسهر على حراسة الواحة أثناء الليل ، كما كان رؤساء العائلات والأغنياء من السيويين يختارون من بين الزقالة من يقوم بوظيفة الحراس الخاصيين لهم . وكانت العادة أن يشار الى الزقالة بكلمة ال « خديم » ومعناها الحرفى الشخص الذى يكون فى ــ خدمة غيره وكانوا يوكلون الى بعض هؤلاء الزقالة توقيع ما يحكم به المشايخ من عقوبات على من يخالف القانون .

. لم يكن هؤلاء من طبقة خاصة أقل من غيرهم من الأهالى ولكنهم كانوا ينتسبون الى العائلات التى ينتسب اليها من يعملون فى خدمته ولكنهم كانوا من الفقراء الذين لا يمتلكون أرضا وأجبرتهم ظروف الحياة على العمل فى حقول وحدائق الأغنياء من الملاك .

وعندما كان السيويون يسكنون داخل أسوار مدينتهم المحصنة لم يكن مسموحا للزقالة ، وهم غير متزوجين ، بالمبيت داخل المدينة بل كان يتحتم عليهم ان يقضوا الليل خارج الأسوار ، سواء فى كهوف كانوا يقطعونها فى صخر الجبل الذى يقوم عليه الحصن القديم أو فى الحدائق ، فى أكواخ يقيمونها هناك .

كان عمر الواحد من الزقالة يتراوح بين العشرين والأربعين لأن أهم الشروط التى كان يشترطها من يعملون فى خدمته ألا يتزوجوا حتى يبلغوا الأربعين من العمر . ولهذا

أصبحوا مع مرور الزمن ، وقضائهم الأمسيات معا ، جماعة مترابطة من الشباب الأقوياء الجسم الذين يقضون أوقات فراغهم فى احتساء شراب « اللبجى » وهو شراب مسكر اذا تخمر يستخرجونه من جمار النخيل ، ويجدون متعتهم الكبرى فى الغناء والرقص وممارسة كل أنواع الملذات التى تناسب سنهم وطبيعة أخلاقهم ، وفى مثل هذه الظروف لا يمكن لأحد أن يدهش اذا انتشر الشذوذ الجنسى بينهم .

كان الرجل الغنى الذى يعمل عنده أحد الزقالة مسئولا عن تقديم جميع وجبات الطعام له طيلة أيام السنة وكان عليه أن يكسوه بقميص قصير الأكمام فى الصيف وبقميص طويل الأكمام ورداء منسوج باليد يسمونه « الجبتى » وشال عمامة فى الشتاء .

وفى آخر كل عام كان صاحب الأرض ملزما باعطائه أربعين صاعا من أحسن أنواع البلح ، وهو الصعيدى ، وعشرين صاعا من الشعير مقابل ما اداه من خدمات . فى مقابل ذلك كان يتحتم على الزقال الا يتزوج حتى يكون كل وقته مخصصا لما يطلب منه السيد القيام به من خدمات ، أما سبب عدم السماح لهم بالمبيت داخل أسوار المدينة فالحيلولة بينهم وبين ما عساه أن ينشأ من علاقات بينهم وبين النساء المتزوجات أو غير المتزوجات .

كانت الحفلات المرحة التى يقيمها الزقالة من أجمل ما يستمتع به زائر سيوة ، ولهذا كان ابناء المشايخ الاغنياء يذهبون اليهم للاستمتاع بهذا النوع من اللهو ، وسرعان ما كانوا يعتادون على طريقة حياتهم ويشاطرونهم فى كل ملذاتها ومع مرور الأيام أصبح الملاك الأغنياء يعتمدون اعتمادا كاملا على « الزقالة » ليس فقط فى أداء ما شق من أعمال فى الحقول والحدائق ولكنهم كانوا يعتمدون عليهم اعتمادا مطلقا فى منازعاتهم ومعاركهم . وفى منتصف القرن السابع عشر أصبح « الزقالة » قوة متماسكة وحصلت ، لنفسها على الحق الذى يخول لها أن يكون لها صوت مسموع فى أى منازعات تختص بالحدائق أو فى « الحروب » التى كانت تنشأ بين أونة وأخرى بين « الشرقيين » و« الغربيين » وفى أكثر من مكان فى « مخطوط

سيوة » تقرأ أن « مجلس الأجواد » أى مجلس رؤساء العائلات كان يضطر الى تغيير قراراته ، واتفاقاته لأن الزقالة لم يوافقوا عليها .

وها هى قصة توضح لنا كيف أنهم كانوا جماعة لا يمكن لأحد أن يصفهم بأنهم كانوا من المطيعين الذين يسهل على سادتهم من الملاك أن يجعلوهم يعملون ما يريدون املاءه عليهم . حدث فى أوائل القرن الثامن عشر ، فى عام ١٧٠٥ على وجه التحديد ، أن وفد عدد من النسوة البدويات ذوات السمعة غير الحميدة تحت زعامة واحدة منهم ، ونصبن خيامهن فى المكان المعروف الآن باسم المنشية وهو يبعد قليلا عن المدينة القديمة . وفدن الى الواحة فى وقت بيع محصول البلح أى فى الوقت الذى كانت تأتى فيه الى سيوة قوافل متعددة لشراء المحصول وبيع ما أتت به من سلع من وادى النيل ، وبعبارة أخرى فى الوقت الذى يكثر فيه تداول المال وتحقيق الربح بين سكان الواحة ومن يأتون اليهم .

ونجحت البدويات فى تهيئة أسباب المسرة والانس لكثيرين من رجال القوافل كما نجحن ايضا فى اجتذاب بعض الزقالة الذين اعتادوا على الذهاب اليهن فى المساء لقضاء وقت ممتع بينهن . وعندما انتهى الموسم ورحل رجال القوافل عن الواحة اراد بعض المشايخ أن يرتحل أولئك النسوة عن الواحة ولكنهم اضطروا الى التراجع ، وخضعوا للرأى القائل بأنه لا يوجد أى ضرر من استمرار البدويات فى الاقامة فى الواحة حيث نزلن ، لان وجودهن يدخل السعادة على نفوس الزقالة ، وفى الوقت ذاته يدخل شيئا من الاطمئنان على نفوس بعض المتزوجين من سكان سيوة .

ولم يمض الا وقت قصير حتى أصبحت زعيمة أولئك النسوة ذات قوة ونفوذ ، ليس على النساء التابعات لها فحسب بل على الزقالة أنفسهم ، وفى أكثر من مناسبة كان مشايخ سيوة المحافظون يجدون أنفسهم مضطرين للاستعانة بتلك الزعيمة لتساعدهم على تهدئة خاطر رجالهم عندما كانت تنشأ بعض المنازعات أو الخلافات بين أولئك المشايخ والزقالة الذين يعملون لديهم .

حضرت فى مناسبات عدة حفلات للزقالة سواء خلال ساعات النهار فى الحدائق أو فى المساء فى الميدان الكبير أو فى داخل بعض المنازل وكانت حفلات النهار بصفة عامة أهدأ وكانت السعادة واضحة على محيا المشتركين فيها وبخاصة الذين يغنون أو يلعبون على الالات الموسيقية البسيطة التى تتكون من الناى والطبلة وفى بعض الأحيان المزمار ، وكثيرا ما يستعيضون عن الطبلة بالنقر باليدين أو بواسطة عصى قصيرة على صفيحة فارغة من صفائح البنزين . وأغانيهم باللغة السيوية ويؤديها فرد واحد أو تؤديها الجماعة كلها فى وقت واحد [١] . وأجمل حفلاتهم تلك التى يقيمونها فى المساء ، وبخاصة عندما تأخذهم نشوة السكر ويبدأون الرقص فى حلقة وقد وضع كل واحد منهم حزاما حول وسطه وآخر فوق ركبته ثم يبدأون فى الدوران وقد أخذ كل منهم يحرك جسده على نغمات الموسيقى وقد مال الى الامام ووضع ذراعيه على كتفى من يكون أمامه فى الحلقة .

ويجلس الموسيقيون وسط الحلقة ، أو على جانب المكان ، ومن المفروض أن المشتركين فى الرقص يغنون معا ، ولكن الانسان لا يسمع ، وبخاصة عندما يستولى الحماس على المشتركين فى الرقص ، الا صيحات وصرخات شبيهة بما يصدر عن حيوانات جريحة ، ولا يمضى وقت طويل حتى يلاحظ المشاهدون أن بعض الراقصين يقترب جدا من أولئك الذين يكونون أمامهم ويأتون بحركات يتجلى فيها التعبير عن الرغبة الجنسية [٢] .

الأخـــــــلاق:

اذا صح القول بأن الزقالة ، أو بعضهم ، يتصرفون على هذه الصورة اللا اخلاقية ولا يخفون ما يعتمل فى نفوسهم من شذوذ جنسى فهل يمكننا القول بأن جميع السيويين يشاركونهم فى هذا الاحساس أو أنهم يقبلون هذا الانحراف ويقرونه؟ أن الجيل الجديد من شباب سيوة يقول لكل من يأتى الى واحتهم من غرباء أنهم لا يقرون ذلك ، ولكن لا يمكن لأى واحد منهم أن يجزم أن هذه العادات السيئة قد اختفت تماما .

وقلما نقرأ مقالا أو كتابا عن سيوة دون أن نجد الكاتب أو الموظف يتحدث عن انتشار الشذوذ الجنسى فى هذه الواحة . وأنى أسارع بالقول انه اذا صح ذلك فى الماضى فان هذا الأمر قد قل كثيرا عن ذى قبل ، بل أنى لا أتردد فى القول بأن السيويين قد أصبحوا فى هذه الناحية فى السنوات الأخيرة ليسوا أسوأ أو أفضل من غيرهم من المجتمعات فى مختلف مدن مصر أو أى بلد آخر من بلاد العالم [٣] .

ويحرص السيويين كل الحرص على أن يراهم الناس وهم يؤدون فروض الصلاة ، ويكثرون من التردد على المسجد ، ولكن ذلك لا يعنى أن كل من يفعل ذلك يمتنع تماما عن تناول المسكرات أو أنه يحرم على نفسه ارتكاب جميع أنواع الرذائل .

والسيوى ، بطبعه ، شخص محافظ يكره أن ينتقده غيره أو يسخر منه ويبذل كل ما فى وسعه ليتجنب عمل أى شىء خاطىء علانية أمام الناس . والسيويون بصفة عامة مقتصدون ويكرهون الاسراف ، وليس من طباعهم تشجيع علاقات الصداقة الحميمة مع الغرباء اللهم الا اذا كان من وراء ذلك فائدة محققة لهم ، ولكنهم فى الوقت ذاته يحرصون على أن تظل علاقاتهم طيبة بالموظفين ، وعلى الأخص أولئك الذين يكونون فى المناصب الرئيسية فى الواحة ، ويعتزون كثيرا عندما يلبى أحد الموظفين دعوتهم فى منازلهم أو فى حدائقهم ، وفى مثل هذه الحالة يبذلون كل ما فى وسعهم للظهور بالمظهر اللائق أمام ضيوفهم وأقرر هنا أنه طيلة السنوات التى اتصلت فيها بهذه الواحة وهى أربعة وثلاثون عاما لم يحدث أن كانت لى شكوى جادة من أى تصرف فعله أى شخص ضدى ولا يمكننى أن أقول أنهم قد أساءوا الى فى أى يوم من الأيام وذلك راجع دون شك الى أنى كنت أعرف حدودى وأقبل عاداتهم وطباعهم بروح راضية ، ولهذا فأنى لا أفهم السبب الذى جعل الغالبية العظمى ممن كتبوا عنهم يظهرون مثل هذه القسوة فى كتاباتهم .

ففى كتاب من خير الكتب التى ظهرت عن سيوة ، وقد عمل مؤلفه بالواحة طيلة بضع سنوات ابتداء من عام ١٩١٧ ، نجده يقول عن السيويين « أنهم ليسوا غير اخلاقيين فحسب ، ولكنهم قوم مجردون من الاخلاق » ، وفى مكان آخر فى كتابه

يقول : أنهم يعتقدون ، على ما يظهر ، أن اقتراف أى رذيلة أو استباحة كل ما و محرم امر مسموح لهم ، [٤] وهذا نقد فى غاية الأدب اذا قارناه بما كتبه غيره من المصريين ، وكم اتمنى أن يتذكر من يزور سيوة ويكتب عنها ما يقترفه الناس فى بلده ، وأن يتذكر أيضا الحكمة التى تقول بأن « من لم تسبق له الخطيئة فليقذف بأول حجر » .

أما عن نساء سيوة فانهن كن يعشن فى عزلة تامة ولم يكن مسموحا لهن بمقابلة أى شخص غريب ، ولكن بالرغم من هذه العزلة فلم يكن هناك مانع من الاختلاط بأقاربهن وبعض جيرانهن ويجب الا ننسى أيضا أنه كانت هناك فرص سانحة للزقالة الذين كانوا يعملون لدى أهلهم للدخول الى المنازل فى أى وقت فى ساعات النهار بل وفى المساء سواء كان سيد المنزل موجودا فيه أو فى خارجه وعلى أى حال ، فاذا اردنا مقارنة اخلاق المرأة السيوية بأخلاق أخواتها من نساء الواحات الأخرى أو فى وادى النيل فانهم لسن أسوأ من غيرهن [٥] . وما من شك فى أن بعض رجال القوافل ، أو سائقى السيارات أو الجنود أو من يفدون الى الواحة من العمال فى هذه الأيام لا يعدمون وسيلة لمقابلة نساء سيوة فى ساعات الليل ، وذلك اذا ما احسوا بالوحدة وكانوا من أولئك الذين لا يهتمون بسمعتهم اذا رآهم غيرهم ، ولكنى أكرر القول بأن نساء سيوة ليسوا أسوأ من أخواتهن فى الواحات والبلاد الأخرى ، اذا لم يكن أفضل منهن ، فان نسبة المنحرفات قليلة جدا ، وهؤلاء على الأقل غير متبجحات ويحرصون على أن تحدث مثل هذه الزيارات فى سرية تامة .

الملابس وأدوات الزينة :

ان ملابس الفتيات السيويات وما يتحلين به من حلى فضية هى أول ما يجذب نظر من يزور هذه الواحة ، فهو يراهن فى الطرقات وقد لبسن ثيابا زاهية الألوان لها أكمام طويلة واسعة ، ويلبسن حول أعناقهن عقودا من الخرز وما زالت بعض الفتيات يصففن شعورهن فى جدائل متعددة حسب الطريقة التقليدية (شكل رقم ١٦ ، ١٧) ويرسل البعض الآخر الشعر فوق الظهر أو يضفرنه فى ضفيرتين فقط ، فالمرأة السيوية تعتز بضفر شعرها فى جدائل ضغيرة رفيعة ، يصل عددها أحيانا الى ثلاثين أو أربعين ،

وتفعل نفس الشيء فى شعر رأس أى واحدة من بناتها تبلغ الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها وفى بعض الأحيان تقوم احدى النسوة من الأقارب بتصفيف وضفر الشعر ولكن فى أكثر الحالات تقوم بذلك احدى النساء المحترفات اللاتى تخصصن فى هذا النوع من العمل ، وقد جرت العادة بأن مصففة الشعر التى تأتى الى منزل زبونتها ، حسب اتفاق سابق طبعا ، تقضى فى تصفيف شعر رأس أمرأة أو فتاة واحدة مدة لا تقل عن أربع أو خمس ساعات . وفى الوقت الذى يهتم فيه النساء كل هذا الاهتمام بشعر رؤسهن نجد الرجال يقصرونه جدا بل أن بعضهم يفضل حلاقته بالموسى ، والزقالة وحدهم هم الذين يتركون خصلة من الشعر الطويل نسبيا فى قمة الرأس . وكان من الأمور المعتادة قبل ربع قرن من الزمان رؤية الأطفال الصغار يلعبون فى الطرقات وفى رأس كل طفل بضع خصلات من الشعر تركوها فى الرأس الحليق لأنه كانت لكل عائلة طريقة خاصة فى حلاقة شعر أطفالها ، وكان من السهل تمييز اطفال العائلات المختلفة وهم يلعبون فى الطريق ولكن هذه العادة قد زالت تقريبا ولا يراعيها الآن الا عدد قليل من السيويين .

وفى كل مرة تخرج المرأة المتزوجة أو بناتها الكبيرات لحضور حفلة من حفلات الزواج أو التهنئة لجار أو قريب عند ولادة طفل ، أو فى أى زيارة هامة فانهن يلبسن عدة ثياب فوق بعضها ، ومهما كان العدد فان الثوب الخارجى يجب أن يكون ذا لون أسود مطرز بزخارف مشغولة بالحرير ذات ألوان مختلفة حول العنق والجزء الأمامى من الثوب ، كما يتحلين أيضا بعدد من الحلى الفضية التقليدية .

والحلى السيوية تتكون من أساور فضية عريضة (شكل ١٨) وخواتم (شكل ١٩) وأنواع مختلفة من العقود وبخاصة العقد المسمى « صالحات » وهو يتكون من ست قطع ذات شكل هلالى خاص يضعون بين كل اثنين منها حبات من الفضة والمرجان (شكل ٢٠) . ويتحلى النساء أيضا بالأقراط ، وهى أما خفيفة وتتدلى من ثقب من حلمة الأذن أو ثقيلة تتدلى على جانبى الرأس فى نفس مستوى الأذنين (شكل ٢١) .

وهناك أنواع كثيرة مختلفة الأنواع من هذه الحلى ويبلغ حلى بعض النساء فى العائلات الغنية ما لا قل عن عشرة أرطال ، وعلى أى حال فان الحليتين الرئيسيتين هما الطوق الفضى الذى يسمى « أغرو » فى اللغة السيوية والذى تحرص على اقتنائه كل امرأة على شىء من الثراء ، وهو الطوق لذى تعلق فيه الفتيات غير المتزوجات (شكل ١٦) القرص المزخرف الذى يسمونه « أدرم » (شكل ٢٢ و ٢٣) ، والحلية الفضية الثانية هى ال « تعلاقين » التى تتدلى على جانبى الرأس ويتكون كل جانب منها من عدة سلاسل فضية مثبتة فى حلية هلالية الشكل وتنتهى كل سلسلة منها بجلجلة ويتراوح عدد السلاسل بكل جانب بين خمسة وتسعة .

عند زيارتى الأولى لسيوة قبل أربعة وثلاثين سنة (شكل ١٧) كان بها صائغان للحلى الفضية مشغولان طيلة الوقت بعمل ما تطلبه النساء وذلك الى جانب الحلى الفضية التى كان يأتى بها البدو للمتاجرة مما كان يصنع فى الاسكندرية أو فى ليبيا وبخاصة فى بنغازى . أما الآن ومنذ خمسة عشر عاما على الأقل فلا يوجد صائغ محلى واحد فى سيوة ، وجميع ما تشتريه النساء يصنع فى الاسكندرية حيث تخصص أحد الصياغ فى صنع الحلى التقليدية لسيوة . والواقع أن الفتيات السيويات ، وبخاصة غير القادارات ، قد أخذن يدرن ظهورهن للحلى الفضية التقليدية الوزن — وأصبحن يفضلن الحلى الذهبية من عقود وخواتم وأقراط ، وهن يلبسنها فى أكثر الأحيان مع ما نديهن من حلى فضية أخرى .

وفى داخل المنزل ، أثناء تأدية الأعمال المنزلية تلبس النسوة أثوابا ذات ألوان زاهية لها دائما أكمام طويلة واسعة ، وأهم ما يوجهن اليه اهتمامهن هو تصفيف الشعر واستخدام الكحل لتجميل العينين ، واذا خرجن من المنزل يلبسن ثوبا أسود اللون فوق الثياب الملونة كما يلبسن سروالا من القطن يضيق عند أسفل الساق ، — ويحلون هذا الجزء الضيق بزخارف مزركشة بخيوط الحرير فى أشكال هندسية رقيقة وفوق هذا كله تلف المرأة جسمها كله بقطعة قماش كبيرة تضعها فوق الرأس وتسمى « ملاية » وهى ذات لون رمادى داكن ومخططة بخطوط سوداء ورمادية . وهذه « الملاية » لا

تصنع فى سيوة وأنما يستوردونها منذ قرون كثيرة من قرية كرداسة (على مقربة من أهرام الجيزة) حيث تخصصت بعض العائلات فى نسيج بعض أنواع خاصة من الأقمشة لسيوة ، هذه القرية كانت فى العشرينات من هذا القرن مركز قيام القوافل التى تسير من القاهرة الى تلك الواحة .

والمرأة السيوية لا تعرف استخدام البرقع أو أى نوع أخر من النقاب فوق الوجه واذا كانت خارج منزلها ورأت غريبا فانها تجذب طرف الملاءة فوق وجهها ، ولا تترك منه الا فتحة صغيرة لاحدى عينيها أو لعينيها على الأكثر ، وليس من الأمور المألوفة أن يرى زائر سيوة نساء كثيرات فى الطريق أو فى السوق ، اللهم الا بعض العجائز الفقيرات ، أما أكثر النساء فانهن لا يخرجن الا لتقديم العزاء عند الوفاة أو للقيام بزيارة مريض أو للقيام ببعض الزيارات الاجتماعية وعلى الأخص للاشتراك فى حفلة زواج أو للتهنئة بمولد طفل أما الشراء من السوق أو أى عمل أخر خارج المنزل فهو من الأمور التى يجب أن يقوم بها الرجل أو الاطفال أحيانا .

وفى بعض الأحيان نرى نساء ، وعلى الأخص من متوسطات العمر أو العجائز وهن يمشين فى المدينة أو فى الطرقات التى توصل الى الحدائق ، والى ما قبل عشر سنوات كان الكثيرات منهن يركبن فوق ظهور الحمير [٦] . أما الآن فيندر جدا رؤية امرأة فوق حمار لأن جميع العائلات السيوية تقريبا تمتلك عربة ذات عجلتين يجرها حمار ، ويسمونها كاروسة (وهى كلمة ايطالية وصلت اليهم من ليبيا عندما كانت تحت الحكم الايطالى) ويسوق الكاروسة رجل أو غلام يجلس فى مقدمة العربة وتجلس خلفه امرأة أو أكثر وبعض الاطفال ، ولا شك أن امتلاك كاروسة له ميزات اقتصادية ، وأكثر فائدة وأدعى الى الراحة لأنهم يستخدمونها لا لانتقال العائلة فقط بل فى نقل الحاصلات وفى جميع الأغراض المختلفة كذلك .

والى جانب الثياب السوداء أو الداكنة اللون التى لا يرى الزائر سواها فى الطرقات فان المرأة السيوية تلبس داخل المنزل ، كما قلنا ، ثيابا ، ملونة ولكن أغلى وأحب الثياب الى قلوبهن الثوبان اللذان يصنعان للفتاة عند زواجها وأحدهما أسود

اللون ، وهو الآن من الحرير الصناعى والثانى أبيض اللون ويصنع من القطن أو من الحرير أيضا وكلا الثوبين واسع جدا ذو أكمام متسعة جدا وطويلة ، وكلاهما مزخرف بالحرير والزرائر الصدفية .

وبالرغم من موجة الاتجاه الجديد والميل للأخذ بأسباب ما يسمونه بالتمدن فما زالت هناك أشياء معينة يوليها النساء فى سيوة عناية خاصة وهى الاحتفال بمولد أحد الأطفال وحفلات الزواج وعند موت أحد الأقارب . فليس هناك أدنى شك بأنه قد دخلت عليها أيضا بعض تعديلات أو تغييرات فى هذا الوقت الذى أخذ يتغير فيه كل شىء . ولكن كثيرا من التقاليد القديمة فى هذه الأمور الثلاثة بالذات ما زالت متبعة ولها احترامها .

ولادة طفـــــــــل :

يجرى الاحتفال بميلاد الطفل وسط احتفالات كثيرة وخصوصا اذا كان والدا الطفل ينتيمان الى اسرة غنية وكان المولود ذكرا وتعتبر الولادة الأولى أهم تلك المناسبات .

ولا زالت القابلة هى المسئول الأول عن رعاية الحامل وعملية اخراج المولود الى الحياة رغم وجود الطبيب الحكومى وتوافر المستشفيات لهذا الغرض . ولا يلجأون الى الطبيب الا نادرا جدا وحين يصل الأمر بالحامل الى حد الوفاة فتلجأ القابلة بدهاء الى تجنب المسئولية وحتى تضع كل المسئولية فيما بعد على كتف الطبيب فيما لو حدث ما لا تحمد عقباه .

وكقاعدة عامة فان المرأة تستلقى عقب الولادة على كليم مفروش على الأرض لمدة سبعة أو عشرة أيام (٧) . وعادة ما تمر الستة أيام الأولى بهدوء ولا يزورها فى هذه الفترة الا الاصدقاء المقربون ، أما اليوم السابع فهو يوم الاحتفالات ، اذ يأتى أقارب المرأة وجيرانها وأصدقاؤها الى منزلها مصطحبين معهم أولادهم . وينبغى أن يشارك كل هذا الجمع فى وجبة يتم اعدادها لهذه المناسبة ويدخل ضمن أصنافها السمك

المملح وهذا النوع من الطعام تقليد جروا عليه تيمنا بولادة سيدى سليمان ، وأما الاحتفال بتسمية المولود فيبدأ بعد هذه الوجبة الشهيرة . فاذا كان المولود ذكرا كان من حق والده فقط أن يختار له الاسم ، وأما ان كانت أنثى فهذا من حق أمها . فاذا ما تم ذلك كان من حق أى فرد أن يرى المولود . وبعد ذلك تقوم القابلة بوضع علامات على وجنات الطفل وعلى أنفه ورجليه مستخدمة فى ذلك عجينة « الحنة » [8] ثم تندفع الجموع الى الشوارع ومكان السوق ينادون بأعلى أصواتهم اسم الطفل واسم والده .

وبعد أن يرحل الاولاد يؤتى باناء مصنوع من الفخار ، حيث ترقد الأم فى الغرفة ، يكون مملوءا الى منتصفه بالماء ، وتقوم كل أمرأة فى الغرفة بالقاء حليها الفضية فيه . وبعد ذلك تكون النساء حلقة حوله رافعين إياه وسط تراتيل تنشدها « القابلة » بالدعوات للطفل أن يحيا حياة سعيدة وبعد ان تنتهى القابلة من ذلك تقوم النسوة برفع الاناء الفخارى الى أعلى ثم إلى أسفل سبع مرات ثم اعادته لى مكانه على الأرض ويكسر الاناء الى اجزاء فتقوم النساء بجمع حليهن وبذلك ينتهى هذا الاحتفال . ويعتقد أن كسر هذا الاناء الفخارى يعمل على اتقاء شر الحسد ويضمن للطفل حياة سعيدة ومستقبلا موفقا .

أما فى حالة الولادة الأولى للذكر فان الأب يقوم باستدعاء الحلاق بعد بعض الوقت لحلاقة شعره بالموسى ويقوم باعطاء الحلاق مثل وزن شعر الطفل من الفضة ، أن كانت الأسرة فقيرة الحال أو مثل وزنه ذهبا ان كانت غنية . وتميل الامهات الى تعليق الأحجبة حول رقبة الولد أو فى ثيابه . على أن أثمن كل تلك الأحجبة جميعا هو الحجاب الذى يكتبه شيخ الجامع ، ثم يغلف بعد ذلك بقطعة من الجلد . وكل هذه الأحجبة الغرض منها حماية الطفل من الشرور والحفاظ عليه فى صحة جيدة .

وتجرى العادة على طهارة كل الاولاد عندما يبلغون سن الرابعة أو أكثر وليس قبل ذلك ونجد فى مخطوطات سيوة مكتوبا الاتى « أن الاحتفال بطهارة الاطفال ، يعتبر واحدا من أقدم الاحتفالات ، وأنه يجب على من يقوم بطهارة أبنه أن يخطر كافة أقاربه ، وأن يخطر المدينة كلها أن كان غنيا . فى اليوم السابق للطهارة يقومون ، بحلاقة

معظم رأس الطفل بالموسى ، وفى مساء نفس اليوم يأتى أقارب الطفل الى منزله ويقومون بعمل « كوشاطة » فوق رأسه [٩] فيعلقون فوق رأس الطفل ورقة منقوشة ، ويقوم بعض أقارب الطفل بنقش يديه باستعمال الحناء وفى الصباح التالى يأخذون الطفل الى عين « طموسى » [١٠] حيث يغسلونه ثم يعودون به الى المنزل لطهارته.

« وبعد انقضاء ثلاثة أيام يأتى كل فرد كان قد حضر أو دعى الى الكوشاطة الى منزل الطفل ومعه سلة مليئة بالفول والرمان والخيار والبطيخ ويقدم الأقارب زوجا من الحمام أو الدجاج ويقدمون نقودا « ثم يضيف هذا المخطوط » وكان من المعتاد أن يدعو والد الطفل الى مادبة الا أنه فى أيامنا هذه يكتفى بتقديم الشاى الى كافة الضيوف » .

الـــــــزواج :

يمكن اعتبار الزواج فى سيوة أهم احتفالاتهم ، فهو مناسبة هامة حيث لا زالت التقاليد تجرى على احترامها الى حد بعيد [١١] وسوف ابدأ بما هو مسجل فى مخطوط سيوة ثم اضيف اليه بعض التفاصيل . « حينما يحل زواج مهم تدعى كافة المدينة ويأكلون « الزقاة » وهو طعام مألوف فى سيوة ويصنع من العدس والبقول . وهذا الطعام تقوم بتجهيزه أسرة العروس رغم أن احتفال العرس يتم فى بيت أسرة العريس . وفى يوم العرس يذهب النساء من أهل العريس لاحضار العروس ، ويناضلن حتى يستطعن اخذها من نساء عائلتها . ثم يذهب العريس الى غرفة العروس ويمكث بها نحو ساعة ونصف ثم يتركها . ومن المعتاد أن يحضر كل من يحضر وليمة العرس بعض « الجمار » ثم ترافق احدى النساء العروس الى منزل العريس وتكون العروس حينئذ ملفوفة فى ثوب يسمى « الجرد » [١٢] . ويتدلى من جانبها سيف وذلك حتى تصل الى زوجها . ويجدر الاشارة الى أن عادة احضار « الجمار » قد انتهت منذ ايام الشيخ عبد الرحمن معروف (أحد قضاة سيوة فى القرن التاسع عشر) وصارت الهدايا فى أيامه بقولا وأقماعا من السكر ثم حل محلها فى أيامنا هذه بعض النقود . ولم تعد هذه العادة قائمة بعد .

هذه المذكرات المختصرة ينقصها كثير من التفاصيل الهامة كما تحتاج الى بعض التعليق . فهناك مهر ثابت يبلغ « ١٢٠ » قرشا ــ ينبغى دفعه الى أى بنت سواء كانت غنية أو فقيرة صبية أو عجوزا ، بكرا أو مطلقة أو أرملة ، وذلك أن أهل سيوة يعتبرون جميعا أحفاد من نفس الجد الأربعين . وهذا المهر يأخذه والد الفتاة أو أقاربها ان كانوا فقراء . وكما هو متبع تدفع ثمانون قرشا من المائة والعشرين عند الزواج وأربعون قرشا عند الطلاق ولكن الأغنياء لا يقبلون ذلك الا أن الاختلاف يكمن فى الهدايا التى يقدمها العريس للعروس وهذه تتضمن أنواعا مختلفة من الملابس وبعض الحلى الغالية من الفضة ، وفى السنين الحديثة بعض الذهب ، ويلجأ بعض العرسان تفاديا لأى تعقيدات الى دفع مبلغ محدد من المال ــ واذا كانت أسرة العروس تريد ان تتبهرج فيمكن لها ان تضيف بعض المال من عندها . [١٣] وعلى أى حال فان أسرة العروس تنفق أيضا مبالغ ضخمة على ملابسها وزينتها ، أكثر عادة مما يتلقونه من أهل العريس . وفى أيامنا هذه تبلغ تكاليف الملابس وحدها أكثر من مائة جنيه اذا كانت العروس والعريس ينتميان الى أسرة ميسورة الحال .

وحينما ترتدى العروس ملابس العرس فى ليلة زواجها فانه ينبغى عليها ارتداء سبعة فساتين فوق بعضها البعض . الأول وهو الملاصق للبشرة يكون أبيض اللون خفيفا شفافا ، والثانى يكون أحمر شفافا ابيض ايضا . أما الثالث فيكون أسود واللون الرابع أصفر اللون ، والخامس أزرق ، والسادس من الحرير الوردى أما السابع فيكون من الحرير الأخضر . وفوق كل هذا ترتدى فستانا خاصا بالزفاف ، مطرزا بتطريز غالى التكاليف حول الرقبة وتضع على رأسها شالا من الحرير الأحمر على أن الفضة التى تتزين بها تتكلف مبلغا كبيراً من المال .

ويبلغ متوسط سن الزواج الآن للبنات ستة عشر عاما ، وللذكور خمسة وعشرين عاما . ومنذ ما يقرب من نحو ثلاثين أو أربعين سنة مضت كان من المعتاد أن تتزوج البنت من سن الثانية عشرة الى الرابعة عشرة أو أقل من ذلك . وكانت هناك عادة صارمة تمنع الرجل من مباشرة النواحى الجنسية الفعلية مع زوجته قبل انقضاء سنتين

على الأقل فلديهم الاعتقاد أنه اذا بلغت البنت سن البلوغ فى منزل زوجها فان هذا يكون مدعاة لبقائها أكثر طاعة واخلاصا له . وبعض أهل سيوة (وان كانوا قلة) لا زالوا يتمسكون جزئيا بهذه العادات ، ولكنهم وجدوا أن نصف عام أو أقل من ذلك كاف جدا لهذا الغرض نظرا لأن العروس صارت ناضجة سلفاً .

وعلى كل فانه من الأمور النادرة فى سيوة ان تجد زوجا وزوجته يقضيان حياتهما الزوجية معا اذ ان الطلاق هناك من الأمور السهلة متكررة الحدوث . وأنه لمن النادر ان تقابل رجلًا تزوج بأكثر من امرأة يعشن معا فى منزل واحد ولكنه من غير النادر أن تسمع أحد الرجال يفخر بأنه تزوج عدة مرات المرة بعد الأخرى . وليس من غير المألوف والحالة هذه أن تجد كثيرا من صغار البنات اللاتى لم يبلغن بعد سن الثمانية عشرة يكن قد تزوجن وتم طلاقهن مرة أو مرتين .

وبعد أن تكون كافة الترتيبات قد تمت بين أسرة العروسين ، عادة عن طريق النساء ، تكون أسرة العروس قد توافر لديها الوقت الكافى لحياكة وتطريز كافة الملابس كما تم لها شراء الحلى اللازمة للعروس ثم يقومون بتحديد تاريخ معين للزواج . وهذا يكون عادة بعد موسم بيع البلح أو موسم بيع الزيتون .

وفى عصر يوم عقد القران ترتدى العروس ابهى ملابسها وتذهب مباشرة فى صحبة بعض نساء أسرتها وقليل من الذكور من أقاربها الى عين طموسى [١٤] . وفيما قبل ذلك كان من المعتاد ان تنزل العروس الى تلك العين مرتدية رداء واحداً وتغتسل فى مياهها — ولكن فى أيامنا هذه فانها تكتفى بغسل وجهها ويديها وقدميها .

عند هذه العين تقوم العروس بخلع الاسطوانة المزركشة وتسمى الادرم ، من حزامها الدائرى (ويسمى الاغرو) وتسلمها لأمها أو لأحدى خالاتها لكى تستخدمها بعد ذلك احدى أخواتها الصغار أو أى بنت من بنات الأسرة فى المستقبل .

وتظل النسوة ترددن الأغانى منذ اللحظة التى يغادرن فيها المنزل وأثناء ذلك « الغسل » فى العين . وفى طريق رجوعهن يستمر ترديدهن للأغانى حتى يقابلن نساء أهل العريس اللائى يكن فى انتظارهن فى مكان معين فى الحدائق على مشارف المدينة . وكل واحدة منهن تقدم هدية على هيئة نقود ثم يستمر النساء من أسرة العريس والعروس فى الغناء حتى يصلن جميعهن الى منزل العروس .

وهناك يمضين الوقت فى الغناء والرقص فى انتظار قدوم العريس . وفى المساء يذهب العريس الى منزل العروس بصحبة بعض أقاربه وأصدقائه وتنتظر العروس فى احدى الغرف فى حراسة بعض أقاربها من الذكور . ثم تبدأ مشاجرة تمثيلية بين النساء من أهل العروسين تنتهى عادة بانتصار جانب العريس ثم يأخذون العروس الى منزلهم ومعهم باقى النساء فيستأنفون الغناء والرقص مرة أخرى . وكان من المعتاد أن تركب العروس حمارا يقوده صبى ولكن فى أيامنا هذه فانهم يستخدمون السيارة لهذا الغرض . وعندما يصلون الى منزل العريس تقوم احدى النساء بحمل العروس ويعاونها فى ذلك بعض النسوة الآخرين لتجلس فى غرفتها الجديدة . ويعتبر من المسائل الهامة ألا تلمس قدماها الأرض مطلقا أثناء حملها حيث ينظر الى وقوع ذلك بعين التشاؤم

وبعد قليل يذهب العريس لرؤية زوجته آخذا معه بعض الهدايا من الفواكه والبسكويت والفول السودانى وبعض البقول والحلوى وعندما يصل العريس ينبغى أن تغادر النساء الغرفة .[(١٥)]

وأول ما يفعله العريس لدى دخوله الغرفة هو أن ينتزع السيف الذى يتدلى من كتف العروس الأيمن ويضعه تحت السرير . وكان المتبع فى الماضى أن يقوم بخلع حذائها الأيمن وأن يضربها سبع مرات على قدمها اليمنى بيده اليمنى ولكن فى أيامنها هذه فانه يقوم بالضغط برفق على اطراف أصابع رجلها اليمنى بأطراف قدمه

اليمنى . وبعد ذلك يقوم بفتح السلة أو الحقيبة التى بها الفواكه والبسكويت ويدعوها الى أكل بعضها معه.

وبعد مرور ساعة ينزل العريس الى اصدقائه. واذا لم يفعل ذلك فانهم يقومون بقرع الباب حتى يخرج اليهم ويقضى العريس بقية الليل معهم يشاركهم الشراب ويشاهد الرقص والغناء حتى مطلع الفجر . وبعد ذلك يغادر المنزل مع صفوة من اصدقائه ويقضى يومين فى احدى الحدائق معهم ومع بعض آخر من الاصدقاء .

وفى اليوم الثالث يقوم أهل العروس بأحضار بعض الهدايا اليها وبقية أثاث المنزل متضمنا صندوقا أحمر منحوتا يجرى صنعه عادة فى مدينة الاسكندرية ، وبقية ملابس العروس ، وكذلك الاطباق والأوانى المجدولة بدقة والتى تكون العروسة قد جدلتها بنفسها ، وكذلك بعض السلال المخروطية والمرجونة ، وهذه الأوانى تصنع من سعف النخيل الناعم ويجرى زركشتها بالحرير والجلد وزراير من الصدف [١٦] ويحضرون معهم أيضا أوانى الطبخ وبعض الأطعمة .

وفى نفس اليوم يعود العريس الى منزله حاملا معه بعض الهدايا التى تشمل كل أصناف فاكهة الفصل فى عناقيدها ومثنية حول الجمار وهذه ترتب بطريقة لطيفة وتزين بالزهور ، وعادة ما تكون هذه الهدايا ثقيلة لدرجة أنها تحتاج لأكثر من رجل لحملها من الحدائق الى المنزل .

وتأكل العروس قليلا منها ثم يبدأون فى تقطيع الجمار الى أجزاء ويرسلونها مع بعض الفاكهة الى كل من قام بارسال هدية اليهم أو ساعد فى تنظيم حفل الزواج وفى اليوم السابع يجرى حفل آخر حيث تقام وليمة فى منزل العريس لكبار رجال الأسرتين .

وبعد اليوم السابع يبدأ الزوجان معا حياتهما المعتادة . وهذه الاحتفالات المطولة لا تقام الا فى العائلات الغنية وعندما تتزوج البنت للمرة الأولى .

الوفـــــاة :

لا يقوم أهل سيوة باحتفالات خاصة بالدفن تميزها عن باقى المسلمين ، فهم يغسلون جثة الميت طبقا لتعاليم الدين الاسلامى ويلفونها فى أكفان ويتوقف عدد الأكفان على مدى ثراء الأسرة .

ومن بين الأشياء التى تجتذب أنتباه الزائر لسيوة هو كثرة عدد المقابر التى يستطيع رؤيتها حول منازل المدينة والضواحى . وهذا يرجع الى أن كل عائلة كبيرة تمتلك المدافن الخاصة بها .

وحينما يتوفى شخص يحفرون له حفرة عميقة فى الأرض ويوضع فيها المتوفى بعد تكفينه ثم تغطى الحفرة بقطع من أشجار النخيل والتراب وبعض الأحجار الصغيرة مكومة فوق القبر .

ويضع أهل المتوفى على القبر حجرا كبيرا أو أثنين للتعرف عليه وفى بعض الأحيان يحيطونه بحائط منخفض من الطين .

وتقوم نساء العائلة وأقرباؤهن باظهار علامات الحزن الفائق ويصرخن بأعلى أصواتهن وتبلغ علامات الحزن منتهاها فى لحظة مفارقة جثة المتوفى لمنزله محمولة فى نعش فوق أكتاف أقاربه.

وتطلق النساء صرخات عالية جدا ويمزقن ثيابهن ويضربن على صدورهن ويهلن التراب على رؤوسهن ، وفى بعض الأحيان يلطخن وجوههن بالطين أو بعض المساحيق الزرقاء .

وفى تلك الأوقات ينسى النساء القاعدة المتبعة هناك وهى تجنب أن يراهن أى غريب عنهن ويمكن رؤيتهن حينذاك دون « شال » يغطى رؤسهن أو أوجههن .

وتجدر الاشارة إلى أنهن بحالة شعورهن المكونة من جدائل صغيرة من الشعر وفى علامات الحزن المبالغ فيه يقدمن صورة للمرأة المصرية التى نراها فى المناظر الجنائزية على جدران المقابر القديمة ، ومن عادات السيويين أنهم يتجنبون ـــ ما

استطاعوا الى ذلك سبيلا ــ ترك جثة المتوفى لينقضى عليها الليل فى المنزل لأنهم يعتبرون ذلك مدعاة لسوء الحظ ويجلب الشرور على أسرة المتوفى .

فاذا توفى انسان بعد الظهر مباشرة فانهم يعدون كل التجهيزات اللازمة لدفنه فى نفس اليوم حتى لو اقتضاهم الأمر أن يأخذوا الجثة الى القبر ودفنها على أضواء المصابيح ولا يتركون شيئا فى القبر مع الميت الا أنهم فى بعض الأحيان يضعون معه فى القبر اناء من البخور أو إصيصا به بعض الماء وحينما تتوفى لرجل زوجته فهو فى حل من ان يتزوج أخرى حتى ولو كان ذلك فى نفس شهر وفاتها ولا يتعرض لأى نقد بينما اذا حذث العكس وتوفى رجل متزوج يكون موقف الناس بازاء زوجته مختلفا تماما .

الغـــــولة :

ان لفظ « غولة » تعنى حرفيا أنثى الغول المفترض أنه يلتهم الآدميين وعندما يتوفى شخص مخلفا وراءه أرملة يطلقون عليها اسم « الغولة » ذلك ان المجتمع يعتقد أنها صارت لديها عين قوية حسودة تجلب سوء الحظ لمن تقع عليه وهذه الأرملة المسكينة قد لا تكون بلغت من السن أكثر من ستة أو سبعة عشر عاما الا أن شقاءها يبدأ من اللحظة التى يوارى فيه زوجها التراب ويصطحبها بعض أقاربها من النساء إلى « عين طموسى » حيث تخلع حليها وثيابها المعتادة وترتدى ثوبا أبيض علامة على الحزن .

ثم بعد ذلك يكون على هذه المرأة المنكوبة أن تعيش فى عزلة تامة طول أربعة شهور وعشرة أيام فى الأيام الماضية ، وأربعين يوما فى عصرنا الحالى .

وينبغى الا يكون فى طعامها أى شىء من اللحوم وهو الطعام الذى تأتى به اليها احدى النسوة العجائز وهى الشخص المسموح له بزيارتها فقط فى تلك الفترة .

ويسمح لها بالكلام ــ دون أن تفتح باب بيتها ــ الى أقربائها من النساء أو الى أقربائها من الذكور الذين لا يحل لهم الزواج بها طبقا للقانون كوالدها وأخواتها وأعمامها وأخوالها .

وفى نفس الوقت لا يسمح لها بتغيير ثيابها البيضاء أو أن تغتسل أو تقص شعرها أو أن تستعمل « الكحل » فى عينيها أو أن تستخدم أى نوع من الزينة .

وبعد أن تكون مدة العزلة قد انتهت يدور منادى المدينة ومعه صبى يقرع الطبلة من شارع الى آخر ليعلن على الملأ بأن « الغولة » سوف تعود الى الظهور فى اليوم التالى .

وفى ضحى ذلك اليوم يجرى بعض الصبية فى الشوارع يعلنون أنها سوف تظهر فى الحال ، وفى وقت الظهر يصعد أحد أقربائها من الذكور الى سقف بيتها ويصرخ بأعلى صوته أنها على وشك الظهور .

ورغم أن وقت عزلتها يكون قد انتهى فان الناس يظلون فى خشية أن تكون هناك بقايا من العين الشريرة لا زالت لديها ، وهم يعتقدون أنه لو وقع بصرها على أحد لأصابته بالنحس . وعلى ذلك فبعد كل هذه التحذيرات تغادر بيتها ووجهها مكشوف لكن عينيها معصوبتان .

ويصحبها بضع نفر من أقربائها بينهم بعض الصبية الذين يرددون جملة تعنى بلغة أهل سيوة « تجنبوا سوء الحظ فان الغولة قادمة اليكم » .

وهذا التحذير فى معظم الأحوال يعتبر زائدا لأن الرجال الذين يسكنون قرب بيت الغولة يكونون قد ذهبوا الى الحدائق منذ الصباح الباكر وأن النساء وأطفالهن يكن قد أغلقن بيوتهن على أنفسهن .

واذا كانت الغولة تسكن فى مدينة سيوة فانها تذهب الى عين طموسى أو الى عين « تلحرام » وأن كانت تسكن فى مكان بعيد فانها تذهب الى أقرب عين أو بئر لتغتسل بالماء .

وبعد ذلك تعتبر خالية من الروح الشريرة التى تكون قد حلت بها . وعندما تصل الغولة الى منزلها تزين نفسها بحليها مرة أخرى وتقص شعرها وتشذبه . وترتدى أبهى ثيابها وتستقبل أقاربها وأصدقائها وفى فجر اليوم التالى تصعد الى سطح منزلها وتلقى

قطعة صغيرة من سعف النخيل على أول رجل أو أمرأة يمر أمام بيتها فاذا أصابته فأنه يتوقع حدثا سيئا بالنسبة له أثناء ذلك اليوم ، ولكن سواء أصابت السعفة أو خابت فان الأرملة تكون قد تخلصت تماما من سوء طالعها وتستطيع بعد ذلك أن تستأنف حياتها العادية .

وبعد سنة من وفاة زوجها يحق لها أن تتزوج مرة أخرى بمن تشاء [١٧] .

ولكن هذه العادة القاسية غير معروفة اطلاقا فى أى مكان آخر فى مصر لأنها لا تمثل فى كافة الأحوال الروح الاسلامية ولا تقاليد قدماء المصريين ، وعلى كل فانها تذكرنا بالمعاملة التقليدية للأرامل فى بعض المجتمعات الآسيوية الافريقية ــ واننى لأتساءل : فى أى وقت ورث أهل سيوة هذه العادات طالما أنها ليست موجودة بين مجتمعات البربر أو العرب فى أيامنا هذه ؟

المواســـم والأعيـــاد :

أهم الأعياد فى سيوة أربعة : اثنان منها دينى ويحتفل بها كافة المسلمين حيثما كانوا ــ وهذه هى : العيد الأصغر الذى يحتفل به فى نهاية شهر رمضان والعيد الأكبر الذى يسمى عيد الأضحى .

أما العيد الثالث فهو محلى ويحتفل به فى سيوة بمفردها . وهو عيد سيدى سليمان « الولى » المحلى الذى يقترن ذكره بالحصاد . أما العيد الرابع فهو عيد عاشوراء .

واحتفال سيوة بالعيد الأصغر لا تصحبه أى تقاليد مميزة تجعله مختلفا عنه فى باقى الواحات أو قرى ومدن وادى النيل بينما يختلف الاحتفال بالاعياد الثلاثة الباقية عن طريقته فى أى مكان آخر .

عـــيد الاضـــحى :

يحتفل المسلمون بعيد الأضحى فى اليوم العاشر من الشهر العربى ذى الحجة أى بعد سبعين يوما من العيد الأصغر . وفى ذلك اليوم يجتمع الحجاج المسلمون فى

مكة على جبل عرفات حيث يقوم كل واحد من الحجاج بذبح حمل احتفالا بذكرى تضحية سيدنا ابراهيم بولده (وطبقا للاسلام يعتبر ولده اسماعيل وليس اسحق) .

وفى نفس ذلك الوقت يقوم كافة المسلمين باتباع هذا الاحتفال فى بلادهم . فيقوم المحتفل بذبح كبش فى منزله أو على الأقل يقوم باعداد اللحوم لتأكل أسرته . وهذا التقليد يهيء الفرصة للأغنياء ليعبروا عن مشاركتهم للفقراء من أقربائهم وجيرانهم بينما ينعم أفراد الأسرة الواحدة بوجبة شهية .

ورغم ان طرائق الطهى أو عدد الأطباق المقدمة تختلف فان ما يشترك فيه الجميع هو أنهم يحصلون على أجود ما يشتهونه من اللحوم فى ذلك الصباح . الا أن أهل سيوة لهم طريقتهم الخاصة فى الاحتفال بهذا العيد ففى اليوم الأول من شهر ذى الحجة يتوقف « الزقالة » عن القيام بأعمالهم فى الحدائق ويخرجون لجمع القش والأعشاب الجافة وسعف النخيل لاستخدامها كوقود اثناء الاحتفالات . ويستمر الوضع على هذا النحو لمدة سبعة أيام وفى اليوم الثامن يحضرون كميات ضخمة من الملح من حى معين عند البحيرات المالحة . وفى اليوم التاسع يبدو كل انسان منشغلا تماما ، فالنساء يقمن بتنظيف المنازل ويضعن الأكلمة وأغطية السرير والبطاطين على أسقف المنازل بينما يقوم الزقالة بتخزين الأعلاف للماشية .

وفور شروق الشمس بعد الاحتفال بصلاة العيد فى المسجد يعود المحتفلون الى بيوتهم ليذبح كل منهم شاة ان كان يستطيع ذلك . وبدلا من أن يأكلوا أحسن لحم فيها فى اليوم الأول كما يفعل المسلمون فى أى مكان آخر فانهم يجهزون تلك الأكلة بطريقة مخالفة . فيقومون بجز شعر الشاة وبعد أن يزيلوا كافة الشعر من على جلدها يقومون بتقطيع جلدها الى شرائح طويلة ثم يقومون بطبخ هذه الشرائح فى زيت الزيتون مع قلب الشاه وكبدها وكليتيها فى أناء فخارى .

وعندما كنت فى زيارة لسيوة عام ١٩٤١ يوم عيد الأضحى أصر واحد من شيوخهم على دعوتى لمشاركتهم فى هذه الأكلة هو وأبناؤه . ولابد لى هنا أن أعترف

أنى لم أكن متعودا على هذا النوع من الطعام ومع ذلك فلم أجدها رديئة كلية .

فلم تكن صعبة المضغ تماما وقد أكلت ــ بفضل كرم ذلك الشيخ ــ على قدر ما وسعنى المأكل ولكن مساعدى الذى دعى معى لم يستطع مواصلة الأكل بعد اللقمة الأولى حين علم بكيفية الطهى وماهية الطعام وبقى فى حالة من « القرف » بقية اليوم .

وفى اليوم الثانى للعيد تتكون الأكلة من رأس الشاه ورجليها وبعض أجزاء من أحشائها وبعد ذلك تقسم اللحوم الى أجزاء يزن كل منها نحو رطل ونصف . ويوزع جزء كبير من اللحوم على الأقارب وخصوصا بنات الأسرة المتزوجات حديثا . وبعد أن يقوم أهل سيوة بأكل ما يستطيعون أكله من اللحوم بعد ظهر اليوم الثانى من العيد يقومون بتقطيع القطع المتبقية من اللحوم الى قطع صغيرة جدا يخلطونها بكميات كبيرة من ملح الطعام ويشبكونها على هيئة خيوط . ثم يجففون هذه الخيوط ويخزنونها لوقت الحاجة . أما الجزء الباقى من اللحوم فيقومون بطهيه بالدهن ويخزن فى أوعية فخارية يحكمون اغلاقها بالطين . وعلى ذلك يمكن حفظ اللحوم لعدة شهور . وهذه الطريقة للحفظ يتبعها البدو فى الصحراء حينما يضطرون الى ذبح أحد ابلهم . وهذا اللحم المحفوظ يطلقون عليه اسم « القديد » .

عـــيد ســـيدى سليـــمان :

يعتبر قبر سيدى سليمان والذى يقع الى جانب المسجد الجديد فى الميدان الواسع لمدينة سيوة أكثر الأماكن اجلالا فى سيوة . ذلك أن سيدى سليمان هو ابو الأولياء عندهم الذى يعتقدون فى حرمته والمعجزات التى يمكن ان يقوم بها . والاحتفال بمولده يحل بعد حصاد الحبوب . ويبدو أن هذا العيد يحل محل أحد الأعياد القديمة الوثنية للحصاد . الا أنه فى أيامنا هذه فقدت الاحتفالات كثيرا من مباهجها نظرا لأن الحكومة تمنع شراب اللبجى أو أى نوع مماثل من النبيذ علنا اثناء أسبوع الاحتفال بهذا العيد . والقصد من هذا المنع تجنب الحوادث والمنازعات بين

« الزقالة » حينما يأخذهم السكر ، ومع ذلك فان هذا العيد لا زال يعتبر أهم أعياد سيوة فهو يعيد الى الأذهان بعض جوانب الأعياد فى الأزمنة القديمة ، وقبل أن ندخل فى مزيد من التفصيلات فأننى أذكر نصا حرفيا لوصف هذا العيد من المخطوط الخاص بسيوة : « من بين العادات القديمة كان يوجد يوم فى السنة اعتاد فيه كل السكان على التقابل معا فى مكان يسمى « العايد » فيحضر كل واحد معه بعض أرغفة الخبز ملآنة « بالمخماخ » أو « الغيارين » وهاتان كلمتان من كلمات أهل سيوة فالمخماخ عبارة عن نبات يطهى مع الفول والعدس ، أما الغيارين فيتكون من الفول المطبوخ المضاف اليه بعض النباتات » . ويستطرد المخطوط « ويوضع الطعام الى جوار أحد جدران الحدائق والذى يصل من مكان يعرف الآن باسم جامع الدره الى خليج تنصار . وفى تلك الليلة يرقص الرجال معا كما ترقص النساء معا حتى الصباح » . ويصفون طعامهم فى مكان واحد ويأكلون ويشربون طوال الليل . ولكن هذه العادة قد استبعدت نظرا لما كانت تسببه من هفوات كانت تحدث بينهم من جراء ممارستها .

وقد حلت هذه الليلة محل ليلة عاشوراء [١٨] التى اعتادفيها المشتغلون بعصر الزيوت بلف الأعمدة الطويلة والسميكة بقطع قديمة من النبات ، سبق غمسها فى زيت الزيتون . وينقسم الناس الى مجموعات كل مجموعة تلتف حول عمود من الأعمدة ثم يشعلون النار فى هذه الأعمدة . حيث يقضون الليل كله. ولقد استمر العيد لمدة سبع ليال من الأكل وتناول المشروبات التى تسبب السكر . ولقد انقطعت هذه الاحتفالات نظرا لتكاليفها وحل محلها الاحتفال السنوى بمولد سيدى سليمان .

وعلى ذلك فقد حل مولد سيدى سليمان محل عيدين قديمين ليس لهما الصفات الدينية . وفى حقيقة الأمر فان الاحتفالات بمولده لا زالت تحمل فى طياتها كل العناصر المشتركة للأعياد السابقة . ولكنه من الضرورى ، قبل أن نصف هذا المولد أن نعلم مزيدا عن سيدى سليمان نفسه وعن فكرة أهل سيوة عن شخصه

الأسطورى وذلك يكشف بدوره عن المؤثرات القديمة غير الاسلامية .

يقول أهل سيوة أنه قبل مولده شعرت والدته برغبة طاغية لأكل السمك ولم تستطع القيام بعملية الوضع وكانت على شفا الوفاة ، وليست هناك أسماك فى سيوة كما ان البحر يبعد عنها بما يزيد عن ٣٠٠ كيلو مترا ولا يتسنى الوصول اليه قبل[١٩] مضى سبعة أو ثمانية أيام . وفجأة حدثت المعجزة . فقد دخل طائر الى غرفة والدته من شباك كان مفتوحا وأسقط سمكة فيها . وجرى تنظيف هذه السمكة وطهيها وأكلتها والدته وسرعان ما نزل الطفل . وهذا هو السبب الذى من أجله تأكل كل أمرأة حامل فى سيوة الأسماك المملحة ، اذا تعتقد أنها ربما أنجبت طفلا مشابها . وهذا يفسر فى ذات الوقت لماذا يطهى أهل الواحة السمك المملح فى اطباق معينة فى المناسبات معينة .

ويروى أهل الواحة قصة أخرى . اذ يقولون أنه حدث أثناء حياة سيدى سليمان أن قدم جيش من الزنوج المتوحشين من قبائل التبو من السودان الغربى لمداهمتهم ، فقام هذا الولى الصالح بدعوة الناس الى الجامع للصلاة . وكانت صلاة ناجحة اذ هبت عاصفة رملية شديدة تسببت فى دفن هؤلاء الغزاة . وهذا يذكرنا بقصة جيش قمبيز الذى أرسل الى سيوة فى القرن السادس قبل الميلاد . وفى هذه القصة الأخيرة حل سيدى سليمان محل الاله آمون فى انقاذ سيوة بارسال هذه الريح الرملية العاصفة التى تمخضت عن دفن ذلك الجيش بأكمله قبل أن يتمكن من الوصول الى سيوة .

ويذكر أهل سيوة أيضا من مناقب وليهم العظيم أنه كان شديد الكرم يدعو الى اكرام الغرباء . فبعد وفاته ببضع سنين وصل الى الواحة بعض الحجاج من البدو فى طريقهم الى مكة المكرمة ورغم أن هؤلاء كانوا محتاجين الى المعونة فلم يقدم لهم أهل الواحة أى نوع من المعونة بل طردوهم من الديار . لم يرض الولى بهذا التصرف من جانبهم فأغلق باب مدفنه ورفض أن يدعهم يدخلون الى قبره . وباءت كل جهودهم للدخول اليه بالفشل الذريع حيث استعصى عليهم فتح الباب وتساءل القوم عن السبب الذى أغضب أمامهم الأعظم منهم . فتذكروا ما فعلوه تجاه أولئك الحجاج الفقراء وفى

الحال بعثوا اليهم بالرسل لاحضارهم الى سيوة . وبمجرد أن حضر اليهم هؤلاء الحجاج قدموا اليهم الطعام وكل وسائل الترفيه ولشدة دهشتهم أن الباب فتح تلقائيا بطريقة مثيرة للعجب .

ويروى أهل الواحة كثيرا من الأقاصيص عن رجلهم الصالح ، ويعتبرون قبره ملجأ لأى شخص يطلب الحماية كما يعتقدون بشدة فى تلك الأساطير ويثور غضبهم اذا ما تعرض فرد للتشكيك فى هذه الروايات .

وقبل أن يحل موعد المولد يكون كل فرد مشغول بالتجهيز لهذا الحدث الهام بحياكة الملابس واعداد الخبز والكعك أو احضار الفواكه من الحدائق أو تخزين المشروبات لتكون جاهزة حين يحل الموعد . وفى اليوم السابق للمولد يقومون بغسل الضريح الخاص بسيدى سليمان والأضرحة الأخرى .

ويذهب قوم آخرون الى العين لتنظيفها . أما فى يوم الاحتفال فيقوم أثرياء المشايخ بذبح الشياه ويوزعون لحومها على الفقراء ، كما تقوم النساء بتعليق السجاجيد والبطاطين والأكلمة الملونة من أسقف المنازل ونوافذها ويرتدى كل امرىء أبهى ثيابه . وفى ساعات الصباح يتزاور أهل سيوة فى منازلهم للمباركة بهذا العيد . ثم بعد الظهر ينسحب الرجال الأحدث سنا الى الحدائق ليشتروا مشروبهم المفضل «اللبجى » وأما عند غروب الشمس فيعود الكل الى ميدان المدينة الذى يكونون قد اضاؤوه بالشموع والمصابيح الغازية وزينوه بالاعلام وقرب ضريح سيدى سليمان يقوم الرجال المسنون الذين يتصفون بالتدين باقامة حلقات الذكر حيث يرددون اسم الله ويحركون أجسامهم على ضربات الطبول وصوت الناى .

وفى مكان يبعد قليلا عن الميدان بالقرب من سفوح التلال حيث تقع المدينة القديمة يحتفل معظم الرجال وخصوصا الزقالة بطريقة مخالفة : اذ يستمر الاحتفال لثلاثة أيام أخرى يقضونها فى الأكل والرقص والغناء والشراب رغم حظر تعاطى الكحوليات . وبذلك يستمتعون الى أكبر درجة ممكنة ، وبعد أن ينتهى الاحتفال يجدون أنفسهم فى حاجة الى بضع أيام من الراحة .

عيـــد عاشـــــوراء:

كان هذا العيد منذ بضع مئات من السنين العيد الرئيسى فى سيوة الا أنه الآن يعتبر هو العيد الثانى من حيث الأهمية فقد احتل مكانه مولد سيدى سليمان . وأصل هذا العيد دينى اذ أنه يمثل ذكرى استشهاد آل الحسين بن على وفاطمة (ابنة النبى محمد عليه الصلاة والسلام) الذين قتلوا فى كربلاء فى العراق فى العاشر من المحرم بعد الأضحى بثلاثين يوما . وكان هذا عيدا بالغ الأهمية أثناء الحكم الفاطمى فى شمال افريقيا ومصر منذ ما يزيد على ألف سنة ، ويحتفل الشيعة المسلمون حاليا بهذا اليوم بمهابة كبيرة .

ورغم أن أهميته قد تضاءلت منذ زمن بعيد فى مدن مصر فان هذا العيد لا زال يحتفظ بجزء كبير من أهميته فى سيوة .

وحينما كنت أناقش موضوع عيد سيدى سليمان فقد تذكرت جملة من مخطوط سيوة يشار فيها الى انه عند الاحتفال بعيد عاشوراء يقوم من يشتغلون بعصر الزيت بالاحتفال به بإضاءة ميدان المدينة . وفى أيامنا هذه تركت عاشوراء مكانها الى مولد سيدى سليمان وصارت عيدا للأولاد فى المقام الأول .

وقبل حلول هذا العيد ببضعة أيام يبدأ الصبية بتزيين أسقف منازلهم بسعف النخيل ويثبت فى كل منها شعلة مغموسة فى زيت الزيتون . وحين ينتهون من عمل ذلك يقفون سويا فى مجموعات ويغنون بأعلى أصواتهم اغان قديمة لا تغنى الا فى هذا العيد . وعلى مدى عشر دقائق تكون المدينة قد أضيئت ويتردد صدى غناء هؤلاء الأولاد من كل ناحية .

وتعد أكلة كبيرة فى كل بيت بهذه المناسبة ويستمتع كافة افراد الأسرة بالاجتماع سويا وقضاء تلك الليلة معا . وفى اليوم التالى يخرج كل طفل الى الشارع مرتديا أحسن ثيابه حاملا معه بعضا من سعف النخل يتدلى منها بعض الفواكه والفول السودانى والحلوى . وبعض أصناف الكعك . ويقوم كل الاولاد بزيارة أقربائهم من

نفس السن ليتبادلوا الحلوى . والواقع أن الآباء وكبار السن لا يشتركون فعليا فى هذا العيد فالرجال يجلسون أمام منازلهم بينما تصعد النساء الى اسطح منازلهن لمشاهدة أولادهن وأولاد جيرانهن وأقاربهن وهم يتنقلون من منزل الى منزل فى مرح وسرور .

عادات وخرافات أخرى :

وهناك عادات أخرى كثيرة لدى أهل الواحة لا يتسع المقام هنا لسردها بالتفصيل . ولقد تناولت الأعياد الهامة فى سيوة ويمكن للقارىء الكريم أن يجد مزيدا من المعلومات عن ذلك فى المراجع التى أشرت اليها فى الحواشى .

وأشير هنا بطريقة عابرة الى عادات الحج الى مكة المكرمة حين كان يتم استخدام الابل لهذه الرحلة . والواقع ان استخدام السيارات فى العصر الحديث قد تسبب فى ابطال عدد من الاحتفالات .

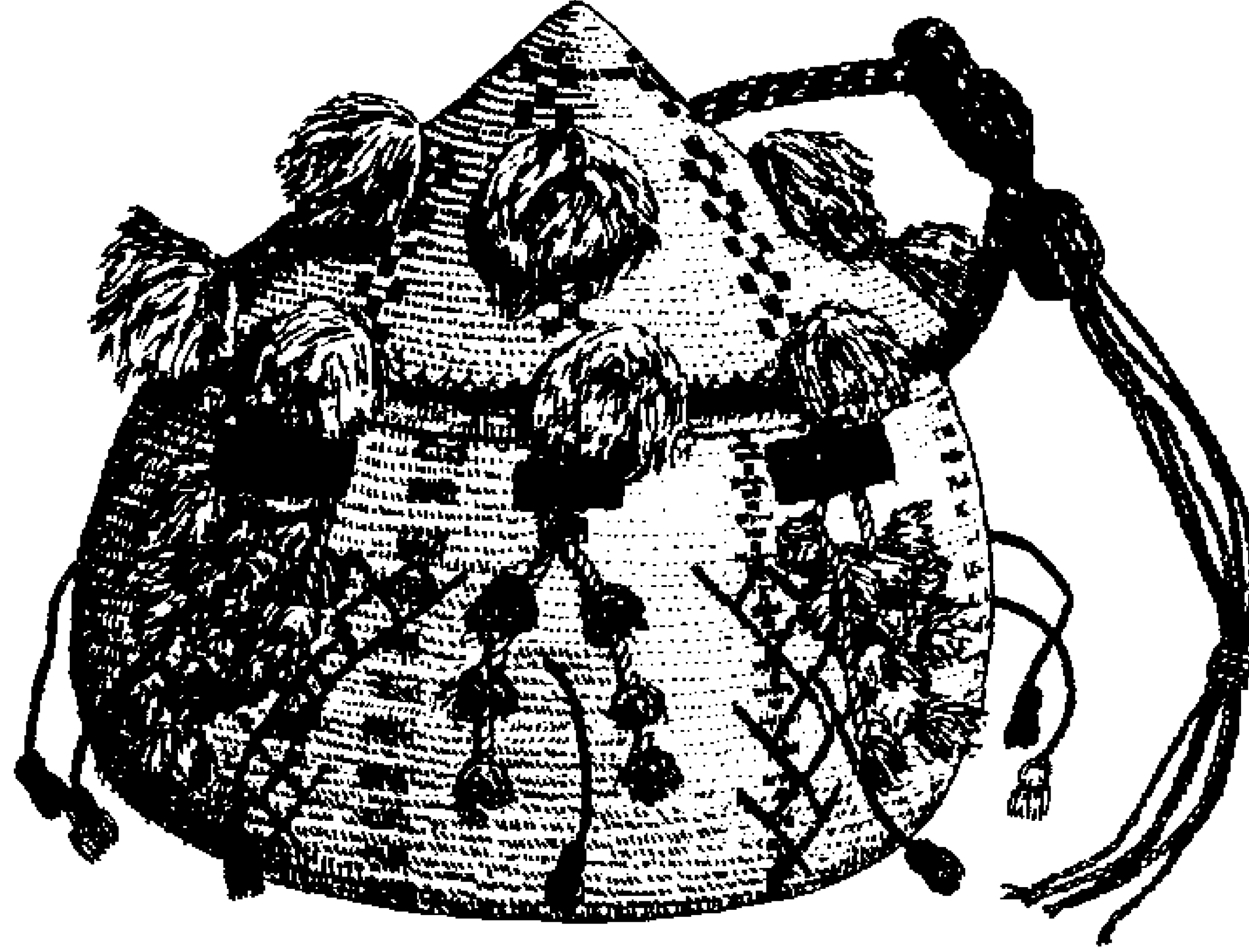
وكذلك أشير الى أن الاحتفالات القديمة بذبح عجل حين ينتشر مرض وبائى وتوزيع قطع من لحمه على كل سكان الواحة قد اختفت أيضا . فقد كان المعتقد أن كل من يأكل من هذه اللحوم يستطيع النجاة من الموت الذى يتهدده [٢٠] .

وأهل سيوة رجالا ونساء من أشد الناس تطيرا ، منهم يعتقدون بشدة فى الحسد ويعملون ما فى وسعهم لتحصين أنفسهم ضده كما يلاحظ ذلك فى التعاويذ والأحجبة التى يحملها الأطفال منذ ولادتهم . وحتى الكبار يعتقدون بشدة فى مثل هذه الأحجبة ــ وهناك فى سيوة محترفون من الرجال والنساء الذين يقومون بكتابة وصنع هذه الأحجبة والتعاويذ ويحفظون عن ظهر قلب بعض الأدعية يرددونها عند مرض شخص أو اصابته بأى أذى . ويعتقد الناس فى سيوة أيضا فى السحر ولم يحدث أن كانت الواحة خلوا من اثنين أو ثلاثة من السحرة الذين لا يمكن الاستغناء عن خدماتهم [٢١] .

ولا يقتصر خطر الحسد على البشر بل يتعداه الى الحيوانات والمحاصيل ، ومن الأمور المعتادة أن ترى هيكلا عظميا للقرود مرفوعا على عصا طويلة ومثبتاً على

جدران أحد الحدائق كحماية لها من عين الحسود والواقع أن كثيرا من العادات والتقاليد القديمة فى سيوة بدأت فى التغير وبعضها قد تعدل أو اختفى تماما . ولكن التطير بوجه عام لا زال باقيا رغم انتشار التعليم ووجود الأطباء .

ويعتقد أهل الواحة ــ وخصوصا النساء منهم ــ ليس فقط فى عين الحسود ولكن يعتقدون أيضا فى الآثار الكبرى للقوى غير المنظورة مثل الجن الذى يستطيع فى اعتقادهم أن يؤذيهم اذا لم يسلحوا أنفسهم ضده . ويبدو أنه يلزم انقضاء أجيال كثيرة حتى يمكن اختفاء هذه الخزعبلات تماما ان قدر لها ذلك . والآن ربما كان كافيا ما عرضنا له من العادات والتقاليد والتطير ولنتجه الى التاريخ القديم لواحة سيوة .



الفصل الثالث

سيوة منذ أقدم العصور حتى ظهور الاسلام

اســـم ســـيوة :

هناك عدة تكهنات عن أصل ومعنى كلمة « سيوة » غير أنه ليس من بينها ما يعتبر قاطعا ، وقصارى ما يمكن قوله هو أن هذا الاسم جديد نسبيا ، حيث انه لم يكن معروفا فيما قبل العصور الوسطى ، وقد اطلق المقريزى وغيره من الكتاب العرب على هذه الواحة اسم « سنترية » . فقد ذكرها المقريزى بهذا الاسم فى القرن الخامس عشر وأضاف بأن سكانها يتكلمون لغة « السيوية » وفى القرن السابع عشر كان اسم « سنترية » قد نسى تماما سواء من قبل سكان الواحة أو البدو على الساحل وعرفت فقط باسم سيوة [٢] . وفى كتاباتهم أشار المؤلفون الرومان والاغريق الى الواحة على أنها واحة جوبتر ــ أمون نسبة الى وحى أمون الذى كان موجودا بها . وفى النص الشهير عن الواحات السبع فى معبد ادفو الذى يرجع تاريخه الى القرن الثانى قبل الميلاد [٣] . يرد ذكر هذه الواحة الا أن النص مهلهل لسوء الحظ .

ويقول الجزء المتبقى منه « الواحة التى تقع جنوب غرب شرب Sherep (أى وادى النطرون) .... بنتا Pnta » . وهذا يوضح أن الاسم قد بدأ بالحرفين « تا ... » وربما كان واحدا من اسمين أى الاسم الدينى ، أما الاسم الآخر الذى يمكن اعتباره الاسم الشائع فقد ضاع والاسم « تا ... » لا يوجد فى أى نص جغرافى آخر فى معابد هذا العصر . ويعتقد بعض المؤلفين ان اسمها القديم هو « حقل أشجار النخيل » الذى ورد فى نصوص عديدة الا أن هذا تعبير عام أطلق على كل الواحات وليس على واحة سيوة بمفردها [٤] ، غير أنه قريب على أى حال من التعبير العربى « بلاد الجريد » الذى كان يطلق على كل الواحات فى العصور الوسطى [٥] .

واذا يممنا وجها صوب الاثار التى لا تزال موجودة فى الواحة لوجدنا اسم « ثا » أو « تاى » قد جرى ذكره ثلاث مرات : على جدار معبد أم عبيدة فى أغورمى وفى مقبرة « سى ــ أمون » وفى مقبرة « مسو ــ ايزيس » وفى جبل الموتى ، وقد ارتبط الاسم بالالهين أمون رع وأوزيريس اللذين كانا يعبدان هناك ، وهو اسم هذه الواحة أو على الأقل اسم مدينتها الرئيسية .

وينبغى ان نتذكر كذلك أن سكان سيوة كانوا أصلا من البربر وأن لغتهم التى يتحدثون بها حتى الآن هى واحدة من لهجات البربر . وقد أشار اليعقوبى (المتوفى عام ٨٩٧م) الى قبيلة بربرية تدعى « ... سوا » كما ذكر ابن خلدون (من ١٣٦٢ ــ ٤٠٦م) « تى ــ سوا » (تى أداء تعريف بربرية) على أنها احدى قبائل بنى الوسواح التى تعتبر فرعا من لواطة [٦] .

سيوة فى العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث :

حتى الآن لم تجر دراسة وافية لعصور ما قبل التاريخ فى واحات الصحراء الغربية اللهم فيما عدا الواحة الخارجة التى لقيت شيئا من الاهتمام . وكل ما نعرفه عن واحة سيوة مبنى على الاكتشافات السطحية التى قام بها نفر قليل من علماء ما قبل التاريخ ومن بينهم هـ و. سيتون كار H. W. Seton-Karr الذى أهدى عددا من الأدوات التى وجدها هناك الى متحف الاسكندرية وس. و. كننجتون C. W. Cunnington الذى أعطى مجموعة صغيرة من الأدوات الى نفس المتحف ولكن خير ما وجده هذا العالم محفوظ حاليا بمتحف الآثار والانثوجرافيا فى كمبردج (انجلترا) ، أما أوريك بيتس Oric Bates فقد جمع مزيدا من الأدوات أثناء عمله بالصحراء قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . وقد برهنت دراسة هذه الأدوات الظرانية على وجود خصائص متشابهة بينها وبين الأدوات المماثلة التى عثر عليها فى بعض أنحاء الجزائر والمغرب فى الصحراء الكبرى وفى برقة والنوبة وبعض المناطق الأخرى فى مصر كما دلت على وجود ارتباط جازم بينها وبين صناعات العصر الحجرى القديم الأعلى [٧] .

ومن بين العينات التى جمعها كننجتون نوع من السكين مصنوع من ظران أملس جرى شطفه ــ كما كانت العادة ــ من جانب واحد وفى طرفه فقط وهذه الأداة تشبه أدوات مثيلة من حضارة الفيوم (ب) التى يرجع تاريخها الى فترة متأخرة من العصر الحجرى الحديث وان كانت بها بعض اختلافات أساسية ، ففى سيوة تعتبر الاداة العريضة التى تشبه ورقة الصفصاف والرمح الرفيع ذا صبغة محلية مميزة [٨] . هذه الأدوات تبرهن على أن سيوة كانت مأهولة فى العصر الحجرى القديم والعصر الحجرى الحديث وان حضارة سكانها فى تلك الأزمنة الموغلة فى القدم تتشابه مع حضارة البلدان الواقعة الى الغرب من مصر وتتشابه فى الوقت عينه مع حضارة وادى النيل .

سيوة فى العصور التاريخية :

فى نهاية عصر ما قبل الأسرات وابان عصر الدولة القديمة عاش فى المنطقة الواقعة غرب الدلتا قوم كان المصريون يسمونهم فى نصوصهم « التحنو » وبعد ذلك احتل أراضيهم قوم آخرون يدعون « التمحو » وقد استوطن هؤلاء الناس المناطق غربى مصر بما فى ذلك ، فيما يحتمل الساحل وواحة سيوة وواحات أخرى ، الا أن ما نعلمه عنهم محدود وليس بامكاننا القول بدقة ما اذا كانوا هم اسلاف البربر أو أى فرع آخر ، وما اذا كانت لغتهم ترتبط بأى من اللهجات البربرية أو بلهجة أهل سيوة حاليا . ومسألة معرفة ماهية هذين الشعبين وصلتهما بتاريخ الصحراء الغربية تعتبر من المسائل الهامة للالمام بالخلفية التاريخية لسيوة ولذلك فسأتناول هذا الموضوع هنا بشيىء من التفصيل .

عاش التحنو والتمحو الى الغرب من مصر ومنذ أقدم العصور كانوا ينزحون الى وادى النيل ويقيمون غربى الدلتا وذلك عندما يحل بأرضهم الجفاف أو عندما تجبر غارات داخلية أو خارجية بعضا من قبائلهم على البحث عن موطن جديد وفى بعض الحالات كان طريق هجراتهم يمر عبر الواحات البحرية أو الفرافرة ، ولكنهم كانوا بصفة

عامة يذهبون الى سيوة أو يتقدمون بمحاذاة الساحل ومنطقة مريوط . وفى المنطقة الغربية من الدلتا الى الغرب من الفرع الكانوبى للنيل (الذى كان المصريون القدماء يسمونه النهر الغربى) ، كان يقطن شعب هو فى أغلبه خليط من الليبيين وينتمى الى نفس جنس البحر المتوسط الذى كان ينتمى اليه العنصر الأسمر البشرة من اهل وادى النيل ، وتقابل هذه المنطقة من أقاليم الدلتا الأقليم الثالث (الغربى) والأقليم الخامس (الصاوى) والاقليم السابع (الرمح المسنن) . وكان الاله الرئيسى للاقليم الثالث هو اله الصقر الذى كان يدعى « حورس الليبى ذو الذراع الضاربة » اما المعبودة نيت ، المعبودة الرئيسية فى سايس (الاقليم الخامس) فكانت تتميز بالسهم وتسمى « نيت الليبية » [٩] .

ويبدو ان الاقليم السابع من اقاليم الدلتا لم يمتد غربا لأبعد من بحيرة مريوط ، أما المنطقة الواقعة غربى البحيرة ، فضلا عن واحات الصحراء ، فلم تكن تعد جزء من أى اقليم بعينه، وحتى عام ١٩٧١ كان من المقبول بين العلماء بصفة عامة أن الواحات لم تندرج تحت سيطرة الحكومة المركزية فى مصر قبل الدولة الوسطى (القرن العشرين ق.م.) ولم يتم تمصيرها الا فى الاسرة الثامنة عشرة (القرن الخامس عشر ق.م.) ولكن حفائرى الحديثة فى الواحة الداخلة والتى أجريت فيما بين عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٢ أثبتت ان حكام الواحة كانت لديهم عاصمتهم على الأقل منذ الأسرة السادسة (من ٢٤٢٠ ـــ ٢٢٨٠ ق.م.) فى منطقة عين أصيل بالقرب من بلاط واستمروا يتبوءون مركز الحكم هناك اثناء عصر الانتقال الأول (من ٢٢٨٠ ـــ ٢٠٥٢ ق.م.) .

وقد تم الكشف عن خمس من مقابر هؤلاء الحكام الأثرياء كما عثر على نقوش بالغة الأهمية تتضمن ابوابا حجرية منقوشة ولوحات ومسلات وموائد قرابين ... الخ ومن الملاحظ ان الطراز المعمارى لهذه المقابر وكذا النصوص الهيروغليفية والنقوش ، كلها تشبه بطريقة أو بأخرى *تلك التى نعرفها من جبانات العواصم الاقليمية فى* الصعيد من ذلك العصر .

ومع ذلك فانه لا يتوفر لدينا دليل حتى الآن على أن اقليم الساحل الى الغرب من بحيرة مريوط كان يعتبر جزء من أى أقاليم غرب الدلتا رغم انه كان تحت السيطرة الكاملة للحكومة المصرية كما أقيمت هناك كثير من المعابد والحصون.

ومنذ الأسرة الأولى فصاعداً نجد اشارات الى السكان الذين كانوا يقطنون الى الغرب من وادى النيل، والذين كانوا يسمون التحنو (أرض الزيتون) [١٠]. وهناك نشبت معارك أسر فيها الفراعنة أعداداً ضخمة من رجالهم ومواشيهم، ومن المستبعد أن يكون ملوك عصر قبيل الأسرات أو عصر الأسرة الأولى قد غزوا بلادهم بقصد القهر أو جلب الغنائم ولكن من المحتمل أن أعداداً كبيرة من هؤلاء القوم جاءت الى حواف الدلتا بماشيتهم بغية الاستقرار فى أراضى وادى النيل الخصيبة [١١].

وقد أتى هؤلاء كمهاجرين وليس كغزاة ورغم هذا فان مجيئهم بأعداد هائلة شكل تهديدا لأمن البلاد مما دفع الملوك الى محاربتهم واجبارهم على التراجع الى الوراء، ومن المحتمل جدا أن تكون تلك المعارك قد وقعت فى الطرف الغربى للدلتا، ولكن أين كانت أرض التحنو ؟ هذا سؤال لا يزال مثارا للجدل والنقاش، ويرى فلهلم هولشر (Wilhelm Holsher) أن موطنهم كان بجوار الفيوم ووادى النطرون [١٢]، ولكننى أعتقد أنهم كانوا يقيمون أبعد من ذلك، الى الغرب فى مريوط وفى واحتى سيوة والبحرية وفى برقة بليبيا [١٣].

وكان هؤلاء الناس ينتمون الى نفس عنصر المصريين ولهم نفس البشرة السمراء، ورغم ان ملابس الشعبين اختلفت فى بعض التفاصيل فقد كانت هناك وجوه للشبه فيما بينهما كما أن بعض أسماء التحنو مصرية الأصل مثل « ونى » و« خوبت أيوتس » وهى الأسماء التى نجدها فى المنظر المشهور فى معبد ساحورع فى أبو صير والذى يعود الى الأسرة الخامسة [١٤].

ولو حاولنا ان نحدد المكان الذى يعيش فيه أحفادهم فى الوقت الحاضر فان تفكيرنا يتجه نحو القبائل التى تعيش الآن فى غرب السودان وفى الصحراء الجنوبية لليبيا.

ومن المحتمل أن هجرة التحنو الكبرى فى عهد الملك ساحورع لم تكن نتيجة لجفاف حل بالمنطقة وانما كانت لصعوبات داخلية بسبب قوم آخرين هم الذين بدأوا يظهرون على مسرح الأحداث فى شمال افريقيا ويطردون التحنو من أراضيهم ، ومن الممكن جدا أن تكون بعض قبائلهم قد حاولت ان تجد لها موطنا جديدا فى الدلتا ، ولكن لسوء حظهم هوجم التحنو من الغرب وضربوا فى الشرق حتى تلاشى وجودهم كأمة ، ورغما عن ذلك فقد ظل اسمهم يتردد لقرون مديدة ، حتى نهاية التاريخ المصرى القديم ، ولكن فقط كاسم قديم لمنطقة أو مناطق جغرافية مأهولة بشعب آخر مختلف .

وقد ظهر اسم « التمحو » للمرة الأولى فى كتابات المصريين خلال عهد الملك ببى الأول من ملوك الأسرة السادسة كما ورد هذا الاسم كذلك فى ترجمة حياة « ونى » كاحدى المناطق التى جند منها جنودا لجيشه، وينتمى التمحو الى عنصر يختلف عن كل من المصريين والتحنو فبشرتهم بيضاء ولون شعرهم أشقر وعيونهم رمادية (أو زرقاء ؟) كما أن ملابسهم مختلفة ودائما ما تدلت خصلة شعر فى جانب رأس واحد هم . والسؤال الآن : هل هؤلاء القوم أفريقيون أصليون أم أنهم هاجروا الى شمال افريقيا من مكان آخر ؟ يكاد يكون من المستحيل القول أن هذا الشعر الأشقر وتلك العيون الرمادية نبت أفريقى ، بل المرجح أن يكونوا قد انحدروا من عنصر أوربى شمالى (نوردى) فوفدوا بالمراكب من الشمال أو عبروا مضيق جبل طارق وفيما بعد تجولت قبائلهم على طول الساحل كما أوغلت جنوبا [١٥] . وقد حدثت أمثال هذه الهجرات عدة مرت خلال العصور التاريخية ولكن مهما تعمقنا فى دراسة هذا الموضوع ومهما حاولنا تحديد من أى مكان في شمال أوربا انحدر هؤلاء القوم فاننا لن نستطيع الوصول الى نتيجة مؤكدة ، بل ونجد أنفسنا بصدد العديد من المشاكل وكل ما نقرأه عن انحدارهم من الوندال أو من أى عنصر نوردى ما هو الا مجرد تكهنات .

وكما فعل التحنو من قبلهم ، فقد نزح التمحو كذلك صوب وادى النيل بعائلاتهم أما طلبا للاستقرار فى الأراضى الخصبة أو ربما للاتجار ، ففى احدى مقابر

بني حسن (مقبرة ختم حتب رقم ١٤ من عهد امنمحات الأول ، حوالى ١٩٧٠ ق.م.) يوجد منظر يصور بعض التمحو ومنهم نساؤهم وأولادهم وقطعانهم ، وثبت الرجال منهم فى شعورهم أربعة أو خمسة ريشات من ريش النعام ، ويرتدون ملابس طويلة ، وبينما الذراع اليسرى مغطاة فان الذارع اليمنى عارية ، كما ان لهم لحى قصيرة ، أما النساء فتلبس واحدتهن تنورة مهذبة الذيل ويتميز أفراد المجموعة ببشرتهم البيضاء (لونت بالأصفر الفاتح) وشعرهم القصير الأشقر المائل الى الحمرة وعيونهم الزرقاء [١٦] . وتحمل النسوة أولادهن على ظهورهن ملفوفين بجزء من ثيابهن وكانت هذه العادة متبعة فى مصر فى عصور ما قبل التاريخ وكذلك بين بعض القبائل السودانية الزنجية فى الأزمنة القديمة ، ولا تزال هذه العادة سارية فى بعض انحاء افريقيا وبين بعض بدو الصحراء فى مصر وفى واحة سيوة .

أما ريش النعام الذى نشاهده مثبتا فى شعر التمحو ثم بعد ذلك فى شعر الليبيين فلا يمكن اعتباره خاصية عنصرية لهؤلاء الناس اذ الواقع انا نرى مثيل هذا الريش مثبتا فى شعر بعض المصريين من عصر ما قبل الاسرات فصاعدا وفى العصور التاريخية نجده مصورا فى مخصصات الكلمات المصرية التى تفيد معنى « الجندى » أو الحملة العسكرية أو الجيش ، وأن ظل مستخدما بين سكان النوبة وليبيا وبدو الصحراء ، ولا يزال الريش يثبت فى الشعر بين شعوب أواسط افريقيا وبين بعض القبائل الحامية فى شرق افريقيا ، وربما القى الاستعمال الحديث للريش بعض الضوء على هذا الموضوع ، فهو يعتبر علامة تفوق ، فحينما ينجح مقاتل من قبيلة الدناقل (العوادل فى أفار) فى قتل عدو له فانه يضع ريشة نعامة بيضاء فى شعره علامة على الفوز وبعض أفراد القبائل يلبسون عددا من الريش ، وربما كانت هذه العادة هى التى اتبعت بين الليبيين فى الأزمنة القديمة وبمرور الزمن استخدموا ريشتين أو ريشة واحدة فقط [١٧] .

لقد كان سوتخ إيردس حاكم سيوة فى عهد احمس الثانى (أمازيس) والذى صور معه على احد جدران معبد الوحى ، واحدا من أحفاد أسرة ليبية وكان يثبت فى شعره ريشة نعامة .

الدولــتان الوســطى والحديــثة :

تدل آثار مصرية عديدة بما لا يرقى اليه شك ان وادى النطرون والواحات الأربع البحرية والفرافرة والخارجة والداخلة كانت معروفة لقدماء المصريين منذ نهاية الدولة القديمة على الأقل كما كانت الدوريات المصرية تمر بها فى أوائل الدولة الوسطى ومن الممكن القول بوجه عام انه هذه الواحات الأربع تم تمصيرها نهائيا وخضعت للسلطة المباشرة للحكام المصريين [١٨] حتى من قبل عصر الأسرة السادسة ، ولكن هل ينطبق نفس الوضع على واحة سيوة وهى التى تتوغل غربا فى الصحراء أكثر من أى واحة وتقع على مسيرة لا تقل عن ثمانية أيام من الساحل ؟ (شكل ٢٨)

لم يعثر حتى الآن فى سيوة على أى أثر من عصر الدولة الوسطى ولا حتى من الدولة الحديثة ، بل أكثر من ذلك فان المناظر المصورة على جدران بعض مقابر طيبة والتى تشمل رؤساء مجموعتين من الواحات الشمالية والجنوبية لا يمكن اعتبارها دليلا قاطعا على أن المجموعة الشمالية تضمنت سيوة كما تضمنت البحرية والفرافرة ، وحتى يتم العثور على دليل آخر فان هذه المسألة ستظل مطروحة للبحث [١٩] .

من المرجح ان تكون الديانة المصرية والحضارة المصرية قد انتشرت فى سيوة فى تلك العصور ، وأنه ابان عصر الدولة الحديثة كان يوجد معبد للاله آمون رع ، ولكن يجب أن أكرر أنه حتى الآن لم يعثر على أية آثار من الدولة الحديثة فى هذه الواحة كما ان ذكراً لسيوة لم يرد فى نصوص الحروب الليبية أو فى أية وثيقة يرجع تاريخها الى الأسرة الثانية والعشرين . شكل٢٩)

من المعروف أن اسلاف العائلة التى أسست تلك الأسرة (الثانية والعشرين) وفدوا من ليبيا ثم استقرت أجيال منهم فى واحدة من تلك الواحات ويحتمل جدا أن تكون البحرية حيث أولت عناية كبيرة لموطنها القديم بالواحة ، الا أنه لم يعثر حتى الان على أية آثار لهذه الأسرة فى سيوة وعلى ذلك فينبغى ان ننتظر حتى الأسرة السادسة والعشرين حيث أن أقدم أثر فى هذه الواحة يرجع تاريخه الى عهد الملك أحمس الثانى .

سيوة فى عصر الأسرة السادسة والعشرين :

بدأ عصر الأسرة السادسة والعشرين فى مصر عام ٦٦٣ ق.م. وانتهى عام ٥٢٥ ق.م. ، وخلال هذه الفترة حدثت تحركات وتحولات ذات أهمية قصوى فى العالم القديم ليس فقط فى أقطار الشرق الأدنى ولكن كذلك بين اليونانيين والحضارات الاسيوية فى أواسط آسيا وفى الصين .

وفى عام ٦٧١ ق.م. غزا مصر الملك الآشورى أسرحدون وفى حين قبل بعض الامراء المحليين حكام المدن الرئيسية النظام الجديد فقد قاومه آخرون ولم يلبثوا أن فروا الى النوبة . وبعد بضع سنوات عادوا وحاولوا أن يطردوا الغزاة وقد أثرت حالة القلاقل هذه الى حد كبير على وضع مصر كمركز للتجارة فى الشرق مما ترتب عليه أن اتجهت التجارة مع الهند الى الخليج العربى ، وفضلا عن ذلك فقد تحولت تجارة السودان وأواسط افريقيا الى طرق القوافل عبر الواحات ومنها الى ساحل البحر المتوسط حيث كانت البضائع تنتقل فى مراكب يونانية أو فينيقية الى أوربا والى كل مكان (٢٠) .

وبعبارة أخرى ربما كان غزو أشور لمصر مسئولا عن ازدهار واحات الصحراء الغربية فى مصر فى تلك الأيام ، كما كان مسئولا الى حد بعيد عن تأسيس بعض المستعمرات اليونانية على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط وأهمها قورينة التى تأسست سنة ٦٣١ ق.م. ، وبعد وقت قصير أصبح المستعمرون اليونانيون فى قورينة مصدر خطر ليس فقط على سكان ليبيا ولكن كذلك على مصر ذاتها ، وذلك هو السبب الذى دعا واح ايب رع (ابريس) وخلفه أحمس الثانى الى انتهاج سياسة جديدة حيال الواحات .

فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ، وابان عهد احمس الثانى شيد معبد الوحى الذى لا يزال قائما على صخرة أغورمى ، ومن المحتمل انه كانت توجد معابد للاله آمون وربما لآلهه محلية أخرى قبل ذلك الوقت .

كان حكام الواحات ينتمون الى قبائل ليبية (الماشواش) الذين جعلوا مقاليد الحكم فى أيديهم وأن كانوا قد اعترفوا بفراعنة مصر ملوكا عليهم ، ولكن نظرا لأن الملوك المصريين كانوا يقيمون بعيدا فى قصورهم فى العاصمة فقد كانت كل واحة فى حقيقة الأمر عبارة عن مملكة صغيرة وحاكمها هو الملك المحلى .

ويذكر هيرودوت الذى عاش فى منتصف القرن الخامس ق.م. أن ملك واحة أمون فى تلك الأيام كان يدعى اتيارخوس (Etearchus) أما أهالى قورينة الذين اعتادوا السفر الى سيوة للتجارة ولاستشارة وحيها فقد قصوا على أبى التاريخ « قصصا كانوا قد سمعوها من اتيارخوس تتعلق بمغامرة خمس شبان قاموا برحلة خطرة ، وكان هدفهم اسكتشاف الأراضى الواقعة جنوبى ساحل ليبيا وصحرائها ووصلوا الى أرض يقطنها قوم سود البشرة صغار الحجم وبها نهر ضخم كان يظن فى ذلك الوقت انه نهر النيل [٢١] .

وحى آمون فى الصحراء الليبية :

ذاعت شهرة وحى آمون بسيوة فى كافة اقطار البحر المتوسط منذ بداية الأسرة السادسة والعشرين ، ولكن اذا اردنا ان نتتبع أصل هذا الوحى فليس أمامنا الا ان نفترض انه بدأ فى وقت ما أثناء أو قبل الأسرة الواحدة والعشرين حين كانت قوة كهنة آمون ونبوءات هذا الاله تلعب دورا بارزا فى الديانة وفى ادارة الحكومة فى مصر ، ومن المحتمل أن يكون قد تم بناء معبد لآمون رع فى سيوة فى تلك الأيام ، وهو الذى صار فى وقت لاحق مركزا لوحى يمكن الاعتماد عليه وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين ذاع صيت وحى آمون فى لصحراء الليبية .

ونحو عام ٥٥٠ ق.م. حاول كرويسوس ملك ليديا الذى كان معاصرا للملك أحمس الثانى أن يختبر مدى المعرفة لدى نبوءات العالم لكى يستشيروا واحدة منها فيما يتعلق بموقفه فى لمستقبل تجاه قورش عاهل فارس الذى كان بصدد أرساء دعائم الامبراطورية الفارسية العظمى ، وقد ادرك كريسوس انه لا مفر من حدوث صدام بينه

وبين قورش ولذلك أراد أن يستفسر عما اذا كان ينبغي عليه توجيه حملة عسكرية ضد فارس ، يقول هيرودوت « تحقيقا لهذا الهدف بدأ كرويسوس على الفور يختبر حظه مع النبؤات فأرسل الى دلفى Delphi والى آباى Abae فى فوكيا Phocia والى دودونا Dodona والى امفياراوس Amphiaraus والى تروفونيوس Trophonius والى برانخداى Branchidae فى مليسيا Milesia وكانت هذه هى النبؤات اليونانية التى استشارها ولكن نظرا لأنه لم يكن ليقنع بها وحدها فقد أرسل كذلك الى نبوءة آمون فى ليبيا » [٢٢] .

أوفد كريسوس رسلا الى كل هذه النبوءات السبعة بعد ان اعطى أوامره لكل واحد منهم بأن يستشير النبوءة الموكول اليه أمرها فى اليوم المائة بعد مغادرة ساردیس (عاصمة ليديا فى آسيا الصغرى : المترجم) ويستفسر عما كان كرويسوس يفعله فى تلك اللحظة وعليه أن يسجل الاجابة . ويخبرنا هيرودوت وكذلك انه حينما عاد كافة الرسل ، فتح كرويسوس كل الرسائل وقرأ محتوياتها ، ولم يكن من بينها ما آثار اعجابه فيما عدا تلك التى حملت الاجابة من دلفى اذ ما أن تليت عليه هذه الاجابة حتى قبلها باحترام عميق معلنا ان نبوءة دلفى هى النبوءة الوحيدة الصادقة فى العالم لأنها نجحت فى الكشف عما كان يفعله ، والواقع أنها فعلت ذلك لأنه بعد أن أوفد كريسوس رسله فكر فى أمر لم يكن ليخطر ببال أحد ، ففى اليوم المحدد قطع بيده سلحفاة وحملًا ووضع الاثنين يغليان فى مرجل من البرونز غطاؤه من البرونز كذلك [٢٣] .

لا يخبرنا هيرودوت عن الاجابات التى اعطتها النبوءات الأخرى وعن مدى قربها أو بعدها عن الحقيقة ، وعلى أى حال فان هذه القصة تبين بوضوح تام ان نبوءة سيوة كانت تعد واحدة من أشهر سبع نبوءات فى العالم القديم وان اجاباتها كانت تلقى احتراما وثقة كبيرين .

جـــــيش قمبـــــيز :

غزا الفرس مصر عام ٥٢٥ ق.م. وانهوا بذلك عصر الأسرة السادسة والعشرين ، وكان جيش الغزو تحت قيادة قمبيز ابن وخليفة قورش واثناء وجوده فى مصر قرر ارسال

ثلاثة جيوش : أولها الى النوبة تحت قيادته الشخصية وثانيها الى قرطاجة (قرب مدينة تونس الحالية) أما الثالث فالى واحة آمون ، وقد انتهى الأمر بالحملة الأولى الى الفشل الذريع وبعد أن نزلت به كثير من المصائب عادت بقية الجيش الفارسى الى مصر ، أما الحملة الثانية الموجهة ضد قرطاجة فلم تتم لأن الفينيقيين الذين كانوا يساعدون قمبيز بأسطولهم رفضوا محاربة أبناء عمومتهم من القرطاجيين .

ومن السهل معرفة الاسباب التى دفعت قمبيز الى ارسال حملتين ضد النوبة وقرطاجة ولكن لا يمكننا العثور على ايضاح مقنع لحملته ضد سيوة اللهم الا اذا كان حقد قمبيز على نبوءتها هو السبب ومن المحتمل أن تكون نبوءة سيوة قد تنبأت بالنهاية التعسة له ولنظام حكمه فى مصر بعد وقت قصير ، فأراد ان يعاقب الكهنة وفى نفس الوقت يثبت للمصريين واليونانيين الذين كانوا يؤمنون بوحى آمون ان نبوءة سيوة وكهنتها لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا ، ومرة أخرى فان هيرودوت هو أقدم مصدر تستمد منه المعلومات اذ يذكر انه عندما وصل قمبيز الى طيبة فى طريقه الى النوبة « جرد جيشا قوامه ٥٠٠٠٠ رجل وامره بمهاجمة الامونيين ـــ واسترقاقهم وحرق نبوءة زيوس » [٢٤] ويضيف هيرودوت ان الحملة التى جردت ضد الامونيين تحركت من طيبة ومعها المرشدون ووصلت مدينة الواحات أى الواحة الخارجة التى تبعد عن طيبة بمسيرة سبعة أيام عبر الرمال ، كما ذكر هيرودوت ، ويعرفها الاغريق باسم « جزيرة المباركين » وبعد ان تركت الحملة الخارجة اختفت تماما ولم تصل الى أى مكان آخر فى مصر ويستطرد هيرودوت : « هناك على أية حال قصة يحكيها الامونيون وغيرهم ممن سمعوا منهم وفحواها أنه بعد أن ترك الرجال الواحة وبينما كانوا يتناولون طعام الغداء هبت ريح جنوبية بالغة العنف فأهالت الرمال أكواما عليهم وهكذا هلكوا الى الأبد » [٢٥] .

لقد انتقم آمون لنفسه ممن كانوا يريدون تدمير معبده ويبغون قتل واسترقاق كهنته ولابد أن يكون ضياع هذا الجيش والنهاية التعسة التى لاقاها قمبيز نفسه قد زادت من هيبة تلك النبوءة [٢٦] .

ومع انه من الممكن جدا ان يكون عدد رجال الجيش مبالغ فيه الا أن هذا لا يغير من الحقيقة التاريخية فى شىء وهى أن الجيش الذى أرسله قمبيز سنة ٥٢٤ ق.م. قد طمر تحت رمال الصحرراء الغربية فى مكان ما فى منتصف الطريق بين الخارجة وسيوة .

وقد ألهبت الرغبة فى الكشف عن موقع هذه الكارثة خيال رواد هذه الصحراء لسنين عديدة لا سيما بعد استخدام السيارات فى القرن الحالى — الا أن أحدالم ينجح فى العثور على أى خيط قد يؤدى الى اماطة اللثام عن هذا اللغز بل وحتى حينما استخدمت الطائرات الصغيرة لم يسفر البحث عن شىء . ويعتقد المستكشفون أن الجيش المفقود يعد بمثابة كنز دفين يساوى ملايين الدولارات وكثيرا ما قضوا الساعات يحسبون الثمن الذى يمكن أن يباع به سلاح الجيش الى المتاحف وجامعى التحف فى كافة أرجاء العالم اذ من المسلم به أن رمال الصحراء الجافة تولت الحفاظ على هذه الأسلحة والمعدات فضلا عن الممتلكات الشخصية للجنود ومن يدرى فأحيانا ، تتحقق أحلام اليقظة .

ومن المعروف أن العواصف الرملية فى الصحراء خاصة فى مناطق الكثبان تسبب الكوارث ، ففى عام ١٨٠٥ دفنت نفس رمال الصحراء الليبية قافلة مكونة من ٢٠٠٠ رجل ومعهم ابلهم بينما كانوا فى الطريق من غرب السودان الى أسيوط [٢٧] .

وفى مخطوط سيوة تقرأ فى موضعين عن جيشين دفنتهما العواصف الرملية وكان الأول عبارة عن قوة خرجت لملاقاة الغزاة من المسلمين ولكن فاجأتها عاصفة رملية دفنتها فى الرمال عن بكرة أبيها ، أما الثانى فكان جيشا من قبيلة التو السوداء الذى كان ينوى مهاجمة سيوة ولكن جنوده ضلوا الطريق فى الصحراء وقد تكون كلتا الروايتين صحيحة وربما تكون كل منهما مجرد صدى لقصة قمبيز فى سياق مختلف .

سيمون ووحى آمون :

فى عام ٤٥٠ ق.م. ضرب القائد الاثينى الشهير سيمون بن ملتيادس حصارا على جزيرة قبرص بأسطوله ولكن الجزيرة قاومت الحصار . وكان سيمون يؤمن بصدق

وحى آمون ولما كان يريد أن يعرف مقدما نتيجة هذه الحرب فقد أرسل بعض رجاله الى سيوة لإستشارة نبوءتها الا أن النبوءة رفضت أن تعطيهم أية اجابة وأمرتهم بمغادرة الواحة بأسرع ما يمكن وأبلغتهم ان سيمون الذى أرسلهم موجود بالفعل مع آمون ، فغادروا سيوة واستقلوا باخرة من برايتونيوم Praetonium (مرسى مطروح) واتجهوا جنوب قبرص ، وحينما وصلوا مصر علموا من اليونانيين المقيمين بها ان سيمون قد توفى ولما حسبوا الايام وقارونها بتاريخ وفاته وجدوا أنه توفى فى نفس اليوم الذى اخبرهم فيه آمون « أنه يوجد فعلا معه » وذاع حديث هذه القصة فى جميع أنحاء العالم القديم وأصبحت نبوءة سيوة من أكبر النبوءات الموثوق بها ، اذ كيف تسنى لكهنة سيوة ان يعلموا فى نفس اليوم بما حدث فى مكان بمثل هذا البعد ؟ وبالطبع لم تكن وسائل الاتصالات معروفة فى تلك الأزمنة المبكرة .

بنـــــــدار (Pindar) :

كان بندار (٥١٨ ــ ٤٣٨ ق.م.) الذى يعتبر اعظم شاعر غنائى يونانى ، من أكبر المعجبين بنبوءة آمون ، وقد أرسل كهدية للإله اغنية فى مديحه منقوشة على لوحة من جوانبها الثلاثة ربما بعد ان تحققت نبوءة للاله تتعلق به ، وكانت هذه اللوحة لا تزال قائمة فى المعبد ، نصف مدفونة ، حينما زار بوسانياس (Pousanias) سيوة بعد مضى ٦٠٠ سنة أى فى عام ١٦٠ ق.م. [٢٨] وحين ادرك بندار الكبر بعث يرسل الى نبوءة آمون سائلا الاله ان يمنحه أعظم البركات الانسانية ، ثم توفى فى نفس العام [٢٩] .

يوبـــــتاس الرياضـــــــى :

وصلتنا قصص أخرى كثيرة عن هذه النبوءة فى النصف الثانى من القرن الخامس ق.م. عن طريق كتابات المؤلفين الكلاسكيين . ولا داعى لذكرها جميعا وان كنت احب أن أشير الى أحداها لأنها أثارت ضجة كبيرة فى ذلك الوقت ، فقد ابلغ آمون سيوة يوبتاس (Eobotas) ــ أحد الرياضيين المشهورين من قورينة ــ أنه سيفوز بجائزة سباق الجرى فى الدورة ٩٣ للاوليمبياد (عام ٤٠٨ ق.م.) وكان يوبتاس واثقا

من صدق النبوءة لدرجة أنه اخذ معه الى أوليمبيا تمثالا لنفسه وقد فاز بالفعل ومن ثم كان من الممكن رؤية تمثال البطل فى نقس يوم فوزه ، وأثار هذا الحديث ضجة كبرى ين اليونانيين وظلت ذكراه عالقة بالأذهان لقرون عديدة اذ ردد القصة كل من ديودور الذى عاش فى القرن الأول ق.م. وبوسانياس الذى كتب مؤلفه فى القرن الثانى الميلادى .

ليساندر (Lysander) الذى حاول رشوة آمون :

كان ليساندر قائدا شهيرا من قواد اسبرطة ، أحرز نصرا عظيما لبلاده عام ٤٠٥ ق.م. وذلك حينما استولى على اسطول اثينا وجعل اسبرطة تحتل مكان الصدارة فى العالم الهلينى وباعتباره رجلا طموحا فانه اراد ان ينصب نفسه ملكا على اسبرطة ولكن القوانين كانت تحول دون ذلك فرغب فى ان يكون ملكا عن طريق الانتخاب الا انه طلب تأييد نبوءة معبد دلفى له وباء بالفشل فحاول مع كهنة نبوءة دودونا Dodona وبواسطة الرشوة تلقى اجابة مشجعة والآن بقى عليه أن يحصل على تأييد نبوءة آمون ، لا سيما وأنه منذ بضع سنين سابقة على هذا التاريخ وحينما كان يقوم بحصار احدى المدن جاءه الاله آمون فى المنام وأمره بالهجوم بعد ان ضمن له النصر ، ومنذ ذلك الحين دأب ليساندر على ارسال الكثير من الهدايا الى معبده فى سيوة . ونظرا لان ليساندر كان صديقا لملك قورينة قرر أن يذهب بشخصه لزيارته وليطلب عونه لدى كهنة آمون الذين ارسل اليهم فى نفس الوقت الكثير من الهدايا على أمل الصداقة القديمة وكسب ودهم .

غير أنه يبدو أن قصة رشوة نبوءة دودونا لم تكن سرا ولذلك رفض كهنة آمون فى سيوة تودده ولم يمتنعوا فقط عن قبول هداياه وانما ذهبوا لاكثر من ذلك فارسلوا وفدا الى اسبرطة يتهم ليساندر بمحاولة رشوة آمون ، واثناء المحاكمة التى تبعت ذلك استطاع ليساندر الدفاع عن نفسه واثبات براءته وغادر الكهنة اسبرطة بقلوب مثقلة ولكن ليساندر لم يحقق مأربه على أي حال .

وخلال القرن الرابع ق.م. انحدرت سمعة نبوءة كل من دلفى ودودونا بينما ازدادت شهرة آمون ونبوءته فى ليبيا ، وأقيمت المعابد فى كثير من المدن اليونانية وفى آسيا الصغرى تكريما للاله آمون وقدمت اليه الاضاحى والقرابين فى اثينا واسبرطة ومقدونيا وشمال افريقيا وفى كثير من مدن آسيا الصغرى كانت نبوءة آمون تذكر بكل احترام (٣٠) .

الاسكـــــندر الاكـــــبر :

تمت زيارة الاسكندر لنبوءة امون فى النصف الأول من عام ٣٣١ ق.م. بعد آن أسس مدينة الاسكندرية ، وليست هذه فقط أشهر زيارة فى التاريخ القديم ولكنها تعتبر بدون شك الحدث الرئيسى الذى خلد اسم واحة سيوة فى الأزمنة القديمة والحديثة معا .

بعد هزيمة دارا الثالث ملك الفرس فى أسوس عام ٣٣٣ ق.م. ، ولكى يحمى نفسه من خطر الاسطول الفارسى القوى فى البحر المتوسط ، شرع الاسكندر فى غزو كل الموانى البحرية فى سوريا وفلسطين ثم أتم غزو مصر التى سقطت دون قتال حين سلم له مزاسس الوالى الفارسى قلعة منف مع الحامية والخزانة واستقبله المصريون بمظاهر الفرح باعتباره محررهم من نير الحكم الفارسى (٣١) .

أعترف الكهنة المصريون فى منف بالغازى المقدونى ملكا على مصر وبعد أن أقيمت طقوس خاصة فى معبد الاله بتاح قام الاسكندر بتقديم القرابين لهذا الاله ولغيره من الالهة وكان الاسكندر على علم بأن شيئا لم يغضب المصريين مثلما اغضبهم قتل أوخوس للعجل أبيس وعدم الاحترام الذى ابداه قمبيز نحوه ، والواقع ان احترام الاسكندر للالهة المصرية والقرابين التى قدمها لهم لم تكن مجرد ابداء للتسامح لخطب ود المصريين بل أن هذا الاتجاه كان حقيقة طابعا مميزا لهذا القائد العظيم .

منذ القرن الثامن قبل الميلاد (بل ومن قبل ذلك) كانت مصر معروفة جيدا لدى اليونانيين اذ أن العديد من كتابهم كتبوا فى القرن السادس والخامس والرابع عن

مصر وعن ديانتها وكان الكثير من مشاهير اليونانيين الذين أرسوا مبادىء حضارتهم يفخرون بأنهم يعلمون تلاميذهم فى اليونان ما كانوا قد تعلموه على يد الكهنة المصريين ، ويجب أن نضع فى اعتبارنا ان فيليب ، والد اسكندر ، بذل جهدا كبيرا فى اختيار عدد من أفضل المعلمين لابنه ، وذلك كما أوضح بلوتارخ لان الملك ادرك ان تعليم ابنه كان مسألة بالغة الأهمية لا يجدى معها ترك أمره للمعلمين العاديين ، سواء فى الموسيقى أو فى دوائر المعلومات العامة . وبناء عليه فقد أرسل الملك فى طلب ارسطو (أشهر الفلاسفة وأكثرهم علما) ولقد كان هذا الاختيار موفقا ذلك لأن أرسطو غرس فى نفس الاسكندر شغفا شديدا بالثقافة الاغريقية وشعورا دينيا عميقا ، ولنحو ثلاث سنوات دأب هذا الفيلسوف على تعليم الاسكندر بصحبة عدد من أبناء النبلاء الآخرين الذين صاروا فيما بعد أحب اصدقائه ، فقرأ معه الالياذة التى اعتبرها الاسكندر حتى نهاية حياته ملحمة الملاحم كما قدم اليه (يوربيديس Euripides) وفلوكسينوس Philoxenus وتلستس Telestes وكثيرين غيرهم ، وكان الاسكندر يكن احتراما خاصا لبندار الشاعر الغنائى العظيم [٣٢] .

وكان وحى امون ذا شهرة واسعة فاخبار الناس الذين استشاروه كانت تتردد فى كثير من المؤلفات كما ان اجاباته كانت تلقى كل تقدير ، ويخبرنا بلوتارخ أنه بعد زواجه من أوليمبياس (Olympias) رأى فيليب فى المنام أن رحم الملكة خُتم بخاتم كانت طبعته فيما اعتقد تصور أسدا ، وتكهن معظم المفسرين بأن الحلم يلقى ظلالا من الشك على عفة أوليمبياس ، الا ان فريقا أخر من المفسرين اعلن ان الحلم يعنى انها حامل وان المولود سيكون ولدا له شجاعة الأسد .

وفى مرة أخرى نظر الملك من ثقب بابِ غرفة نوم أوليمبياس فرأى زوجته نائمة والى جانبها يتمدد ثعبان وعلى أثر هذه الرؤيا بعث فليب برسول لاستشارة وحى دلفى فكان الجواب ان الاله أبوللو يأمره بأن يقدم قربانا للاله جوبتر ـــ امون وأن يقدم خضوعه بصفة أساسية الى ذلك الاله.

ورث الاسكندر جرأة وشجاعة أبيه وورث عن امه الشغف بالغيبيات وممارسة الشعائر الصوفية المتطرفة وأعتقد بالنبوءات اعتقادا راسخاً فقبل سنة من قدومه الى مصر زار معبد جورديوم (Gordium) فى اسيا الصغرى وكانت النبوءة هناك تنادى بأن من يستطيع أن يحل العقدة الشهيرة والموجودة فى نير العربة القديمة للملك جورديوس Gordius فى القلعة سيصبح سيد آسيا وحينما علم الاسكندر بذلك استولى عليه شغفه بالمجهول والغيبيات وشرع فى فحص العربة وبعد محاولات فاشلة للعثور على طرف الرباط استل سيفه وقطع العقدة . وفى تلك الليلة توالى الرعد والبرق واستنتج الاسكندر من ذلك انها دلالة مقدسة على أن طريقته فى فك العقدة قد لقيت موافقة الاله . ومنذ ذلك اليوم تملكته احلام سيادة العالم واعتقد بأنه سوف يكسب أى معركة يخوضها . وفى أول خطاب بعث به الى دارا سمى نفسه ملك آسيا [٣٣] .

الاسكـــــندر فـى مصـــــر :

اقترح الكثير من الكتاب قديما وحديثا اسبابا متباينة لرحلة الاسكندر الى سيوة والتى اقتضته ان يترك مركز قيادته فى مصر لعدة أسابيع فى حين كان الموقف العسكرى يتطلب ضرورة وجوده به لا سيما وأن دارا كان يعبد تنظيم قواته كما ان اسطوله كان سليما وكان الاسكندر متلهفا على ملاقاته فى أسرع وقت ممكن . وعلى هذا كانت الاستعدادات للمعركة المنتظرة ضرورية . ومن العسير أن نعتقد انه قام بالرحلة فى وقت حرج مثل هذا لمجرد ان يتوج فى سيوة أو أن يلقب بابن الاله طالما ان هذه المراسيم كانت قد تمت فى معبد بتاح بمنف وكان يمكن اعادتها فى أى وقت يشاء فى نفس المعبد أو فى معبد آخر من معابد مصر .

يذكر كالسثنيس (Callisthenes) [٣٤] مؤرخ البلاط الذى رافق الاسكندر فى رحلته وترك وصفا تفصيليا كشاهد عيان ، أن الاسكندر لم يقم بالرحلة من أجل النبوءة فحسب وانما لأنه كان يطمح فى تقليد كل من برسيوس (Perseus) وهرقل اللذين *قاما فى السالف باستشارة الاله ، وفى تحليله لهذا يرى فلكن أنه رأى معقول لا سيما اذا*

وضعنا فى الاعتبار كيف أن الاسكندر اعتقد فى وجود رباط وثيق بينه وبين الاسلاف الابطال من بنى جلدته [٣٥] .

وقد وضع أريانوس (Arrianus) الكاتب اليونانى الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى ما يعد تاريخا كاملا للاسكندر منذ توليه الحكم حتى وفاته ، وكانت معلوماته مستقاه من أوثق المصادر المتاحة حينذاك وعلى وجه الخصوص من بطلميوس وأرستوبولوس (Aristoblus) ويفسر أريانوس الرحلة الى سيوة ببساطة أكثر ، فقد كتب ان الاسكندر حينما كان على الشاطىء بعد أن وضع أسس مدينته تملكه الشوق لرؤية نبوءة جوبتر ــ آمون ، فقرر الشروع فى رحلته ومما أعلمه عن شخصية الاسكندر وعن قراراته المفاجئة يجعلنى أميل الى الاخذ بتفسير أريانوس .

كانت لمصر على مدى خمسمائة سنة أو أكثر قبل قدوم الاسكندر صلات وثيقة مع الدويلات اليونانية وكانت أبوابها مفتوحة للتجار الاغريق ، ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد تأسس مركز تجارى يونانى فى نقراطيس بغرب الدلتا ، ومنذ القرن السابع انخرط المرتزقة من الجنود اليونانيين فى خدمة الملوك المصريين . وعندما اجتاح قورش ليديا وأيونيا حاربت القوات المصرية الى جانب الليديين واليونانيين وابان الغزو الفارسى الأول لمصر حارب الجنود المرتزقة من اليونانيين جنبا الى جنب مع المصريين .

جاء كثير من فلاسفة اليونان الى مصر للدراسة فى المدارس الملحقة بالمعابد وكان من بينهم صولون الاثينى وكليوبولوس Lindos Kleobolus وفاليز (Phales) من مليتــوس Miletus وبيثاجــوراس Pythagoras من ســاموس وكان اندروكوسوس Endoroxos وأفلاطون من بين هؤلاء الذين أقاموا فى مصر مددا طويلة وعملوا بعد ذلك على نشر شهرة الحكمة المصرية ، ومن خلال هذه الاتصالات رسخ لدى اليونانيين الاعتقاد بان مصر هى مهد الفلسفة والتصوف والموسيقى والنحت والفنون بوجه عام ، وفى نفس الوقت انتشرت معابد امون فى المدن اليونانية وحتى فى اثينا احتفل بافتتاح معبد بها كرس لعبادة أمون وذلك فى عام ٣٣٣ ق.م. أى قبل أقل من

عامين من زيارة الاسكندر لمعبد الوحى بسوة ، وكان الاسكندر على علم بكل هذه الحقائق وبكل القصص التى كانت تتردد عن علاقته المباشرة بأمون وعن روايات مولده الالهى .

ولم تكن مسيرة الاسكندر على طول الساحل غربى الاسكندرية رحلة غير متوقعة بل أنها كانت مدبرة من قبل فعند برايتونيوم (مرسى مطروح) قابلة سفراء من قورينة وقدموا له مختلف الهدايا ومن بينها ثلاثمائة جواد وبضع عربات وتاج من الذهب كما عرضوا عليه صداقتهم وولاءهم . وقد حاول رفقاؤه ان يثنوه عن زيارة معبد آمون ولكن كل تحذيراتهم لم تجد نقيرا . وطبقا لما يرويه بلوتارخ « ... كانت رحلة طويلة وشاقة فالى جانب الارهاق كانِ هناك خطران يحومان حولها : احدهما ان المياه التى حملوها معهم ربما لا تكون كافية لرحلة تستغرق اياما كثيرة عبر صحراء لا تقدم اية امدادات وأما الخطر الثانى فكان الخوف من ان تباغتهم ريح جنوبية عنيفة وسط هذه الرمال الممتدة كما حدث من قبل لجيش قمبيز ، حيث أثارت الرياح الرمال فاندفعت فى موجات متتابعة والتهمت كل الخمسين الف رجل .. وكان قد تم التفكير فى كل هذه المخاطر وأحيط الاسكندر بها علما ولكن لم يكن من السهل ثنيه عما اعتزمه » .

العصور البطلمية والرومانية :

لا ريب أن زيارة الاسكندر لهذه الواحة وأخلاصه العظيم للاله امون قد زادا من شهرتها ، ومن المنطقى أن نفترض أن بعض الأثار قد بنيت باسمه أثناء حياته وأقيمت فيما بعد بواسطة البطالمة الذين كان يعنيهم أن يظهروا أخلاصهم لذكراه ولكن مما يثير دهشتنا أن ايا من هذه الأثار — صغرت أم كبرت — لم يعثر عليه حتى الأن فى سيوة اللهم فيما عدا بعض العملات القليلة المحفوظة حاليا بمتحف الاسكندرية (٣٦) الا أن الأمل لا يزال يراودنا اذ من الممكن جداً أن تكشف الحفائر التى بدأت فى المعبد فى ابريل عام ١٩٧٠ فى يوم من الايام عن مادة جيدة تضيف الى ما لدينا من معلومات .

وعلى كل ، فان بعض المقابر المنحوتة فى جبل الموتى (أنظر فيما بعد) يمكن تأريخها بأوائل عصر البطالمة مما يثبت ان هذه الواحة كانت مزدهرة حينذاك .

وفى نهاية القرن الماضى عثر على قليل من الآثار الصغيرة التى يحتمل أن يرجع تاريخها الى العصر البطلمى وقد وجدها شتيندورف عندما زار سيوة عام ١٩٠٠ . وينطبق نفس الوضع على الاشياء الصغيرة القليلة التى وجدت فى المقابر المتهدمة قرب عين قريشات عام ١٩٠٧ والتى أهداها الخديوى عباس الثانى الى متحف القاهرة .

وتوجد عدة سجلات لمن زاروا المعبد ، مدونة فى كتابات من ذلك العصر وأهمهم رسل هانيبال فى نهاية القرن الثالث ق.م. فبعد انتصاره على ساجنوتا (Sagnuta) أوفد ذلك المحارب العظيم رسلا للاستفسار من وحى سيوة عن موعد نهاية الحرب وكان الجواب غامضا ويمكن تفسيره على نحوين مختلفين ، ولكن امون أكد لهانيبال انه سوف يموت على أرض ليبية ، وحينما توفى هانيبال فى ليبيسا (Libyssa) اعتبر ذلك تحقيقا للنبوءة وأن ما قصده الوحى كان ليبسا وليس ليبيا .

وقرب نهاية العصر البطلمى سادت روما وحضارتها وأنتشرت بين الناس طرق جديدة لقراءة الطالع ، وفقدت النبوءات بوجه عام كثيرا من تأثيرها القديم وكان قلة من الناس هم الذين اهتموا بالذهاب لاستشارتها ولم تكن سيوة استثناء من ذلك . وحينما كان كاتو (Cato) الأصغر (توفى عام ٤٦ ق.م.) فى مسيرته على الساحل الليبى قرب مقر أمون حاول اصدقاؤه اغراءه بزيارته ولكنه رفض اذ لم يعره اهتماما وهذا يبين الى أى حد تدهورت سمعة الوحى [٣٧] .

ويذكر استرابون الذى زار مصر عام ٢٣ ق.م. واحة سيوة فى جغرافيته ملاحظا أن « النبوءة كادت ان تختفى كلية وهى التى كانت تستمتع فى السابق بشهرة واسعة » ولا يعنى هذا ان نبوءة سيوة اختفت تماما أو أن الكهنة اغلقوا أبواب معبدها اذ أننا على يقين من أنها استمرت لبضعة قرون لاحقة فيروى بلوتارخ أن رجلا غنيا يسمى كليومبروتوس Kleombrotus من لاكيد ايمونيا (Lakedaemonia) زار واحة امون ولكنه لم يجد شيئا ذا أهمية سوى مصباح زيتى يظل مشتعلا على مدار السنة ويذكر أن كهنة المعبد أخبروه بأن المصباح يتطلب قدراً أقل من الزيت سنة بعد سنة مما يدل

على أن السنين تقل فى طولها وعندما زار هادريان مصر سنة ١٣٠م أسرع كثير من المدن المصرية الى تبجيله باقامة تماثيله فى معابدها وعبر كهنة آمون عن ولائهم للامبراطور بوضع لوحة منقوشة فى المعبد وهى اللوحة التى عثر على جزء منها ويحتفظ به حاليا متحف الاسكندرية [٣٨].

وأخر الشخصيات الهامة والمعروفة التى تركت تقريرا عن زيارة الواحة هو بوسانياس (Pousanias) الرحالة والمؤلف اليونانى الشهير الذى وصل الى سيوة عام ١٦٠م وكانت النبوءة لا تزال على قيد الحياة كما كان الكهنة لا يزالون يزاولون طقوسهم الدينية فى المعبد ودخل بوسانياس المعبد وطبقا لروايته شاهد كثيرا من النصب تقوم فى فناء المعبد وكان من بينها واحد نقشت عليه أنشودة بندار الشاعر اليونانى ذائع الصيت ويذكر بوسانياس كذلك أنه رأى لوحة باسم بطلميوس الأول [٣٩] ، وفضلا عن ذلك فان احدى القطعتين المنقوشتين واللتين وجدتا عام ١٩٧٠م داخل المعبد تؤرخ فيما بين القرنين الثانى والثالث الميلاديين . ويمكننا القول أنه رغم التدهور الذى لحق بالنبوءة وبمصر نفسها فى النصف الثانى من العصر الرومانى فان سيوة استمرت تتعبد لالهها القديم كما استمر كهنتها فى تقديم القرابين الى آمون حتى القرن السادس الميلادى وربما بعد ذلك .

هـــل انتشـــرت المســـيحية فـــى ســـيوة ؟

لم يعثر حتى الآن على آثار مسيحية فى سيوة وعلى قدر علمى فلا يوجد مرجع يمكن أن يلقى الضوء على هذه المسألة ورغم ذلك فأنى أعتقد ان المسيحية وصلت فعلا الى سيوة وطبقا للاوست (Laoust) [٤٠] فانها وفدت الى سيوة فى القرن الرابع الميلادى وان كان لا يوجد أى دليل أثرى يجعلنا نقبل هذا التاريخ بصفة قاطعة ، والأثر الوحيد فى سيوة الذى يحتمل أن يكون مسيحيا هو بقايا المبنى المشيد من اللبن بالقرب من بلاد الروم [٤١] ولا زالت اجزاء من هذا المبنى باقية حتى الآن وواجهته هى الجزء الوحيد الذى لا يزال قائما منه وحتى يتم الكشف عنه فلا يمكن القول ما اذا كانت هذه بقايا الجدار المحيط بحصن رومانى أم بقايا كنيسة مسيحية ، ويشير اليه

مخطوط سيوة ــ بالكلمات التالية : « بلاد الروم عبارة عن كنيسة على سفح التل ولا تزال بعض بقاياها قائمة وكانت مبنية من الطوب المحروق ، أنها مأوى البغايا اللاتى يقطن كذلك فى خميسة ومشندد ورهيبة حتى الجبل الأبيض » .

وخميسة منطقة من مناطق سيوة الغنية ولا يستبعد أن تكون بعض الأسر المسيحية قد عاشت هناك اذ ان الوصف الجائر لأولئك الذين عاشوا بالقرب من الكنيسة جاء نتيجة للتعصب وعلى أى حال فلا يوجد بين عائلات سيوة الحالية من يدعى أنه أنحدر عن أسرة مسيحية وفى حالة واحدة يذكر مخطوط سيوة أن اناسا عاشوا فى اغورمى انحدروا من (الرومان) وهذا فى رأيى يعنى « المسيحيين » فقد كان تعبير « الرومان » فى تلك الايام ينطبق على كل من لا يتكلمون اللغة العربية وكل الذين لم يعتنقوا الدين الجديد .

وحينما اعتلى قسطنطين العرش (٥٢٧ ــ ٥٦٥م) أصدر تعليماته باغلاق ما تبقى من المعابد الوثنية والمدارس فى أى مكان فى مصر وكان عملاؤه شديدى الحماس فى تنفيذ أوامره لدرجة أنهم أرغموا سكان عجيلة فى ليبيا على اعتناق الدين المسيحى ، وقبل مجىء هؤلاء العملاء كان سكان هذه الواحات الصغيرة يعبدون كلا من أمون والاسكندر [٤٢] وأنه ليس من المستحيل أن نتصور أن رجال قسطنطين قد فشلوا حينذاك فى اغلاق معبد الوحى والمعابد الوثنية الأخرى فى سيوة اذا كان حماسهم فى تنفيذ أوامر امبراطورهم لم يترك مكانا نائيا وصغيرا مثل « عجيلة » . وسواء كان بعض سكان سيوة فعلا مسيحيين أم أن رجال قسطنطين نجحوا فى تحويل جزء من السكان الى المسيحية فانه لا يبدو أن الديانة الجديدة حققت نجاحا كبيرا فى سيوة كذلك الذى حققته على الساحل أو فى الواحات الأخرى مثل البحرية والخارجة .

وابتداء من القرن الرابع الميلادى أخذت قوة وسلطة الرومان فى الانحدار وانتشرت الفوضى فى كل انحاء الصحراء وتزايدت سطوة البليميين فى النوبة كما نمت قوة المساكس Masacaes فى الواحات وكلاهما عبارة عن قبائل شرسة تعيش على

نهب الواحات والقرى الواقعة على حافة الصحراء وفى وادى النيل نفسه، ومنذ نهاية القرن الرابع كانت السيطرة الحقيقية على واحات الصحراء تكمن فى يد الماساكس الذين كانوا يهددون طرق القوافل ويغيرون على مدن وقرى مصر العليا من وقت لآخر .

وتقرأ فى حياة القديس صمويل القلمونى أنه فى نحو عام ٦٣٣ حين كان فى جبل القلمون فى وادى المويلح (بين جنوب الفيوم ووادى الريان) قدم البربر المساكس من الغرب وبعد أن أساءوا معاملته أخذوه ولكنهم حينما أكتشفوا عدم فائدته تركوه فى حالة اعياء شديد ليلقى حتفه على قارعة الطريق ولكنه تمكن من العودة سالما الى كنيسته بعد مسيرة اربعة أيام . وبعد ذلك بفترة قصيرة أتى بعض البربر ونهبوا كل القرى وفى طريق عودتهم أخذوا الانبا صمويل كعبد وقضى معهم ثلاث سنوات فى الرق .

وموطن هؤلاء البربر على بعد مسيرة سبعة عشر يوما من وادى المويلح باتجاه الغرب أى فى واحة سيوة ونقرأ فى تاريخ حياة القديس صمويل أن هؤلاء الوثنيين يعبدون الشمس ، ولقد اطلق سراحه نتيجة لما حققه من معجزات كثيرة فى شفاء المرضى الذين كان من بينهم زوجة سيده ، فقد طلب الرجل من القديس ان يصلى من اجل ان تنجب زوجه طفلا ووعده باطلاق سراحه اذا تحقق ذلك ، وحينما رزق طفلا أوفى البربرى الوعد واعطى للانبا صمويل جملا وخمسة خدم ليرشدوه الى الطريق الى وطنه (٤٣) .

ونعلم من المؤلفين القدامى ان الليبيين عبدوا الاله امون بصفته « الشمس الغاربة » (٤٤) وعلى ذلك يمكننا القول انه من المحتمل جدا ان تكون عبادة امون استمرت فى سيوة حتى دخول الاسلام اليها وانها ربما كانت قائمة جنبا الى جنب مع المسيحية .

غزت الجيوش الاسلامية مصر سنة ٦٤٠م واستولى جيش عمرو على الاسكندرية عام ٦٤١م وبعد ذلك تقدمت بعض قواته باتجاه الغرب لفتح شمال افريقيا وواحات الصحراء .

الفصل الرابع

سيوة من ظهور الاسلام الى الوقت الحاضر

دخــــول الاســــلام :

لايمكن تحديد تاريخ معين لدخول الاسلام سيوة ولكننا لا تكون مخطئين كثيرا اذا قلنا ان الدين الجديد وجد طريقة الى سيوة ، فيما يرجح ، قبل نهاية القرن الاول للاسلام ويفترض بعض الكتاب المسلمين أن أهل سيوة كانوا قد تحولوا بالفعل الى الدين الجديد حينما زحفت جيوش عمرو بن العاص على شمال افريقيا عام ٦٤١م ولكن لا يمكن الاخذ بهذا الرأى باعتباره حقيقة تاريخية .

وتحكى بعض هذه الكتب عن أصل المدينة وعن الذى بناها وتعطى أوصافا لبواباتها وجدرانها وميادينها — وكل هذه مجرد تخيلات نسجها خيال الكتاب فقد كشفت الدراسة أن هؤلاء المؤلفين لم يروا المكان على الاطلاق ولذلك فان أوصافهم هى ببساطة محض اختلاق ، ومثال ذلك ما أورده ابن واصف شاه وابن دقماق وعلى أى حال فهناك كتاب آخرون أكثر صدقا مثل السعودى (القرن العاشر) والادريسى (القرن الثانى عشر) وابن الوردى (القرن الرابع عشر) والمقريزى (القرن الخامس عشر) .

ذكر ابن الوردى فى كتابه « خاردات العجائب » أنه حينما عين موسى بن نصير حاكما على شمال افريقيا (المغرب) فى زمن الامويين تحرك الى « الواح الاقصى » أى (سيوة) مسترشدا بالنجوم ، وبعد مدة سبعة أيام باتجاه الجنوب الغربى وجد مدينة يحيط بها حصن عظيم له ابواب حديدية فصمم على الاستيلاء عليها ولكنه أخفق ، فقد امر بعض رجاله أن يتسلقوا الأسوار لكن كلما وصل أحدهم الى أعلى السور نظر الى داخل المدينة صرخ صرخة عالية وألقى بنفسه الى الداخل ، ولم يعرف أحد ماذا

كان يحدث أو ماذا كان يرى فى الداخل ولما رأى موسى بن نصير أنه فشل فى تحقيق هدفه قرر أن يتخلى عنه وترك المدينة دون الاستيلاء عليها .

كانت مسيرة موسى بن نصير ذلك القائد العربى الشهير فى عام ٧٠٨م وهذا ، يثبت لنا انه حتى ذلك التاريخ على الأقل لم يكن قد تم فتح سيوة ولم تكن قد تحولت الى الاسلام .

ويروى ابن الوردى فى مكان آخر من مؤلفة قصة رجل أعلن انه اكتشف مدينة غريبة فى الصحراء ، فقد جاء رجل الى عمر بن عبد العزيز الذى كان حينذاك واليا على مصر ليخبره بانه بينما كان يبحث عن جمل ضال بالقرب من سنتريه (سيوة) وجد نفسه أمام مدينة معظمها مهدم ، وأضاف قائلا أنه رأى بداخلها شجرة ضخمة تحمل كل أنواع الفواكه التى أكل منها الكثير ، وبعد مزيد من التقصى علم الوالى من أحد الأقباط أن هذه المدينة لابد أن تكون واحدة من مدينتى هرمس (وهرمس هو اله المعرفة) وأن المدينة تحتوى على كنوز عظيمة ، واختار عمر مجموعة مر الرجال يثق فيهم ومنحهم مؤونة من الطعام تكفيهم لمدة شهر وبعث بهم برفقة ذلد ، القبطى للبحث عن هذا المكان . وتجولت المجموعة لبعض الوقت فى الصحراء ولك ها لم تعثر على شيء يؤيد قصة الرجل .

وعلى كل حال فقد وجد الاسلام طريقه الى الواحة واعتنقه أهلها ، شأنهم شأن باقى ;احات الصحراء الليبية . وقد تجول الجغرافى العربى الادريسى (من سنة ١٠٩٩ ـ ١١٥٤م) فى شمال افريقيا وزار الواحات واشار فى كتاباته الى الواحة الصغيرة (البحرية) على أنها غير آهلة بالسكان وذكر ان القوافل كانت تتوقف عندها للتزود بالمياه وأنه لم ير هناك سوى أشجار النخيل وبعض الانقاض ، أما بالنسبة لسنتريه فانه يذكر أنها كانت اهلة بالمسلمين الذين كان لهم امام .

وترك لنا المقريزى (من سنة ١٣٦٤ ـ ١٤٤٢م) وصفا لهذه الواحة الجزء الأول منه مبنى على كتابات المؤلفين العرب الذين سبقوه اما الجزء الأخير فقد كتبه

بنفسه ونظرا لأهميته التاريخية فى تاريخ الواحة فى العصور الوسطى فاننى أورد هنا بعض ما ورد به. « ومدينة سنتريه من جملة الواحات بناها مناقيوش ــ بانى مدينة أخميم كان أحد ملوك القبط القدماء. قال ابن وصيف شاه [1] وكان فى حزم ابيه وحنكته فعظم فى أعين أهل مصر وهو أول من عمل الميدان وأمر اصحابه برياضة أنفسهم فيه وأول من عمل المارستان لعلاج المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الأطباء وأجرى عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على ذلك وصنع لنفسه عيداً فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك فى يوم من السنة ، فيأكلون ويشربون سبعة أيام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوفت بالذهب والبست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة من الداخل بالرخام والزجاج والذهب ».

« وفى أيامه بنيت سنتريه فى صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفى كل حائط باب فى وسطه شارع الى حائط محاذ له وجعل فى كل شارع يمنة ويسرة أبوابا تنتهى طرقاتها الى داخل المدينة ، وفى وسط المدينة ملعب يدور به من كل ناحية سبع درج وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفى وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان أسود يدور مع الشمس بدورانها وبسائر نواحى القبة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة ».

« فكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية الكهنة والوزراء وعلى الثالثة الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمنجمون والأطباء وأرباب العلوم وعلى الخامسة أصحاب العمارات وعلى السادسة أصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم انظروا الى من دونكم لا تنظروا الى من فوقكم لا تلحقونهم وهذا ضرب من التأدب. وقتلته امرأته بسكين فمات وكان ملكه ستين سنة ».

ويضيف المقريزى « وسنتريه الان بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون سيوة ولغتهم تعرف بالسيوية وتقرب من لغة زناتة وبها حدائق نخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الان نحو العشرين عينا تسيح بماء عذب

ومسافتها من الاسكندرية أحد عشر يوما ومن جيزة مصر أربعة عشر يوما وهى قرية يصيب أهلها الحمى كثيرا وثمرها غاية فى الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيرا وتختطف من انفرد منهم وتسمع الناس بها عزيف الجن [٢] » .

ولا داعى للتعليق على الوصف الخيالى للمدينة ولا اضاعة الوقت فى عقد مقارنات مع تبقى فعلا فى سيوة فلا وجود لمناقيوش ومدينته الا فى خيال ابن وصيف شاه ، وعلى أى حال فانه من الملاحظات القليلة التى أوردها المقريزى ربما توصلنا الى أنه بالرغم من التدهور الشديد الذى ألم بهذه الواحة وانخفاض عدد سكانها فى القرن الخامس عشر الى ستمائة نسمة فقطفان بعض العيون كانت لا تزال جارية وكانت الحدائق لا تزال تؤتى أكلها من البلح والزيتون والمحاصيل الأخرى .

وطبقا لمخطوط سيوة فان الواحة لاقت الامرين من غارات العرب والبربر البدو وأن عدد السكان هبط الى أربعين رجلا فقط (حوالى ٦٠٠هـ) بينما بلغ التعداد الكلى للسكان نحو ٢٠٠ نسمة فى بداية القرن الثالث عشر ، وعلى هذا نستطيع أن نقول أن سيوة شهدت أسوأ أيام تدهورها فى الفترة ما بين القرن التاسع والقرن الثانى عشر وأنها بدأت تنتعش فقط فى القرن الثالث عشر حينما قرر الرجال الأربعون الباقون بناء حصن عند شالى فى المكان الحالى لمدينة سيوة وذلك لحماية أنفسهم من خطر الغارات [٣] .

وبدأت أحوال سكان شالى تزدهر وهم الذين كانوا يعيشون فى أمان حينذاك كما ازدادت أعدادهم ، وكانوا مقسمين الى عدة عائلات وكان رؤساء هذه العائلات يتولون أمر الواحة ويستمتعون بنوع من الاستقلال فى واحتهم حتى نهاية القرن الثامن عشر ورغم التنافر بين مجموعتى سكان الواحة من شرقيين وغربيين فقد كان لدى أهل سيوة نوع من « القانون » استنوه لأنفسهم ووضعوا السلطة لتنفيذه فى يد مشايخهم الذين كانوا يسمونهم « الأجواد » .

ورغم أن أهل سيوة كانوا منعزلين فى واحتهم فقد كانوا يتاجرون بمحاصيلهم من البلح والزيتون مع العرب من البدو على الساحل ، ومع فزان والاسكندرية والفيوم والقاهرة ، وكان البعض منهم يسافر لتسويق منتجاته ، وعلى كل فمنذ القرن الثالث عشر

حتى القرن التاسع عشر كان بعض حجاج شمال افريقيا يفضلون فى رحلاتهم الى مكة المكرمة طريق القوافل عبر الواحات والذى كان مستخدما منذ اقدم العصور لأنه أقصر الطرق كما انه كان فى تلك الآونة أكثر أمنا من طريق الساحل وكانوا يسافرون فى قوافل ضخمة وقوية بصحبة التجار والمسافرين الآخرين وكلهم تحت حماية حراس القافلة .

استخدمت القوافل سيوة كواحدة من أهم محطاتها على الطريق ومنها كانوا يصلون الى البحرية وبعد الواحة البحرية يستمر بعض المسافرين فى رحلتهم عبر الصحراء الى وادى النيل اما عن طريق القاهرة اذا كانوا يودون زيارتها ومن هناك الى البهنسا ليستقلوا مركبا الى قوص أو قفط ثم يجتازون الصحراء الشرقية الى القصير على البحر الأحمر ، أما المسافرون الآخرون الذين لم تكن لديهم الرغبة فى زيارة القاهرة فانهم كانوا يتوجهون من البحرية الى الفرافرة ثم الى الداخلة ويصلون فى النهاية الى الخارجة التى كانت محطة هامة للقوافل على طريق القوافل الشهير الى فرشوط على النيل ومن هناك الى قوص أو قفط .

فى تلك القرون زار سيوة وغيرها من الواحات آلاف من الناس ولكن لسوء الحظ لا يوجد لدينا سجل برحلاتهم كما ان أغلبهم لم يهتم بأن يعطينا وصفا لما لاقاه أثناء زياراته ومن بينهم الرحالة ليوأفريكانوس الذى جاس خلال شمال افريقيا فى الربع الأول من القرن السادس عشر (توفى عام ١٥٢٦م) وزار سيوة فى احدى رحلاته وقال عن سكانها ان بشرتهم تكاد تكون سوداء وأنهم مقتصدون وعلى جانب كبير من الثراء [٤] ، وأنهم يتاجرون مع سكان الواحات الأخرى لا سيما واحة جغبوب ، وغربا حتى فزان ورغم أنهم لم يكونوا يعترفون بسلطة أى حكومة فى مصر أو ليبيا فقد كانوا بلا شك على علم بما يدور سياسيا فى كل من ليبيا ووادى النيل .

سيوة ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر :

استمرت نفس هذه الظروف سائدة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فقد ظلت الواحة مستقلة الى حد ما ولا تدفع أى ضرائب للسلطات فى القاهرة ولا لغيرها

ولكن المسلمين كانوا يعترفون بشرعية السلطان كخليفة للمسلمين وكانت هذه هى الرابطة الوحيدة بالعالم الخارجي . واستمرت القوافل فى زياراتها لسيوة والمتاجرة مع أهلها .

ويذكر الرحالة الالمانى فانسلب Wansleb الذى زار مصر فى النصف الثانى من القرن السابع عشر أنه رأى فى الاسكندرية قوافل البلح تأتى من سيبه Sibah ووصف البلح بأنه من أجود الأنواع [٥] . والواقع أن المعلومات الوحيدة المتاحة لنا عن تلك الايام مسجلة فى مخطوط سيوة ، ففيه نجد سجلات محلية عن العائلات وعن حزازاتها ونجد كذلك اسماء بعض رؤساء العائلات الذين اكتسبوا شهرة واسعة والذين أمسكوا بزمام السلطة والنفوذ ، كما نجد القانون المحلى الذى استنوه لأنفسهم [٦] .

ويسهب المخطوط فى ذكر الحزازات المتواصلة بين الشرقيين والغربيين مع التركيز على الأعمال والشخصيات الشرقية التى تنتمى الى عائلة مسلم التى وضعت هذا المؤلف على مدى عدة أجيال . وتبدأ السجلات المحلية المتصلة بعام ١٦٩٧ حينما أصبح ابراهيم باغى رئيس عائلة الزناين رئيسا لكل الأجواد وحكم سيوة على هيئة أمير محلى ، وخلال عهده (من ١٦٩٧ ــ ١٧١١) ازدهرت سيوة وشعر الأهالى بالأمن فى واحتهم وزادت تجارة القوافل ، وبعد وفاته عام ١٧١١ لم يتمكن أى رئيس آخر من أن يشغل الفراغ ، وتسببت الحزازات القديمة بين الفريقين المتنافسين من سكان الواحة فى نشوب الحروب بينهما ، وظلت الأحوال المضطربة سائدة لأكثر من قرن من الزمان الا أن القوافل لم تنقطع وظلت الواحة محطة هامة فى طريق القوافل ، وكانت تحت حكم جهاز مكون من رؤساء العائلات يدعى « مجلس الأجواد » .

الرحـــــالة الاوربـــــيون :

بينما كانت مصر ترزح تحت الحكم المملوكى المستبد بدأ اهتمام أوربا بالشرق يتزايد وبدأ كثير من الرحالة الأوربيين من المستنيرين والمغامرين يجوسون فى بلاده

المختلفة وقرب نهاية القرن الثامن عشر زار سيوة اثنان من الرحالة الأوربيين وتركا لنا وصفا لزيارتيهما .

رحـــلة بـــراون عـــام ١٧٩٣ :

كان الرحالة الانجليزى و.ج. براون W.G. Browne أول أوربى يتوغل فى الصحراء الى سيوة ويعطينا وصفا لرحلته (٧) وقد غادر الاسكندرية فى ٢٤ فبراير سنة ١٧٩٢ فى صحبة دليل ومترجم وبعض البدو ووصل الى قارة أم الصغير فى مارس ووصفها بأنها « مكان بائس ، جل مبانيه من الطين والناس يعانون من الاملاق ولا يعرفون النظافة » . وأخيرا وصل الى سيوة ، ويلقى وصف براون للمكان وللسكان الكثير من الضوء على أهل أهل سيوة وطبائعهم . ونظرا لأهمية هذا الوصف فسوف أورد بالتفصيل بعض ملاحظاته كما رواها هو بنفسه .

« حينما وصلنا مدينة سيوة نزلنا وجلسنا ، كما هى عادة الغرباء فى هذا البلد فى مسجد مجاور لضريح احد المرابطين ، وبعد برهة قصيرة أتى كبار القوم ليهنئوننا بسلامة الوصول وذلك بالطريقة الجادة والبسيطة المعروفة عن العرب ، وبعد ذلك أخذونا الى مسكن من أحسن مساكنهم رغم انه لم يكن مريحا بالقدر الكافى . وبعد فترة قصرة أتوا الينا بطبق كبير من الارز وبعض اللحم المسلوق وكان الشيوخ يسامروننا بينما كانت جماعتنا تلقى الرعاية ، وكانت الجماعة مكونة منى ومن المترجم والدليل واثنين من البدو ومن رفقائنا » .

وقد أشار عليه مرافقوه ان يقول بانه مملوك مسلم الا انه لم يكن يتحدث العربية كما انه لم يكن فى استطاعته ان يحضر صلاة العشاء مع الآخرين بالمسجد وبالتالى فقد شك أهل سيوة فى أمره مما اضطر مترجمه ان يقدم تفسيرا فى صباح اليوم التالى . ودهش الشيوخ كيف تمكن شخص مسيحى من التوغل فى الصحراء الى هذا الحد ويتحمل هذه المتاعب والنفقات دون ان تكون لديه تجارة يزاولها ، وفيما عدا واحد قبل جميع المشايخ مصالحته ومما ساعد على اتخاذهم هذا الموقف بلا شك ما

قدم اليهم كهدايا من بعض الأدوات النافعة التى احضرها خصيصا لهذا الغرض ، أما الشيخ الذى لم يقبل المصالحة ، وكان رئيس قومه ، فقد أثارت حفيظته وقاحة هذا الكافر الذى ينتحل ويرتدى ثوب المسلمين .

وفى البداية أصر أهل سيوة على رحيله فورا ولكن فى النهاية انتصر رأى المعتدلين منهم وسمح له أن يبقى يومين أو ثلاثة لينال قسطا من الراحة . « ولكن كلما كنت اغادر سكنى كانت تنهال على الاحجار والسباب » وأخيرا استطاع الزعماء أن يهدئوا السكان وسمح له فى اليوم الرابع ان يخرج ليرى ما يريد وفى ذلك اليوم زار بقايا معبد ام عبيدة وفى اليوم التالى سمحوا له برؤية المقابر المنحوتة فى الصخر والتى قدر عددها بنحو ثلاثين مقبرة ورغم أنه أشار الى الجماجم والعظام واجزاء الجثث التى كانت متناثرة حول المكان فانه لم يذكر أية كتابات على الجدران ، وكان هذا المكان هو جبل الموتى .

كانت هذه هى الآثار التى زارها بالقرب من مدينة سيوة وحينما استفسر من المشايخ عن « مكان باسم سنتريه » اعترفوا بجهلهم به وحينما سأل عما اذا كانوا يعرفون شيئا عن بقايا أثرية من أى نوع فى اتجاه الغرب أو الجنوب الغربى اجابه أحدهم أنه كانت توجد بحيرة تسمى أراشى حيث توجد بعض البقايا الأثرية ، ولكنه أضاف بأن هذه البقايا لا يمكن الوصول اليها نظرا لأن المكان محاط بالمياة ولا توجد قوارب ، وأخذ الرواية يحكى عن « التاريخ المسحور لذلك المكان » مما جعل براون يصر على زيارته . وأخيرا غادر سيوة فى ٢١ مارس بعد أن عمل ترتيبات سرية للوصول الى ذلك المكان رغم كل العقبات .

ويذكر براون أنه سار لمدة يومين حتى وصل هو ومن معه الى المكان الذى وصف له ، ويضيف براون « وجدت جزيرة فى وسط بحيرة صغيرة مالحة بها صخور كثيرة لا تتميز بأشكال معينة الا أنه لا يمكن القول انها تمثل بقايا أثرية بل ولم يكن من المحتمل ان تكون فيها أى آثار حيث أن المنطقة مقفرة تماما من الأشجار والماء العذب . ومع ذلك فقد دفعنى الفضول لأن اقترب من هذ البقايا الخيالية وأرغمت

فرسى على الخوض فى مياه البحيرة ونظرا لأنه كان شديد الاجهاد والضعف أو لأنه لم تكن لديه القدرة على السباحة أصلا فقد كان عاجزا عن الحركة حتى أنه لم يستطع ان يحتفظ برأسه فوق الماء فسقطت من على ظهره ولم أتمكن من تخليص نفسى بسرعة ولما وجدت نفسى اخيرا على أرض جافة منعتنى الظروف التى مررت بها من عمل أية ملاحظات أخرى عن الجزيرة والبحيرة » . وتعرف هذه البحيرة فى وقتنا الحالى ببحيرة خميسة التى كانت مسرحا لواقعة حدثت لرحالة آخر قدم الى سيوة عام ١٨١٩م .

فى الطريق من سيوة الى أراشى وعلى بعد ستة أميال مر براون « بمبنى صغير على الطراز الدورى ويبدو انه كان مصمما ليكون معبدا ولذا ما أن جدرانه لم تحوى أصلا أى نقوش أو أنها قد أزيلت » . هذا ما يدعى المعبد الدورى فى ناحية بلاد الروم .

وحينما نشر كتاب براون عرف الجغرافى الانجليزى جون رنل John Rennel سيوة بأنها واحة الاله جوبتر ــ آمون التى ذكرها هيرودوت والتى تمتعت بشهرة عظيمة فى الأزمنة القديمة (٨) .

يزودنا وصف براون بمعلومات أخرى قيمة فمن ملاحظاته على سبيل المثال ان أهل سيوة كانوا على اتصال بكل من مصر وفزان سواء بسواء وان العرب الرحل الذين يجتازون الصحراء فى كل اتجاه كانوا يمرون بهذه المنطقة حيث يتزودون بالمؤن بأسعار ارخص من مثيلاتها فى المدن المصرية . وكانوا يصلون الى هناك من علوة (الواحة البحرية) أو من الفيوم أو من أقليم طيبة أو من فزان أو من طرابلس أو من القاهرة أو من الاسكندرية ويصف لنا الواحة بهذه الكلمات : « يزخر جزء كبير من هذه الواحة بأشجار النخيل ويوجد كذلك الرمان والتين والزيتون والمشمش ولسان الحمل Plantains كما ان الحدائق مزدهرة بشكل واضح ويقوم أهل سيوة بزراعة كميات كبيرة من الأرز ذى اللون الضارب الى الحمرة والذى يختلف عن النوع الذى يزرع فى الدلتا . أما بقية المساحة المزروعة فانها تنتج كميات من القمح لاستهلاك السكان » .

وكتب براون أيضا مذكرت نافعة عن ملابس الذكور من السكان وعن اخلاق الناس (ولم يكن بطبيعة الحال متعاطفا معهم) وعن أنواع الأطعمة التى كانوا يعيشون عليها ولم يكن رأيه فى النساء يدل على تقديره لهن فيقول « عندما كنت هناك عثر على طفل حديث الولادة مقتولا وملقى به من على سطح أحد المنازل وقد فهمت أن مثل هذه الأحداث ليست قليلة ، وربما دلت بطريق غير مباشر على انتشار الاباحية بين الناس رغم ان الظروف الأخرى لم تدفعنى الى مثل هذا الافتراض ، وقد جرى التحقيق ولكن لم يمكن الاستدلال على مرتكب الجريمة واعتبر الموضوع منتهيا » .

ومن بين ملاحظات براون الأخرى أن أهل سيوة يشربون القهوة و يدخنون الطباق وان باقى احتياجتهم الأخرى كانت ترد من القاهرة أو الاسكندرية حيث كان يصدر انتاجهم من البلح ، ولاحظ كذلك ان السلطة كانت فى ايدى أربعة أو خمسة من المشايخ الذين وان كانوا يستمتعون باحترام ظاهر فانه كانت تنقصهم فى الحقيقة السلطة الكافية لحفظ النظام فى الداخل : فالسلاح يستل لأتفه الأسباب وتطلق العائلات المتخاصمة النار على بعضها البعض فى الشوارع ومن داخل المنازل ولم تقع مثل هذه المعارك اثناء زيادة براون القصيرة لسيوة الا انه من الواضح انه سمع بذلك من مرشده أو من مترجمه.

وبوجه عام فان الوصف الذى أورده براون مفيد للغاية ويستحق الثناء فمذكراته تزودنا بأول صورة تفصيلية عن سيوة بعد مرور نحو ١٧٠٠ سنة ، كما تزودنا فى نفس الوقت بانطباع عن السيويين وعن حياتهم اليومية فى لسنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر .

فـــــردريك هورنـــــمان Fredrick Hornemann :

بعد ست سنوات أخرى ـــ فى عام ١٧٩٨م ـــ وصل من أوربا رحالة المانى يدعى هورنمان ، وعلى عكس الحال بالنسبة لبراون لم يكن مستكشفا يعمل لحسابه وانما كان موفدا من قبل الجمعية الافريقية بلندن London African Society ليتجول

فى ارجاء شمال افريقيا وليعود بتقرير يتضمن وصفا للأماكن التى زارها فضلا عن أية معلومات أخرى عن التجارة . واستعدادا للرحلة فقد تعلم التحدث باللغة العربية وحصل على معلومات كافية عن الاسلام والشعائر الاسلامية . وحينما وصل الى مصر كان جيش نابليون موجودا بها ، ولكن المستكشف الالمانى لم يجد صعوبة فى الحصول من السلطات الفرنسية على الوثائق التى تتيح له التجول حيثما أراد .

غادر هورنمان وادى النيل من قرية كرداسة بالقرب من أهرامات الجيزة مع قافلة حجاج عائدة من مكة فى طريقها الى شمال افريقيا ، وقد رحلت القافلة يوم ٥ سبتمبر ووصلت سيوة يوم ٢١ من نفس الشهر بعد قضاء عدة ايام فى قارة أم الصغير . وقضى هورنمان مع القافلة ثمانية أيام فى سيوة زار خلالها البقايا الأثرية خارج المدينة وكتب مذكرات نافعة عن حياة وعادات أهل سيوة ووصفه للآثار أكثر تفصيلا من وصف براون وان كان الاثنان اتفقا على كل النقاط الرئيسية [٩] . وكان هورنمان شغوفا برؤية البقايا الأثرية وبدراستها بعناية ، وكان هذا الشغف الشديد فى الواقع هو الذى جلب عليه المتاعب فيما بعد . حقا انه كات يتحدث العربية ويؤدى شعائر الصلاة مع الآخرين ولكن بعض السيويين ارتابوا فى أمره بسبب عدم انتظامه فى حضور الصلاة وبسبب ولعه بأثار الوثنيين القدماء وكانوا يعتقدون انه لا يوجد مسلم حقيقى يفعل مثل هذا .

وتركت قافلته الواحة فى الصباح الباكر متجهة صوب الدرب ولكن بعد بضع ساعات لحق بها السيويون وكما يذكر هورنمان كان نهيق الثلاثمائة حمار ايذانا بوصول الجيش السيوى واراد السيويون ان يفتكوا به وبمساعده الذى كان هو الآخر أوربيا متهمين اياهما بأنهما كمسيحيين قد استهزؤا بالعقيدة الاسلامية ولم ينقذ هورنمان من ايديهم سوى تصرفه بذكاء فقد اخرج على التو المستندات التى زوده بها بونابرت وكانت مكتوبة باللغة الفرنسية وسلمها الى المشايخ وطلب منهم قراءتها لكى يروا منها انه مسلم . وكان مساعده الذى صار مهتما بالاسلام بعد ان عاش اثنى عاما فى تركيا يحفظ بعض أيات القرأن الكريم فشرع فى تلاوتها بصوت مرتفع وادرك بعض السيويين ان شكوكهم ربما لم تكن فى محلها ، وفى نفس هذه اللحظة قام هورنمان بحركة

أخرى ناجحة اذ اخرج من أمتعته نسخة من القرآن الكريم وراح يقرأ بصوت عال وكان ذلك برهانا قاطعا بانهما مسلمين واعتذر الجيش السيوى وعاد ادراجه. وواصل هورنمان رحلته وكان يبعث بتقاريره من شمال افريقيا بالباخرة الى لندن ، لكنه فقد حياته فى مغامرة فيما بعد ولم ير أوربا مرة أخرى .

وأهم النقاط التى وردت فى تقارير هورنمان عن سيوة وصفه المدينة بأنها قلعة قابعة على تل ، منازلها مبنية الواحد فوق الآخر وتزدحم بالسكان ويصف وصول الحجاج الى المدينة بخلية النحل . وقد لاحظ كذلك ان اللغة المستعملة هناك لم تكن العربية وانما تشبه لغة الطوارق فى شمال افريقيا . وقد جمع بعضا من الكلمات السيوية ولكنه فقدها فيما بعد ولم يبق منها سوى ثمانية وعشرين وكلمة . وقد وصف واحة سيوة بانها عبارة عن مجتمع صغير مستقل يشمل المدينة وعددا صغيرا من القرى ولم تدفع سيوة أية جزية للسلطان التركى وكانت ثروتها تعتمد بدرجة كبيرة على تجارة البلح وانه كلما أتت قافلة تفاوض معها المشايخ باسم المجتمع كله.

زيـــــارة بوتـــــان (Butin) عـــام ١٨١٩ :

فى العام السابق على وصول قوات محمد على للواحة زارها اثنان من الفرنسيين أولهما ضابط مقامر يدعى بوتان كان قد سمع من بعض أهل سيوة الموجودين بالاسكندرية عن أسطورة الكنز العظيم المدفون فى الجزيرة الواقعة وسط البحيرة المالحة أراشيا وهى نفس القصة التى كان براون قد سمعها منذ سبعة وعشرين عاما خلت . أخذ بوتان معه قاربا يسهل حمله ولكن بمجرد وصوله الى سيوة اكتشف أهلها نيته فاستشاطوا غضبا واستولوا على القارب وسلبوه كل ما معه . وبعد صعوبات جمة ساعده الحظ على النجاة بحياته وعلى أى حال فقد لقى حتفه بعد ذلك فى سوريا ولم يترك بوتان أى وصف عن رحلته الى سيوة ولكن ذكر زيارته والمتاعب التى صادفته كل من كايو . Cailliaud,. Voyage.. I; 81 وفون مينوتولى Von Minutoli, Reise... وجومار Voyage a Syouah, pp.333. Jomard.

رحـــــلة كايـــــو عـــــام ١٨١٩ :

والفرنسى الثانى الذى زار سيوة عام ١٨١٩ كان رجلا جم النشاط موهوبا وخبيراً فى التعدين والاستكشاف يدعى فريديك كايو الذى وصل الواحة بعد شهور قلائل من زيارة بوتان ، ووصلها من الفيوم فى خمسة عشر يوما وأمضى بها اثنا عشر يوما من العاشر من ديسمبر حتى الثانى والعشرين من نفس الشهر وكما ذكرنا من قبل كانت مصر آنذاك تحت حكم محمد على ولكن مع أن سيوة كانت تعترف اسميا بسيادة السلطان التركى فانها لم تكن تدفع الجزية له ولا للوالى المصرى وقد كان السيويون يعون مدى اتساع سلطة محمد على ومع ذلك فحين وصل كايو ومعه صديقه لتورزك (Letorzec) انتابتهم الحيرة اذ قدم للمشايخ خطابا من الباشا موجها الى أهل سيوة يأمرهم بأن يسهلوا مهمته ويقدموا له كل عون . وبعد مناقشات امتدت لبضعة أيام سمحوا لكايو بزيارة الحدائق وبعض المواقع القديمة كما سمحوا له باستخدام المعدات التى أحضرها معه والخاصة بتحديد خطوط الطول والعرض ونسبة ارتفاع المكان وان كان كل ذلك قد جرى تحت اشرافهم .

لم ينكر كايو جنسيته ولا ديانته المسيحية وانما كان يذكرهم دائماً بأنه ~~العنكر لهم~~ ~~أنه~~ يعمل من أجل الباشا وقد سمحوا له بزيارة الحدائق والمواقع القديمة بما فيها جبل الموتى وجبل الدكرور وخميسة وبلاد الروم ولكنهم لم يسمحوا بزيارة بقايا معبد أم عبيدة أو بدخول المدينة ومن جانبه أصر كايو على رؤية هذين المكانين وأخيرا سمح له فى اليوم السابق لرحيله عن الواحة بزيارتهما .

ووصف كايو لآثار هذه الواحة افضل وأكثر دقة من تقارير براون وهورنمان كما أن ملاحظاته عن حياة أهل سيوة على جانب كبير من الأهمية (١٠) فقد ذكر أن السكان يحيون داخل مدينتهم المحصنة ولم يكونوا يسمحون لأى غريب بدخولها كما كان يطلب من أفراد أى قوافل زائرة أن يقضوا الليل فى الخارج ، وحينما كانت الضرورة تستدعى ان يقابل المشايخ أى واحد من الأغراب فقد كان الزقالة يأتوه به الى غرفة بجانب البوابة وكان الشيوخ يمثلون بضع عائلات الا أن السلطة الحقيقية كانت فى

اثنين منهم فقط هما رئيسا المجموعتين المتنافستين فى الواحة أى الشرقيون والغربيون . ورغم أن العداوة بين الفريقين كانت مرة ومستمرة الا انهم استطاعوا العيش دائما فى منازل متجاورة ، ولمواجهة الخطر الخارجى كانوا ينسون عداوتهم ويضمون صفوفهم ويجابهون العدو متحدين .

ويذكر كايو أن السيويين عارضوا زيارته الى داخل مدينتهم نظرا لأنهم كانوا يعتقدون فى نبوءة قديمة فحواها أن الاقامة الطويلة لأى شخص مسيحى ستجلب لهم سوء الحظ ولذلك فقد أرادوا التخلص منه بأسرع وقت ممكن دون أن يثيروا حنق الباشا فى القاهرة . ويتساءل كايو عما اذا كانت هذه النبوءة صحيحة اذ أنه بعد رحيله ببضعة أشهر وصلت جيوش محمد على وأصاب المدينة دمار شديد حينما ضربت بالمدفعية ولقى عدد كبير من السيويين مصرعهم وفقدت الواحة استقلالها . ومما زاد الأمر سوء أن أهلها أجبروا على دفع الضرائب .

السنوات السابقة لغزو سيوة :

لمدة عشرين سنة بعد زيارة هورنمان لم يحاول أحد من الرحالة السفر إلى سيوة رغم نشر كتابه ونشر كتاب براون وربما كان ما أورداه عن موقف السيويين من غير المسلمين مسئولا عن ذلك .

وبعد انسحاب الفرنسيين عام ١٨٠١م دخلت مصر عصرا جديدا تميز بالنظام والازدهار النسبى تحت حكم محمد على حيث فتح ذلك الحاكم النابه البلاد للاجانب ورحب بالاوربيين وقدم لهم كل حماية ممكنة ونظرا لانهماكه فى الاصلاحات الداخلية وفى محاربة المماليك وفى الحروب التى قام بها خارج مصر فانه لم يسع إلى غزو سيوة حتى عام ١٨٢٠م .

غزو سيوة عام ١٨٢٠م :

خطط محمد على للسيطرة على واحات الصحراء الغربية قبل أن يتخذ الخطوة النهائية نحو ارسال جيشه إلى السودان وقد وكل مهمة اخضاع كافة الواحات إلى واحد

من أقدر رجاله وهو حسن بك الشماشرجى الذى كان حكمدارا لمديرية البحرية فى ذلك الوقت . وقبل زحفه على سيوة عام ١٨٢٠ كان قد انتهى من غزو الواحات الأخرى ونظرا لأن سيوة تعتبر أبعد الواحات ناحية الغرب فقد تركها إلى النهاية . وتذكر بعض الكتب أن غزو سيوة قد تم لأن دروفيتى قنصل فرنسا العام فى مصر حينذاك أخبر محمد على عن أهميتها وعن رغبته فى زيارتها ، وقد كان دروفيتى شغوفا بالآثار والواقع أنه كان يعمل على تكوين مجموعة منها وكان فى خدمته كثير من الأشخاص بمن فيهم كايو ويحتمل أنه فى احدى محادثاته مع الباشا اشار إلى أهمية هذه الواحة ولكننا لايمكن أن نقبل فكرة أن اهتمام دوروفيتى كان الدافع الوحيد لتلك الحملة ، ولدى أهل سيوة قصة أخرى ، فيقولون أنه منذ أيام ابراهيم باغى فى القرن الثامن عشر اضطهد الشرقيون الغربيين وانتهى الأمر بأن ذهب زعيم الغربيين إلى القاهرة وعمل ما فى وسعه لاقناع الباشا لوضع حد لتلك الفوضى السائدة وأكد له خلاص كل الغربيين والواقع أن محمد على قد صمم على غزو سيوة على أى حال كجزء من سيطرته على الواحات وطرق القوافل بالصحراء الغربية وحينما تلقى الشماشرجى الأوامر بالزحف كانت قواته تتكون من ٤٠٠ باش بوزوق (أى القوات غير النظامية) و٢٠٠ من البدو من قبيلة أولاد على ومائة أخرى من قبيلة الجمعيات [١١] من المثقفين المهتمين بزيارة سيوة وزيارة آثارها الشهيرة وتتألف من دروفتى ولينان دى بلفوند Linan de Bellefonds مهندس محمد على المشهور والرسام فرديانى Ferdiani والطبيب ريتش Ricci وقد صحب الحملة كذلك على بالى . وبعد مسيرة أربعة عشر يوماً ابتداء من طرانة (على مشارف محافظة البحيرة) وصلوا إلى سيوة التى انسحب سكانها إلى داخل مدينتهم المحصنة ورفضوا الاستسلام بل راحوا يقاومون لمدة ثلاث ساعات حتى تبين لهم أنهم اذا استمروا فى المقاومة فان المدينة سوف تتحول إلى انقاض كما ان ثلاثة وثلاثين من السيويين سقطوا قتلى فى مقابل ثلاثة فقط من البدو من رجال الشماشرجى .

واستسلم السيويون ، وخلال المفاوضات التى جرت فيما بعد وافقوا على دفع

الضرائب باعتبارهم رعايا للباشا الا انهم رفضوا السماح لاى من الغزاة أن يدخل مدينتهم وحينما أصر الشماشرجى على استسلامهم الكامل مهددا بأن يحيل المدينة إلى رماد اذا استمروا على عنادهم اضطروا إلى الرضوخ ودخل دروفيتى المدينة هو ورفاقه وسمح لهم بالتجول حيثما أرادوا فزاروا آثار أم عبيدة ومقابر جبل الموتى وأغورمى والبئر القديمة وبعض الجدران الحجرية المجاورة لها وقام دورفيتى بفحص بقايا معبد يدعى « العمودين » يقع على مسيرة ثلاث ساعات من سيوه باتجاه الشمال الغربى وقال عنه أن عمارته تبدو غير مصرية الأصل [١٢] . وقد حدد مقاييس هذا الاثر كما يلى : ٩٠ قدما طولا و٢٥ قدما عرضا . وليس على جدرانه كتابات هيروغليفية . وهذا يختلف عن المعبد الدورى الذى زاره الرحالة السابقون والذى زاره دروفيتى أيضا وهو فى طريقه إلى بحيرة اراشيا [١٣] .

وافق السيويون على دفع ١٢٠٠٠ ريالا كغرامة حربية وجزية سنوية قدرها ألفى حمولة جمل من البلح وعين على بالى عمدة على سيوة وتركت تحت امرته قوة تتألف من أربعين جنديا . ولفترة قصيرة فقط تغير موقف أهل سيوة من الزوار حتى أن القنصل الألمانى فون منتولى Von Minutoli حين زار الواحة فى شهر نوفمبر من نفس العام لم يتعرض له أحد بأذى ، إلا أن هذا الموقف لم يستمر طويلا اذ لم يلبثوا ان رفضوا الترحيب بمزيد من الزوار كما امتنعوا عن دفع الضرائب وهكذا عاد حسن بك الشماشرجى فى عام ١٨٢٩ إلى الواحة بقوة تتألف من ٦٠٠ رجل واختار السيويون طريق الحرب إلا أنه تم احتلال المدينة بعد معركة قصيرة وأعدم ثمانية عشر شيخا ونفى عشرون آخرون ولم يترك حسن بك سيوة هذه المرة إلا بعد أن عين عليها حاكماً وكان أول مأمور هو ضابط يدعى فرج كاشف الذى قام ببناء أول بيت حكومى على الصخرة جنوبى المدينة وبقى هناك مع الحامية بينما استمر على بالى عمدة على الواحة يعاونه كالمعتاد روساء العائلات بصفة مشايخ .

سيوة ما بين ١٨٢٠ ونهاية القرن التاسع عشر :

يكشف تاريخ سيوة الحديث عن احوال من القلاقل المستمرة بين السكان فلأكثر من مرة رفض أهلها ان يدفعوا الضرائب المفروضة عليهم وبالتالى ارسلت اليهم حملات تأديبية كما حدث فى اعوام ١٨٣٩ ، ١٨٤٤ ، ١٨٥٣ ، ١٨٩٣ . وكان منصب مأمور سيوة منصبا غير مرغوب فيه وكان كل ضابط يشغله يعتبره ضربا من النفى ويبذل قصارى جهده لتقصير أمد بقائه فيه. وليس لنا ان نتوقع الكثير من أمثال هؤلاء الموظفين . وفى نفس الوقت استمرت النزاعات الداخلية وخلال هذه السنين الثمانين نشبت معارك عنيفة بين الشرقيين والغربيين أما فيما يتعلق بموقفهم تجاه الزوار الأجانب فقد ظل كما كان فى السابق وربما ازداد سوء .

رحـــلة فـــون منـــتولى ١٨٢٠ :

بعد غزو سيوة عام ١٨٢٠ قرر القنصل الألمانى فى القاهرة القيام برحلة إلى الساحل وإلى سيوة ومعه بعض الأصدقاء فقد صحبه كل من ايرنبرج Ehrenberg وهيمبرش Hemprich وشولتز Scholtz والمصور ليمان Liman وخبير الطبوغرافيا جروك Gruoc والرسام بولدرينى Boldrini . وغادرت الجماعة الاسكندرية فى ٥ اكتوبر سنة ١٨٢٠ وسارت بمحاذاة الساحل وفى السادس والعشرين من نفس الشهر اتجه فون منتولى ومعه جروك إلى واحة سيوة فى حين توجه كل من ايرنبرج والأخرون إلى برقة ودرنة على أمل أن يلتقوا بفون منتولى فى سيوة فيما بعد . وقد وصل فون منتولى سيوة فى السابع من نوفمبر ومكث بها ١٢ يوما ولم يجرؤ احد على منعه من الذهاب حيثما اراد ، فتمكن من قياس أبعاد معبد أم عبيده واخذ رسوم مختلفة لجدرانه والواقع ان رسوماته هى الوثائق الوحيدة التى تمكننا من التعرف على شخصية من بناه ذلك ان المعبد نسف فيما بعد وأزيل الكثير من أحجاره عام ١٨٩٧م (شكل ٣٠) .

زار فون منتولى كذلك بلاد الروم وخميسة ، والى الغرب من مدينة سيوة عثر على مبنى يسمى ديبا [١٤] يقول عنه أنه يرجع إلى العصر العربى كما زار موقع قصر

الغشام غربى المدينة ودخل مقابر جبل الموتى واشار إلى الكتابات الهيروغليفية والمناظر الملونة بالالوان الحمراء والصفراء والزرقاء والمصورة على جدران بعض المقابر، ويذكر كذلك نصا يونانيا ممسوحا فى احدى المقابر.

اما ايرنبرج ورفقاؤه فقد اضاعوا كثيرا من الوقت عند الحدود حيث كانوا ينتظرون عبثاً أن يؤذن لهم بزيارة درنة ولما فقدوا كل أمل فى زيارة طرابلس توجهوا إلى سيوة فوصولها فى الثامن عشر من نوفمبر أى بعد رحيل فون منتولى بستة ايام ولم يبد السيويون أى ود تجاههم وانتظرت الجماعة خمسة ايام للحصول على اذن بدخول المدينة وزيارة الآثار ولكنهم اضطروا لمغادرة الواحة دون تحقيق مآربهم (١٥).

بايـــل ســـانت جـــون (Bayle ST. John) :

لمدة سبعة وعشرين عاماً بعد ذلك لانسمع عن أوربى ذهب لزيارة سيوة وأول من يتوفر لدينا سجل لذهابه إلى هناك بعد ذلك رجل انجليزى يدعى بايل سانت جون الذى سافر إلى سيوة فى شهر سبتمبر من عام ١٨٤٧ مع ثلاثة من اصدقائه ولكن لم يسـ ح لهم بدخول المدينة وان كان قد سمح لهم بزيارة الحدائق والمواقع الأثرية ويروى بايل أنه فى وقت زيارته لم يكن بالواحه مأمور أو عمدة أما على بالى فقد طعنه احد افراد اسرتـ طعنة أودت بحياته عام ١٨٣٨ ولسنين طويلة راح يوسف يطالب الحكومة ان تعينه فى مكان والده ولكنه لم ينجح فى مسعاه وعلى أى حال فعندما زار بايل سانت جون الواحة رحب به يوسف وقدم اليه والى رفاقه كافة المساعدات (١٦).

جـــمس هاملـــتون ١٨٥٢ (James Hamilton) :

كان يوسف بالى يأمل فى أنه بمجرد ان يصل إلى علم السلطات فى القاهرة ما يقوم به من أعمال حسنة سيكون ذلك مدعاة لنجاحه فى الحصول على المنصب ولكن احلامه لم تتحقق وحانت فرصة أخرى بعد بضع سنوات وفى هذه المرة اتبع يوسف اسلوبا أخر. فعندما وصل جميس هاملتون إلى سيوة وضرب خيامه بالقرب من مركز الشرطة أظهر أهل سيوة بجلاء أنهم يمقتون كل الزوار الأجانب.

كان يوسف هو الذى أثار غضب الزقالة واستحثهم على مهاجمة خيام هاملتون بالليل وفى نفس الوقت قام سرا بتحذير هاملتون واغراه باللجوء إلى بيته طلبا للحماية ولذلك فحينما اطلق السيويون النار على خيامه وهاجموها ونهبوا كل ما فيها ظل هو سليما فى بيت يوسف ثم قام هذا الأخير بمساعدة ضيفه لارسال رسالتين إلى القاهرة لشرح ما حدث . وعلى الفور ارسل الخديوى عباس قوة إلى سيوة وظل هاملتون لمدة ستة اسابيع آمناً فى منزل يوسف حتى وصلت القوة الحكومية فى ١٤ مارس . حينذاك اطلق سراحه فدخل مدينة سيوة المحصنة ومدينة أغورمى الصغيرة وكان أول رحالة يذكر وجود معبد حجرى هناك وهو معبد الوحى الشهير وقد ذكر الكتابات الهيروغليفية فى قدس الأقداس كما لاحظ وجود الممر الكائن على الجانب الأيمن وفى اشاراته إلى بقايا معبد أم عيدة بذكر أن مامورا قام بعمل حفائر بين انقاضه حيث وجد تمثالا لأسد وثلاثة تماثيل من البرونز .

وبعد ان مكثت القوة اسبوعا فى سيوة غادرتها ومعها هاملتون أما المشايخ الذين اعتبروا مسئولين عن الحادث وجلهم من الشرقيين فقد طلب اليهم ان يسلموا انفسهم فى القاهرة فى مدى شهرين ووعدوا بتنفيذ ذلك . وحينما انتهت المهلة ارسلت قوة أخرى إلى سيوة تتكون من ٢٠٠ جندى نظامى و٢٠٠ رجل من البدو من قبيلة اولاد على تحت قيادة شيخهم الذى سبقت له زيارة سيوة مرات عديدة بحيث تسنى له ان يعرف كل شيوخها . وفى نفس الوقت وعندما وصل هاملتون إلى القاهرة قابل الخديوى وشرح له الفوضى المنتشرة فى ارجاء الواحة واضاف بان الشخص الوحيد الذى يستطيع ان يعيد النظام ويحفظ هيبة الحكومة هو يوسف بالى الذى كان والده قد عمل كأول حاكم على الواحة . ونتيجة لذلك عاد يوسف بالى مع القوة المسلحة ومعه خطاب التعيين كعمدة على سيوة ، وحينما وصلت الجماعة إلى عين مجاحظ (وهى أول عين فى المنخفض ويسميها بعض الأهالى عين راضى) عسكرت هناك بينما ذهب الشيخ البدوى حسين دوغار إلى المدينة واستطاع بلباقته وحيلته أن يقنع الناس بتغيير رأيهم اذ انهم كانوا قد تحصنوا بالفعل فى قلاعهم واستعدوا للمعركة فأكد لهم ان

الضابط المكلف بالقيادة لايحمل لهم الا النيات الطيبة وان الأمر يقتضى أن يصحبه وفد إلى المعسكر ليعلن ولاءه للحكومة وينتهى الأمر بسلام . وعاد ومعه اربعون من المشايخ والاعيان ولكن بمجرد ان وطئت أقدامهم أرض المعسكر صفدوا بالاغلال وبعد ذلك توجهت القوة إلى المدينة ، وحين علم أهل سيوة أن حياة مشايخهم موضوعة تحت رحمة القوة وأنهم سوف يشنقون جميعا اذا اصيب أى من الجنود ، أعلنوا استسلامهم وقدم قائد القوة قائمة باثنين آخرين كرهائن ورجع إلى القاهرة ومعه الاثنين وستين رهينة وقدموا للمحاكمة فصدر الحكم باعدام اثنين منهم هما الشيخ عمر مسلم قاضى سيوة ومحمد معرف أحد أقربائه أما الستون الأخرون فقد حكم عليهم بالأشغال الشاقة . وغدا يوسف بالى صاحب السلطة الكاملة كعمدة للواحة أما شريكه دوغار فقد عين مأمورا ومعه حامية من الجنود تحت امرته وكان من الطبيعى أن يعتبر الشرقيون العمدة الجديد عدوا لهم وانه مصدر بلائهم ولكن يوسف لم يترك فرصة للانتقام لنفسه وسحق أعدائه واثراء نفسه إلا وانتهزها . وحينما كانت الاصوات ترتفع بالاحتجاج كان كل ما يفعله هو القاء القبض على اصحابها وإرسالهم إلى القاهرة ليوضعوا فى السجن [١٧] .

ولم يمض عامان كاملان حتى توفى عباس الأول (عام ١٨٥٤م) واعتلى سعيد باشا العرش وتم الافراج بهذه المناسبة عن جميع المسجونين بما فيهم مشايخ سيوة الذين اعيدوا إلى واحتهم ويمكننا أن نتصور الآن موقف يوسف حين وقف ضده كل الشرقيين وبعض الغربيين مطالبين بالانتقام ، واستمرت المعركة التى نشبت نتيجة لذلك لمدة ثلاثة ايام انتهت بفوز الشرقيين الذين حاصروا منزل يوسف ولكنه تمكن من الهرب إلى قرية صغيرة مجاورة تسمى « المنشية » واحتمى فى منزل احد اصدقائه ومن هناك ارسل رسالة للمأمور صديقه القديم إلا أن المأمور كان هو الآخر فى حاجة لمن يحميه، واخيرا عثر عليه الشرقيون وقتلوه .

وبعد أقل من عام نشبت معركة أخرى بين الجانبين وقد اظهر فيها المبارك ابن أم يوسف شجاعة نادرة ولو أن المعركة اسفرت عن فوز الشرقيين مرة أخرى ، وفى

النهاية وصل إلى سيوة مأمور جديد عام ١٨٥٧ ومعه عدد من الجنود لاعادة النظام ، وساد الاعتقاد حينذاك بأن تعيين عمدتين احدهما للشرقيين والآخر للغربيين ربما يساهم فى تهدئة الموقف وجربت هذه الفكرة ولكنها لم تحقق نجاحاً فالغتها السلطات .

ج. رولـــفس G. Rohlfs ١٨٦٩:

زار رولفس وهو الجغرافى الشهير الذى عينه الخديوى اسماعيل لدراسة الصحروات المصرية ، سيوة مرتين : الأولى عام ١٨٦٩ والثانية عام ١٨٧٤ ويعتبر كتابه المشهور (١٨) عن رحلاته فى كافة انحاء الواحات معينا لاينضب ، ويزخر الجزء المتعلق بسيوة بتفاصيل هامه عن المواقع القديمة كما يحوى معلومات عن الحياة فى سيوة ووصفا هاما لداخل المدينة ويمكننا ان نرى بوضوح من خلال مؤلفه تأثير الطريقة السنوسية التى كانت تتمركز فى جغبوب كان يتزايد باستمرار فى سيوة كما كان لممثلى السنوسية فى الواحة نفوذ كبير بين الناس وعلى الخصوص بين العائلات الغربية .

زوار آخـــرون لســـيوة :

لم تكن سيوة من المناطق الجذابة التى يرغب فيها أى مأمور ، وتكشف لنا الوثائق انه لم يكن لاى واحد منهم اى نشاط خارجى ، وقد استمرت العداوة بين فريقى السكان بينما اخذت سلطة الشيوخ تتضاءل ورفض السيويون أكثر من مرة أن يدفعوا الضرائب المستحقة عليهم .

وفى عام ١٨٨٦م زار روبيكى Robecchi سيوة حيث أتم صوره ورسوماته التى نشرت بعد ذلك فى اطلسه . وفى أوائل التسعينات قضى كل من بلندل Blundell وصحفى يدعى وورد Ward ليلة واحدة فى سيوة ورغم ان موقف السكان ازاءهما لم يكن وديا تماماً إلا انهم لم يتعرضوا لهما بأذى .

وفى عام ١٨٩٣ قررت السلطات فى القاهرة القيام بدراسة دقيقة لتحديد اسباب الاضطرابات المستمرة فى سيوة ولماذا رفض سكانها دفع الضرائب للسنوات الثلاثة السابقة واوفد مصطفى ماهر بك حكمدار مديرية البحيرة إلى سيوة ومعه قوة مؤلفه من خمسين جنديا وفضلت أغلبية سكان سيوة اظهار ولائها فيما عدا قسم من الغربيين بزعامة احد مشايخهم وهو حسونه منصور ورفضوا دفع الضرائب وتحصن الشيخ فى منزله الذى كان يشبه القلعة والمقامْ فوق صخرة جنوبى المدينة ، وحاصر ماهر بك المكان إلا ان بعض اقارب الشيخ واصدقائه نجحوا فى تزويده هو واتباعه باحتياجاتهم ، ونتيجة لذلك امتد زمن الحصار ، واخيرا طلب ماهر بك عون السنوسى فى جغبوب وما ان امر مندوب السنوسى حسونه بالاستلام حتى استجاب على الفور ومعه اتباعه وصدر العفو عنهم جميعا ووافقوا على تأدية الضرائب للحكومة بانتظام شريطة الا تطالبهم الحكومة بالضرائب المتأخرة عن السنوات الثلاث السابقة . ووقع هذه الاتفاقية كل من ماهر بك وحسونه منصور وشهد عليها مندوب السنوسى ، ويتضح من هذا مدى النفوذ الذى تمتع به الاخوان السنوسية فى سيوة فى تلك الايام واقنعت هذه الواقعة حسونة منصور بأنه زعيم الواحة كما اعتبر الغربيون انفسهم متفوقين على منافسيهم ، وما لبثت المنازعات ان اشتعلت بين الفريقين مرة أخرى وفقد حسونه وكثيرون آخرون أرواحهم فى معركة نشبت بينهما .

وفى عام ١٨٩٥م تجددت الاضطرابات فى سيوة وارغم بعض الزوار على أن يعودوا أدراجهم . ففى أكتوبر سنة ١٨٦٩ أوفد جننجز براملى Jennings-Bramley إلى الواحة فى مهمة تتعلق بالضرائب ولكنه أجبر على العودة فى نفس اليوم [١٩] ، وبعد ذلك بوقت قصير قام بلنت Blunt بزيارة الواحة بيد أنه قوبل أسوأ استقبال فقد اطلق السيويون النار على خيمته وسرقوا بنادقه وأمتعته وان كان قد تمكن هو من الافلات بحياته .

وكان ارسال حملة تأديبية جديدة إلى سيوة سببا فى ان اهلها لم يسيئوا معاملة أ . سلفا هوايت [٢٠] A. Silva White حينما وصل اليها ـــ وقد بدأ هوايت رحلته من

القاهرة فى مارس ١٨٩٨ مارا بوادى النطرون ثم منخفض القطارة ثم قارة أم الصغير قاصدا زيارة سيوة ومنها إلى جغبوب ، وقد سمح له بدخول المدينة ، بل ويذكر انه زارها خمس مرات اثناء اقامته التى استمرت من الثانى من ابريل حتى الثامن منه وهكذا صرف نظره عن زيارة جغبوب وعاد إلى القاهرة . وبالرغم من أن كتابه لايضيف إلى معلوماتنا عن سيوة إلا قليلا إلا أنه يركز على الآثار السيئة التى ترتبت على وجود المنافسة بين الفريقين من السكان وتضخم نفوذ ممثل السنوسيين هناك وقد صودر منزل حسونة منصور عام ١٨٩٦م وقام محمود عزمى الذى كان يشغل منصب المأمور فى ذلك الوقت بتحويله إلى مركز للشرطة . ولكنه ارتكب فى عام ١٨٩٧ جريمة وضع مواد متفجرة تحت قدس أقداس معبد أم عبيدة فنسف أحد جدرانه وسقفه للحصول على أحجار لبناء درجات سلم مكتبه ومنزله الخاص ، وتوضح الصورة التى التقطها هوايت عام ١٨٩٨ حالة المعبد بعد تدميره [٢١] وفى نهاية القرن صارت سيوة اقل اضطرابا كما أصبح سكانها أكثر اعتدالا ، وشجعت الطريقة السنوسية التزاوج بين الشرقيين والغربيين واتفق الفريقان على أنه كلما حدث سوء تفاهم بينهما بعثا إلى جغبوب ليأتى واحد من الأخوة السنوسيين ليفض النزاع بدلا من الاحتكام إلى السلاح ، وفى نفس الوقت تزايدت سلطة المأمور وتبعا لذلك صارت حالة الأمن مثلها مثل أى مكان آخر فى مصر العليا حينذاك . والواقع أن شتيندورف Steindorff وجد سيوة تعيش فى سلام حينما زارها فى ديسمبر سنة ١٩٠٠ ، فقد سمح له بالتجول حيثما اراد ولم يتدخل أى واحد فى عمله حين كان يقوم بنقل النصوص من مقابر جبل الموتى أو معبد أم عبيدة او حتى معبد الوحى الذى كان به سكان حتى ذلك الوقت .

سيوة من بداية القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى :

بقيت سيوة بعد ذلك هادئة وغدت الحروب بين الشرقيين والغربيين من أخبار الماضى وصار عدد من المشايخ ورؤساء العائلات مسئولين عن سلوك أقاربهم فضلا عن مسئوليتهم المباشرة أمام المأمور الذى كان يتولى السلطة المحلية العليا ورغم أن

الخلافات بين العائلات كانت لاتزال قائمة فإن الزواج بين أفرادها كانت له آثاره الطيبة ، كما ساعد نفوذ الأخوان السنوسية على تحويل سكان الواحة من مشاغبين إلى قوم مسالمين يراعون احكام العقيدة الاسلامية وبالاضافة إلى ذلك دخلت سيوة (الطريقة المدنية) وهى طريقة صوفية أخرى كان مركزها فى اسطنبول بتركيا ومؤسسها هو الشيخ ظافر المدنى وكان هدفهها المعلن نشر مبادئ الاسلام السمحة بين الناس فى كافة ارجاء الامبراطورية العثمانية ، أما هدفها الخفى فكان تعزيز مركز الخليفة وتمكين اتباعه من الحصول على المعلومات عن أى حركة ضد الخليفة أو ضد الامبراطورية فى أى مكان [٢٢] وقد لقيت الحركة الجديدة قبولا بين أوساط الشرقيين كعامل موازنة لحركة السنوسيين فى اوساط الغربيين ومن الأمور المثيرة للدهشة حقا أن وجود الحركتين بين المجموعتين المتخاصمتين لم يسبب أى متاعب داخلية بل على العكس أصبحت سيوة أكثر جنحا للسلم كما بدأ سكانها أكثر اعتدالا وميلا لمراعاة تعاليم الاسلام ، لقد راح الفريقان يتباريان فى اظهار طاعتهما وإذعانهما للمبادئ الاسلامية القوية .

زيارة الخديوى عباس الثانى لسيوة :

منذ ايام الاسكندر الأكبر لم يقم حاكم مصرى بزيارة سيوة حتى كان فبراير سنة ١٩٠٤ حينما سافر اليها الخديوى عباس الثانى ، فبعد نجاحه الكبير فى استصلاح الأرض للزراعة فى مريوط قرر أن يبدأ مشاريع مماثلة فى سيوة وبعد أن اتم خبراؤه كافة الابحاث الضرورية عبر عن رغبته فى رؤية المكان بنفسه واعدت الترتيبات اللازمة للزيارة وتكونت قافلته من مائتين وثمانية وعشرين جملا يمتطى معظمها جنود سودانيون من فرقة الهجانة وكذلك اثنين وعشرين جوادا لشخص الخديوى ومرافقيه وثمانية وعشرين فارسا كحرس شخصى [٢٣] . وخلال المسيرة بين مرسى مطروح وسيوة والتى استغرقت سبعة ايام ركب الخديوى جواده احيانا وركب « عربة رمل » صنعت خصيصاً لهذه الرحلة احيانا أخرى ، ولدى وصوله نصب معسكره فى عين راضى (مجاحظ) وهناك استقبل وفدا من رؤساء العائلات وفى صباح اليوم التالى

دخل سيوة ممتطيا صهوة جواده ومحاطا بحاشيته واحتشد اهل سيوة للترحيب بمقدمه واخذوا يحيونه بحماس شديد وتلقى شيوخهم هدايا من عباءات الكشمير كما تلقى كثيرون أخرون أقمشة ونقودا وقدمت المأدب للفقراء والمعوزين ، وزار الخديوى عدة اماكن وقدم اهل سيوة كهدية ثلاثة عيون وما حولها من أراض تسقى بمياهها وهى : عين قريشات أكبر عيون الواحة ، وعين الشفا وحطة تونى ، واصدر الخديوى تعليماته بأن تسجل هذه الممتلكات رسميا باسم ابنه الامير عبد المنعم كما اصدر توجيهاته بأن ترمم الحكومة العيون وأن تساعد السكان بكل وسيلة ممكنة ، وبعد مرور ثلاث سنوات ، وفى عام ١٩٠٧ ، قام الخديوى بزيارة ثانية لسيوة لكى يشهد بنفسه التقدم الذى تم فى القريشات وإبان اقامته امر بانشاء المسجد الكبير الذى يسمى الأن مسجد الملك فؤاد والواقع أن المسجد المذكور بنته الحكومة ولم يسهم فى بنائه اى من عباس أو فؤاد ولما نشبت الحرب عام ١٩١٤ لم تكن جدران المسجد قد تجاوزت مترا واحدا فى الارتفاع وتوقف العمل فى بنائه، وفى عام ١٩٢٨ وبمناسبة زيارته لسيوة اصدر الملك فؤاد تعليماته باتمام بناء المسجد . وأثناء عمليات استصلاح الأراضى وحفر المصارف فى قريشات وبينما كان العمال يحفرون فى جبانتها القديمة اكتشفوا بعض الآثار الصغيرة ومعظمها مصنوع من الزجاج وقد اهدى الخديوى ثمانية منها لمتحف القاهرة [٢٤] وأثناء زيارة الخديوى تلك اهداه احد السكان رأس أسد من العصر الرومانى وكانت داخل أحد جدران مدينة سيوة فاعطاها الخديوى إلى ج . س . فولز الذى كان برفقته[٢٥] .

وكان الخديوى فى زيارته الثانية حريصا على دفع العمل وسرعة انجازة فى قريشات ولما لاحظ أن العمال الوافدين من وادى النيل لايبقون طويلا فى الواحة بل ويهربون من العمل بعد فترة قصيرة عمل على تشجيع السيويين على العمل فى مشروعاته بأن رفع أجورهم من قرش صاغ إلى ثلاثة قروش فى اليوم ، ورغم كل هذه الجهود فان العمل كان يسير ببطء شديد نظرا لعدم توفر الايدى العاملة كما أن نشوب الحرب والغياب الاجبارى للخديوى عن مصر وضعا حدا للمشروع ولاتزال مياه عين قريشات حتى يومنا هذا تذهب هدرا إلى بحيرة الزيتون المالحة .

سيوة اثناء الحرب العالمية الأولى :

فى عام ١٨٤١ زار سيوة السيد محمد السنوسى مؤسس الطريقة السنوسية وهو فى طريق عودته من الأراضى الحجازية إلى بلاده ، فبعد أن قضى شهوراً فى القاهرة استأنف رحلته إلى الغرب صوب الواحة ، ونظراً لأن المرض ألم به هناك فقد أمضى بها عدة شهور للنقاهة انتهزها لارشاد الناس إلى مبادئ الدين [٢٦] وكانت زاويته [٢٧] فى سيوة واحدة من أوائل واهم مراكز الدعوة فى صحراء مصر الغربية .

وفى عام ١٨٥٦ قام السنوسى الكبير بانشاء جامعة اسلامية فى واحة جغبوب كانت الثانية فى افريقيا بعد الأزهر الشريف وقد صارت فى وقت قصير مقرا لتعليم كل اتباع الطريقة وكانت جغبوب حتى ذلك الوقت واحة تكاد تكون مهجورة ، مياهها تميل للملوحة وترتفع فيها نسبة الكبريت وغير كافية الا لرى مساحة صغيرة من الحدائق ، كانت تعتمد على الموءن الواردة اليها من سيوة بدرجة كبيرة نظرا لقربها منها وبمرور الوقت زادت أواصر العلاقة بين الواحتين وساد نفوذ الطريقة السنوسية بين السيويين . ومنذ عام ١٩١١ تحالف السيد أحمد الشريف [٢٨] الذى كان على رأس الطريقة فى ذلك الوقت مع الاتراك الذين كانو يحكمون طرابلس حينما نزل الايطاليون على ساحل ليبيا سنة ١٩١٢ ، وانحاز السيد أحمد الشريف إلى جانب الاتراك إلا أنه حينما نجح الايطاليون فى احتلال الساحل مستقلا إلى حد بعيد داخل بلاده ، ولما نشبت الحرب عام ١٩١٤ كان السنوسى على علاقات طيبة مع مصر كما لم تكن بينه وبين بريطانيا أية خلافات ورغم ذلك فقد كان من الطبيعى ان ينحاز بمشاعره إلى الدولة التركية التى كانت فى حرب مع بريطانيا والتى كانت بدورها محتلة مصر وان تكون مشاعره ضد اعدائه الايطاليين المتحالفين مع بريطانيا .

ووضعت الترتيبات لكى تهدد قوات السنوسى حدود مصر الغربية لشغل أكبر عدد ممكن من القوات البريطانية هناك وقام الاتراك وحلفاؤهم من الألمان بامداد السنوسيين بالاسلحة والذخيرة .

تقدمت قوات السنوسى نحو الحدود المصرية عند السلوم وبدأت هجومها فى نوفمبر سنة ١٩١٥ وترتب على ذلك ان انسحبت الحاميات المصرية والبريطانية من السلوم وسيدى برانى على الساحل وبدأت السلطات المصرية دفاعها بتحصين مرسى مطروح وفى ديسمبر عام ١٩١٥ لقيت قوات السنوسى الهزيمة وفقدت عددا ضخما من جنودها البدو غير المدربين [٢٩] وبعد أن هزمت قوات السنوسى مرة أخرى عند العجاجير بالقرب من سيدى برانى قرر السيد أحمد مغادرة الساحل والتوجه برجاله ليعسكر فى سيوة وتلقت القوة المصرية المكونة من الهجانة والمعسكرة هناك الأوامر بمغادرة الواحة قبل وصول قوات السنوسى . ولكن اهل سيوة ارتابوا فى نياتهم وقرروا الهجوم على القوة الصغيرة والاستيلاء على معداتها وممتلكاتها الشخصية و حينما هاجموا الثكنات كان الجنود قد غادروها بالفعل فأسرع السيويون فى تعقبهم بأعداد ضخمة ولحقوا بهم عند عين راضى واسروا بعضاً منهم وتمكن البعض الآخر من الفرار وحينما وصل السيد أحمد ورجاله إلى سيوة قابلهم السيويون بالترحاب واعلنوا ولاءهم له ، فقد ظنوا أن هذه هى فرصتهم لاستعادة استقلالهم الذى كانوا ينعمون به فى الماضى وللتخلص من النظام والضرائب المفروضة عليهم على مدى قرن تقريباً ، ولكن خاب ظنهم ، فقد اقام السيد أحمد فى قصر حسونة وعين نائبه محمد صالح حرب [٣٠] حاكما على سيوة ، وطلب إلى أهل سيوة أن يضعوا رجالهم ومواردهم تحت تصرف السنوسى ، وانخرط كثير منهم فى القوات وبرهنوا على أنهم محاربين مهرة ورجال شرطة ممتازين . وكان حبهم للنظام وشعورهم بأداء الواجب سببا فى اظهار تفوقهم على البدو ، وقدر رؤساؤهم هذه المزايا فيهم . وفى محادثة خاصة عن تلك الفترة بينى وبين محمد صالح حرب سنة ١٩٤٤ تحدث بتقدير عن قدراتهم الكبيرة ، ومنح بعض اعلام سيوة لقب « بك » كما منح بعض آخر مداليات تركية وعين عدد منهم ضباطاً ، ولكن بعد وقت قصير بدأ السيويون المعروفون بحرصهم الشديد على المال يظهرون استياءهم من دفع النقود او تقديم جزء من منتجاتهم إلى السنوسى ، وابان المشاحنات الناتجة عن تذمرهم لقى بعضهم معاملة خشنة ، وفى ابريل عام

١٩١٦ غادر سيوة شيخ الطريقة ومعه عدة آلاف من البدو والسيويين متجهين إلى الواحة الداخلة مارين بالبحرية والفرافرة واثناء غيابه اشتدت الشكوى بين أهل سيوة من دفع الأموال فعوملوا بفظاظة أكثر وفى بعض الاحيان صودرت ثرواتهم ونجح اتباع الطريقة المدنية ، فرقاء السنوسية ، فى تنظيم محدود النطاق .

وفى نفس الوقت لم يكن الوضع فى الواحة الداخلة فى صالح السيد ولذلك قرر العودة إلى سيوة وجاءته أنباء التمرد وهو فى طريقه اليها ولكن بمجرد وصوله الواحة ألقى المتمردون سلاحهم معلنين ولاءهم لشخصه ولكنهم اشتكوا اليه مر الشكوى من تصرفات رجاله. أما الوضع على الساحل فقد أصبح خطيرا اذ تم الاستيلاء على السلوم وكانت القوات البريطانية تعد نفسها للزحف على سيوة ، وهجر السنوسى كثير من رجاله وفى يناير عام ١٩١٧ بدأ يعده للانسحاب إلى جغبوب وما أن علم ان القوات البريطانية تتقدم بدبابات ومدرعات فى الثانى من فبراير سنة ١٩١٧ حتى اسرع ومعه خمسمائة من رجاله فى الرحيل إلى جغبوب على ظهور الأبل ، أما محمد صالح حرب ومعه الثمانمائة رجل الباقين فقد قرر التصدى للزحف البريطانى عند واحة جربة غير آلاهلة بالسكان ، وقد نجح فى اعاقة تقديمهم لمدة يومين حتى استطاع السيد الوصول سالما إلى جغبوب ، ثم تقهقر بكل رجاله فى الليل ليلحق به. ودخلت القوات البريطانية سيوة فى الخامس من فبراير وقابلهم أهلها بالترحاب وأعلنوا ولاءهم كما هو حالهم دائماً مع كل غاز منتصر . وتركزت قوة صغيرة من الهجانة فى سيوة فى ذلك العام وأصبحت الواحة ضمن مصلحة الحدود التى انشئت حديثاً ، وجعل استعمال السيارات فى الصحراء السفر إلى سيوة امرا ميسورا وبعد نهاية الحرب نال الواحة اهتمام أكبر من قبل الحكومة كما عين الكثير من الموظفين لرعاية مصالح السكان .

زيارة الملك فؤاد لسيوة عام ١٩٢٨ :

فى الرابع عشر من أكتوبر عام ١٩٢٨ بدأ الملك فؤاد رحلته إلى سيوة بالسيارة مستخدما نفس الطريق القديم الذى سلكه من قبل الاسكندر الأكبر والخديوى عباس

الثانى وقضى الليل فى منزل خشبى أعد خصيصا لذلك عند البويب التى تقع على بعد ١٢٥ كم من مرسى مطروح ، ووصل إلى الواحة قبل منتصف نهار اليوم الخامس عشر وكانت الترتيبات لهذه الزيارة الملكية قد أعدت قبل موعدها بعدة شهور ، وحينما وصل الركب الملكى إلى حدود الواحة رافقت السيارات الملكية قوة الهجانة التى امتطى رجالها ظهور ابلهم ، أما الرجال من السكان فقد اصطفوا على جانبى الطريق تحت اقواس النصر المزينة بجريد النخليل وبالزهور على طول الطريق من مشارف المدينة حتى قصر حسونة حيث بنيت استراحة خشبية لهذا الاحتفال ، أما النسوة فقد تجمعن على أسطح المنازل مرتديات خير ما عندهن من الملابس واشتركن مع الرجال فى تحية البلاد بين دوى المدافع بينما كانت فرقة عسكرية تعزف النشيد الوطنى .

وأثناء احتفال صغير ساعة الاصيل تم اطلاق سراح ابنى عثمان حبوب فعم الفرح عائلات الغربيين [٣١] ، وأنعم على المشايخ ورؤساء العائلات بحلل الشرف وقدم جلالته لكل واحد منهم ساعة ذهبية كما وزع كميات ضخمة من الملابس وحرر النقود على الفقراء وذوى الفاقة وفى المساء اقيمت عروض الالعاب النارية كما اقيم عرض سينمائى لأول مرة بالواحة ، وقام اهل سيوة بالرقص والغناء وعزف موسيقاهم التقليدية ، وفى صباح اليوم التالى استعرض الملك قواته واجتمع بالمشايخ ورؤساء العائلات ثم أرسى حجر الأساس لمستشفى وبعض الابنية الحكومية وبعد الظهيرة زار البقايا الاثرية لمعبد أم عبيدة واستمع إلى شرح الدكتور برشيا Breccia مدير متحف الاسكندرية فى ذلك الوقت وبعد ذلك قام بزيارة لحديقتين احداهما تخص الغربيين والأخرى تخص الشرقيين وفى المساء نصب اتباع الطريقتين السنوسية والمدنية حلقات الذكر وغادر الملك فؤاد واحة سيوة فى فجر اليوم السادس عشر بين اطلاق نيران المدافع وهتافات السكان الذين اصطفوا على جانبى الطريق حتى مشارف المدينة وصاحبت فرقة الهجانة السيارة الملكية ، ووصل الملك السلوم قبل منتصف اليوم السابع عشر من نفس الشهر حيث كانت تنتظره فى الميناء « المحروسة » احدى

اليخوت الملكية وبعد اجراء مراسم احتفالات الاستقبال اثناء النهار أبحرت المحروسة فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى فى طريقها إلى الاسكندرية .

كان لزيارة الملك فؤاد لواحة آمون نتائج طيبة فقد أعطى أوامره لاتمام بناء المسجد الذى كان قد بداه الخديوى عباس ، كما اصدر اوامره ببناء اسوار حجرية حول العيون الجارية وبذل كل جهد لترشيد أهل الواحة إلى أفضل فنون الزراعة الحديثة ومساعدتهم فى بيع محصولاتهم من البلح والزيتون . وقام بعض المختصين من وزارة الزراعة الذين وصلوا فى أعقاب الزيارة ببناء عصارة زيت حديثة ومصنع يستخدم أحدث الوسائل الصحية لتعبئة وتغليف البلح ، ونال التعليم قسطا من العناية ايضا فقد أنشئت مدرسة كذلك وجهت العناية إلى النواحى الاخلاقية اذ حينما علم الملك ان بعض اهالى الواحة لايزالون يمارسون بعض العادات التى يحرمها الدين ولاترضاها القيم الاخلاقية المتعارف عليها وان الكثير من الخرافات منتشرة بين السكان امر بايفاد واعظ دينى إلى سيوة ليقيم فيها وليكون إماماً لمسجدها .

وقد اسهمت زيارة الملك فؤاد وزيادة اهتمام الحكومة بشئون الواحة وزيادة استخدام السيارات ، اسهم كل هذا فى الاسراع بتمصير الواحة كما لم يحدث من قبل ، ومع ذلك ظل السيويون المحافظون متمسكين بلغتهم وتقاليدهم الأصلية إلى حد كبير ، حقا انهم لم يكونوا يبدون عداوة تجاه الزوار ، ولكن بينما كان شيوخهم الذين يئتمون إلى جيل الثلاثينات يبذلون ما فى وسعهم للترحيب بالموظفين الحكوميين وبزوار الواحة ، فقد كان الأهالى يلتزمون جانب الحذر ونادرا ما شجعوا الاغراب على دخول منازلهم والاختلاط بأى طريقة بنساء عائلاتهم .

ولايمكننى أن انهى هذا الفصل عن تاريخ سيوة دون أن أشير إلى موضوعين ، اولهما هو تاريخ سيوة اثناء الحرب العالمية الثانية ، وثانيهما يدور حول زيارة ملكية رابعة للواحة عام ١٩٤٥ .

سيوة اثناء الحرب العالمية الثانية :

حينما نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر من سنة ١٩٣٩ كانت سيوة تنعم بفترة من السلام كما كانت كل الأمور فيها تسير على مايرام ، واذكر بمزيد من الاغتباط انني قمت بزيارة الواحة في سنة ١٩٣٨، ١٩٣٩ ، وحتى فى الشهور الأولى من سنة ١٩٥٠ واذكر كيف استمتعت كثيرا بعملى هناك بيد أن الموقف بدأ يتغير حينما أشيع ان الايطاليين والالمان يعدون العدة لمهاجمة مصر من الغرب . وقد تمركزت قوات كافية من جيوش الحلفاء على الساحل ولاسيما عند مرسى مطروح ، وتقرر حينذاك وضع بعض القوات فى سيوة لمواجهة احتمال أن تحاول قوات المحور احتلال الواحة ، وبمجرد وصول هذه القوات حرصت السلطات العسكرية على عرقلة زيارة المدنيين للواحة .

كان معظم القوات المتمركزة فى سيوة فى الشهور الأخيرة من عام ١٩٤٠ من المصريين مع بعض وحدات استرالية ونيوزيلندية وبريطانية ، وكانت مهمتها حراسة الواحة واتخاذ كل التدابير نحو حمايتها ، وقد قصف الايطاليون سيوة مرارا بالقنابل من الجو مما اضطر السكان إلى هجر منازلهم ووجدوا ان مقابر جبل الموتى الصخرية هى أفضل الأماكن لحمايتهم وحماية عائلاتهم من الخطر . وشغل الذين تحركوا مبكرا منهم المقابر التى كانت مفتوحة من قبل ، أما الآخرون فقد قاموا بحفر كهوف على جوانب التل ، وتمخض الأمر عن العثور على عدد كبير من الموميات والأشياء القديمة الأخرى .

وفى ديسمبر سنة ١٩٤٠ تم تعيين العقيد « باظر » Bather وهو أحد الضباط البريطانيين فى مصلحة الحدود كضابط سياسى وقد أحضر معه إلى القاهرة بقايا بعض التوابيت الرومانية اللمذهبة واهداها إلى القصر غير أن الملك فاروق أمر باهدائها إلى المتحف المصرى ، وبفحص هذه الآثار ومما علمته من باظر عن العثور على مقابر مزخرفة ، طلبت التصريح لى بالذهاب إلى سيوة لفحصها ، وطلب منى أن اوقع على أوراق أتعهد فيها بتحملى مسئولية هذه المخاطرة وأن أحدا لن يتحمل مسئولية اذا

لقيت مصرعى ، وقد وجدت معظم العائلات تعيش فى جبل الموتى وكانت المقابر الصخرية مكتظة بالرجال والنساء والأطفال إلى جانب الدجاج والحيوانات المستأنسة وغيرها ، والكل يعيش معا .

تبين أن تقرير باظر صحيح . فقد كان بين عشرات المقابر الصخرية المكتشفة حديثا ، ثلاثة تحوى كتابات بما فى ذلك مقبرة « سى آمون » وأفزعنى كثيرا أن أجد أعداداً من الجنود تتردد على هذه المقبرة ، وفى مقابل قروش قليلة يدفعها الجنود إلى الأسرة التى تعيش فيها كان يسمح لهم بقطع اى جزء من المناظر المصورة ليأخذوه إلى بلادهم كهدايا تذكارية ، وقد استمر الحال على هذا المنوال لحوالى شهرين مما تسبب عنه تخريب وتشويه أفضل المناظر ، واضطررت اخيراً إلى مغادر الواحة قبل الانتهاء من عملى فقد كان هناك اعتراض على الاقامة المطولة لذلك الأثرى الذى ، طبقا لعقلية السلطات العسكرية فى كل من القاهرة وسيوة ، يشغل نفسه بعمل لا قيمة له ويمكن تأجيله حتى تضع الحرب أوزارها وهكذا لم أقم هناك اكثر من اسبوعين (من ٥ يناير سنة ١٩٤١ حتى اليوم العشرين من نفس الشهور) . وقد استفاد السيويون اقتصاديا من وجود القوات العسكرية وكون الكثيرون منهم ثروات طائلة .

فى نفس الوقت كانت المعارك على الساحل تزداد حدة وباقتراب صيف ١٩٤٢ كان الهجوم على مصر متوقعا فى أى لحظة ولكن لسبب ما تقلت القوات التى رابطت فى سيوة لمدة عامين بغرض الدفاع عنها ، أوامرها بمغادرة الواحة وفعلا رحل آخر جندى فى الثلاثين من يونيو تاركين الواحة لتواجه مصيرها دون مؤن كافية لسد حاجة السكان الذين صاروا فى معزل وسط الصحراء لاكثر من شهر كامل ، وبعث المأمور رسالة عاجلة إلى الواحة البحرية فى التاسع عشر من يوليو بواسطة رسول على ظهر جمل طالبا المدد وخمسة من رجال الشرطة حيث كانت المجاعة تهدد سكان الواحة .

وفى اليوم التالى ، صبيحة العشرين من يوليو ، هبطت طائرتان ايطاليتان صغيرتان فى مطار بالقرب من الاستراحة وخرج منها ثلاثة ضباط واتجهوا إلى مركز الشرطة ولم

يبد أحد مقاومة بل ان التقارير التى نشرت فيما بعد توضح أن المأمور أرسل السيارة الحكومية لاحضارهم إلى مكتبه[٣١] ، وأخطر الضباط المأمور بأن القوات الايطالية فى طريقها إلى سيوة من جغبوب وفى الساعة الواحدة بعد الظهر وصل « لوريان » محملان بأربعين جنديا وأربعة ضباط ، وعلى الفور ، وبحضور المأمور وكل المشايخ قاموا برفع العلم الايطالى إلى جانب العلم المصرى فوق مركز الشرطة ، وأعلن قائد القوة ، عن طريق المترجم الذى كان معه ، أن الايطاليين قدموا إلى سيوة كمحاربين وليست لديهم نية التدخل فى الادارة ، وبعد ثلاثة ايام أخرى بدأت قوات اضافية فى الوصول إلى المنطقة حتى بلغ عدد القوات ما يزيد قليلا على الفين من الايطاليين ، أما الالمان الذين كانوا معهم فكانوا يتكونون من وحدة من العربات المدرعة بينهم ما لا يزيد عن عشرة ضباط . وقامت القوات الايطالية باحتلال الثكنات التى كانت تحتلها قوات الحلفاء من قبل وكذلك بعض منازل السكان .

والواقع أن اهل سيوة استفادوا من الايطاليين ، ولم تكن هناك أية شكوى جديدة من سلوك الجنود الايطاليين منذ قدومهم حتى رحيلهم ، وفى اليوم الواحد والعشرين من سبتمبر زار سيوة المشير رومل واستقبل رسميا ليس فقط من جانب القوات ولكن ايضا من جانب المأمور وجميع المشايخ الذين دعوه إلى تناول الشاى فى أحدى الحدائق ، وفى نهاية الزيارة التى استمرت بضع ساعات فقط أهدى روميل إلى المشايخ صندوقين من الشاى يبلغ وزنهما ثلاثة ونصف كيلو جراما وعشرة آلاف ليرة ايطالية .

وحينما وصلت الانباء المشئومة عن نتائج معركة العلمين إلى قوات المحور قرر الايطاليون الانسحاب إلى جغبوب دون قتال ، وقبل رحيلهم عرضوا بيع الفائض عن حاجتهم من المؤن إلى السكان واعلنوا فى نفس الوقت استعدادهم لاستبدال أى قدر من الليرات الايطالية التى قد تكون فى حوزة السكان مقابل جنيهات مصرية وانجليزية ، وقد بلغت جملة هذه المبالغ عشر الف جنيه، وفى الثامن من نوفمبر غادرت الواحة آخر قوة ايطالية بعد فترة احتلال استمرت ثلاثة شهور وثمانية عشر يوما .

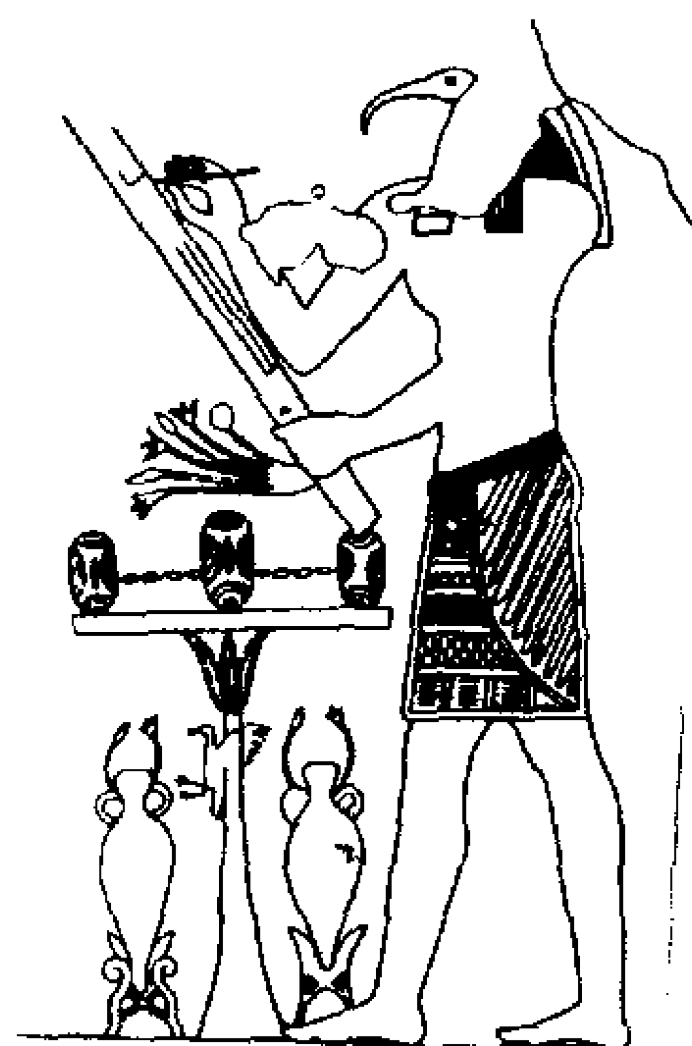
زيـــارة المـــلك فـــاروق لســـيوة :

بعد هزيمة قوات رومل فى العلمين ، لم يعد الساحل والصحراء الغربية مهددين بوجه عام واستأنف أهل سيوة وباقى الواحات حياتهم الطبيعية ، وفى عام ١٩٤٥ قام الملك فاروق ومعه عدد قليل من أصدقائه برحلة إلى الواحات فى قافلة مكونة من ٢٤ سيارة قوية ومجهزة جيدا . وبدأ الركب من القاهرة فى ٤ يناير وعاد فى ١٤ من نفس الشهر ، وقد ذهب الملك أولا إلى الواحة البحرية حيث أمضى ليلة بها ثم توجه إلى سيوة ومكثت فيها يوما واحدا ، وحتى ذلك الوقت كان الناس لايزالون يرددون ماسمعوه من آبائهم عن زيارات الملك فؤاد والخديوى عباس وكيف انبهر أهل الواحة بوقار وعظمة الملك فؤاد وبجمال ملابس حاشيته وحرسه الخاص ولايزالوا يذكرون الهدايا القيمة التى منحها إلى رؤساء العائلات وكذا الاقمشة والنقود التى وزعها على الفقراء .

وحين علم المشايخ أن الملك فاروق وصحبه قد وصلوا إلى الواحة وانهم يقيمون فى الاستراحة الحكومية اسرعوا للترحيب به ، واندفع كل منهم ليرتدى أبهى ثيابه ، فارتدى المسنون منهم أجمل ثيابهم التى يعدونها عادة للمناسبات الكبيرة وحملوا السيوف التى كان قد أعطاهم اياها الملك فؤاد منذ سبعة عشر عاما .

ولكنهم عندما وقفوا أمام الملك لم يصدقوا أعينهم ، فقد اختلفت الصورة التى رسمتها آذهانهم عن ذلك الشاب الفتى عما رأوه فى هيئة الملك الضخم الذى وقف أمامهم مرتديا بنطلونا قصيرا وبسيطا مفتوحا . وقد أصغى إلى عبارات التحية التى القاها نيابة عنهم الشيخ مهدى أبو جيرى شيخ أغورمى وأكبرهم سنا ، ثم شكرهم عما اذا كانت لديهم اية طلبات يطلبون من الحكومة أن تحققها لهم ورد الخطيب بقوله أن افضل خدمة يمكن تقديمها إلى سيوة وسوف تفيد كل فرد فيها هو رصف الطريق بين مرسى مطروح وسيوة وأمر الملك أحد الموظفين الذين كانوا واقفين إلى جواره أن يأخذ ملحوظة بذلك ، ثم تحدث اليهم سائلا عما اذا كان صحيحا أن من اهل سيوة لايزالون يمارسون رذيلة معينة ، وطأطأ الشيوخ رؤوسهم ولم ينبس واحد منهم ببنت شفة ، واخيرا غادروا الاستراحة دون أن يتلقوا شيئاً من الهدايا .

وحينما كان يأتى ذكر هذه الزيارة فيما بعد كان المشايخ المعروفون باتزانهم وتكتمهم لايقولون عنها الا قليلا ، وربما لايزيد أقسى تعليق لهم عن أن الملك لايشبه أياه وقد صرح لى أحد المشايخ حديثى السن فى عام ١٩٤٦ ، والذى كنت أعرفه جيدا وتعودت منه الصراحة ، أن فاروق « لايشبه الملوك ولايتصرف مثلهم » ، فان السيويين المحافظين لم يفهموا أن الزمن قد تغير وان زيارة الملك فاروق لسيوة لم تكن زيارة رسمية . وكنت أجول بخاطرى أحيانا : هل كانت خيبة أملهم راجعة إلى أن ماتصوروه اختلف عما رأوه وسمعوه أم أنها راجعة إلى أنهم لم يتلقوا ما توقعوه من هدايا ؟ .



الفصل الخامس
آثار سيوة

ان أهم ما يجذب اهتمام اغلب من يزورون سيوة هو شهرتها الواسعة فى العصور القديمة ورغبتهم فى مشاهدة ما عداه أن يكون فيها من آثار . صحيح أن يد الزمن القاسية وجهل السكان وتعصبهم والاثر السئ للأملاح على التربة ، كلها تعتبر مسئولة إلى حد بعيد عن حالة التلف والدمار التى حاقت بالاثار فى الواحة إلا أن ما تبقى منها يستحق عناء الزيارة فأى مكان يقصده سيجد الزائر بقايا تذكره بماض عريق كما انه ينعم باقامة فى الواحة رغم ما قد ينتابه من اسى على ما آلت اليه أحوال الاثار نتيجة لما تعرضت له من اهمال كامل واتلافات مستمرة .

وأود الا ينتظر القارئ ان يجد فى هذا الكتاب وصفا مفصلا لكل منظر على كل جدار من جدران المقابر والمعابد ، فهذه المعلومات يمكن الحصول عليها من المؤلفات التى تتناول آثار سيوة كموضوع رئيسى ، ولكننى أمل ان اقدم للقارئ وصفا كافيا للاثار الاساسية التى تحتمل زيارتها أكثر من غيرها [١] .

وهذا الفصل عبارة عن مسح لكل المواقع القديمة فى سيوة وحولها بما فى ذلك الواحات غير المأهولة بين سيوة والبحرية أما معبد الوحى ومعبد أم عبيدة ومقابر جبل الموتى فسوف تتناول الفصول التالية .

الاماكن الاثرية فى سيوة : نظرة عامة :

يقع المركز القديم لمدينة سيوة فى أغورمى متحلقا حول الصخرة القائمة هناك والتى يقوم فوقها معبد الوحى أما منازل المدينة فقد كانت متناثرة حولها وكان يوجد هناك بدون شك هياكل أخرى للاله آمون وربما لآلهة أخرى إلا انه لم يعثر بعد على أى

منها وذلك فيما عدا بقايا ثانى أكبر المعابد فى الواحة والذى لايزال قائما وسط حدائق النخيل على مقربة من الصخرة ، هذا هو معبد أم عبيدة ، وسوف نتناول هذين الاثرين بالاضافة إلى مقابر جبل الموتى بدراسة أشمل كما سبق ذكره .

تعتبر هذه الأماكن الثلاثة اهم المواقع الاثرية فى سيوة بلا أدنى شك ويمكن زيارتها بسهولة نظرا لانها قريبة من الاستراحات الحكومية وأن كانت لاتزال هناك مواقع آتية أخرى وبقايا معابد متناثرة فى أنحاء الواحة ، وبهم دارسى التاريخ ومحبى الآثار أن يعرفوا أماكنها وان يحصلوا على بعض المعلومات عنها .

عـــــين الشـــــمس :

قبل أن اترك مدينة سيوة لابد لى ان انوه بمواقع قريبة من المدينة واحدة منها تسمى « عين الجوبة » وتقع بالقرب من معبد أم عبيدة وهى العين المشهورة باسم « عين الشمس » والذى ذكرها هيرودوت وغيره من الرحالة القدماء ، وهى تعتبر من أجمل عيون الواحة .

جـــــبل الدكـــــرور :

يقع جبل الدكرور على بعد نحو خمسة كيلو مترات جنوب مركز المدينة ويتميز الجبل بجوه الصحى وتتوفر فيه المياه العذبة ومنذ ثلاثين سنة خلت كان أهل سيوة متعودين على قضاء بضعة أيام هناك أثناء اكتمال البدر فى شهر رجب ، فكانوا يقيمون الخيام لهذا الغرض على سفوح التل الرملى ويعتبرون أقامتهم هناك بمثابة أجازة يأكل فيها كل فرد رجلا أم امرة — أكبر قدر ممكن من الثوم اعتقادا منهم ان هذا سيوفر لهم مزيدا من الصحة على مدار العام ، ولم تعد هذه العادة متبعة فى الوقت الراهن وان كانت رمال هذه المنطقة لاتزال يجرى استعمالها كوسيلة للعلاج من آلام الروماتيزم ، وهناك أشخاص معينون متخصصون فى دفن اجسام اولئك الذين يعانون من هذه الآلام فى الرمل حتى رقباتهم لبض ساعات وبينما توقى الرأس من حرارة الشمس القوية تمتص الرمال الساخنة مايفرزه الجسم من عرق .

وفى جبل الدكرور توجد مقابر منحوته فى الصخر والمقبرتان اللتان يسهل الوصول اليهما كبيرتا الحجم ، وقد نحتت واحده منهما فى وسط التل وبها ستة أعمدة وفتحتها تتجه ناحية الغرب ، أما جدرانها فهى خالية من اية رسوم او نقوش وأن كان بعض الزوار الذين ذهبوا اليها حديثا قد كتبوا أسماءهم على الجدران . وبالقرب من قمة التل توجد مقبرة أخرى منحوتة فى الصخر وفتحتها تتجه نحو الشمال وبها اربعة أعمدة على شكل البردى أما اسطواناتها فقد ضاعت نتيجة لعمليات التحجير ولم يبق إلا اجزاء من تيجانها التى يتخيل اهل سيوة انها تشبه العمامات الكبيرة ، وقد هيأ هذا الشكل جوا لإختراع قصص كثيرة عن كنوز لازالت مخباة هناك . وفى مواجهة هذه المقبرة وإلى اليسار من الممر ، توجد كتابات يونانية فى ثلاثة اسطر .

وهذه المقابر اكبر حجما من مقابر جبل الموتى كما تختلف عنها فى تصميمها وهناك احتمال كبير بوجود مقابر اخرى ، ويعود تاريخها إلى العصر البطلمى أو إلى ما هو أقدم من ذلك ، وبالقرب من قمة التل توجد طبقة من الحجر الجيرى التى كانت تستخدم فى الازمنة القديمة كمحاجر وبذلك تعتبر احد الاماكن التى كانت تقطع منها الاحجار لبناء بعض المعابد الموجودة فى هذه الواحة ، أما المحاجر الأخرى فتوجد فى منطقة بلاد الروم .

وبامكان الزوار أن يشاهدوا بعض الفتحات على جوانب التل بالقرب من المدينة ومعظمها عبارة عن مقابر خالية من النقوش وترجع إلى العصر الرومانى ، وحيث أن هذه المقابر كانت مدافن السكان فى المدينة فان العاصمة القديمة كانت قائمة فى موقع أغورمى الحالى . ومع كل فان كثيرا من الفتحات الموجودة على جوانب التل قام الفقراء من السكان بنحتها للاقامة فيها سواء فى الازمنة القديمة والحديثة ، اذ أن عملية نحت الكهوف وتوسيعها للعيش فيها من الامور التى كانت تحدث فى العصور القديمة فى انحاء كثيرة من العالم ولازالت مستمرة حتى الآن فى كل مكان تقريبا . وهذه الحجرات المنحوتة فى الصخر تزود الناس بالمأوى فى فصول السنة الباردة كما انها بادرة نوعا ما فى فصل الصيف .

وهناك مقابر أخرى قديمة منحوته على جانب المرتفع المسمى قصر حسونة الذى اقيمت عليه استراحة الملك فؤاد عام ١٩٢٨ ، وحينما حضر السنوسى الاكبر إلى سيوة عام ١٨٣٨ قرر الاقامة فى واحدة من هذه المقابر واستخدم مقبرة قريبة كمكان للصلاة وقد قام السنوسى بنحت المحراب بنفسه فى صخورها وكان يقضى فيه معظم ساعات النهار وقسطا كبيرا من الليل يقيم الصلاه ويعظ الناس ، ومع هذا فلا يجرؤ واحد من أهل سيوة على قضاء الليل فى ذلك المكان اذ انهم يعتقدون انه اذا نام شخص فيه ثم يقترف خطئية بعد ذلك حتى ولو كانت مجرد اكذوبة صغيرة حل به النحس . ان المكان الطاهر الذى ، كان مخصصا لتعبد رجلهم الصالح لايمكن فى عرفهم ان تدنسه قدم خاطئ .

المواقع الاثرية إلى الغرب من مدينة سيوة :

فى طريقنا إلى حطية خميسة نمر على موقعين من مواقع المقابر القديمة المنحوتة فى الصخر ، وفى الموقع الأول المسمى « غيط أبو منصور » توجد ثمانية وعشرون مقبرة منحوته بالقرب من قمة المرتفع ويلاحظ أنه لاتوجد اية زخارف فى أى منها كما ان اللصوص دخلوها وعبثوا بمحتوياتها وبذلك تناثرت بداخلها العظام وقطع الاكفان وكسر الأوانى ، أما المجموعة الثانية فتوجد فى حطية زاوة التى تقع على بعد حوالى كيلو مترين جنوب عين خميسة واحدى هذه المقابر اكبر حجما من الاخريات وبها عمودان مربعان .

خميســـــة:

تعتبر حطية خميسة من اخصب بقاع سيوة ، وبها أجود حدائق الزيتون كما تشتهر بالمحاصيل الأخرى وبالرغم من ذلك فان ملاك الأرض الأثرياء لايقيمون فيها وانما يمتلكون منازلهم فى المدينة ، أما المنازل الموجودة فى خميسة فهى تخص العمال وإلى جانب هذه العين نجد معبدا حجريا مهدما وجدراته غفل من اية رسوم أو نقوش . وعلى حافة الحدائق تجد مرتفعا يسمى خميسة ، ورغم انه لم تنحت مقابر فى

جوانبه فان الاهالى يعتقدون ان كنز الملكة خميسة مدفون هناك ، وفى أعلى هذا المرتفع توجد فتحة يبدو أن الباحثين عن الكنز هم الذين نحتوها . ويوجد مرتفع آخر على بعد حوالى كيلو متر واحد إلى الغرب وبه نحو مائة وخمسين مقبرة صغيرة منحوتة فى الجانب الجنوبى ، وهى الآن تدعى مشندد بينما كانت تعرف فى القرن الماضى باسم خميسة وهو الاسم الذى ورد فى كتب رحالة القرن التاسع عشر .

وإلى الجنوب من خميسة وعلى بعد خمسة كيلو مترات من جبل اميلال يوجد مكان يسمى المعصرة توجد بالقرب منه بوابة حجرية وجزء من حائط دائرى وهذا هو المكان الذى عثر فيه رولفس عام ١٨٦٩ على تمثال صغير من المرمر على هيئة كبش يرجع تاريخه إلى العصر الرومانى [٢] وقد أهداه لمتحف برلين . وقد ورد ذكر هذا المكان فى مخطط سيوة باسم باب المدينة اما المدخل فهو فى جدار دائرى ضخم يحيط بمملكة ملكة تدعى بليسه ، ويضيف المخطوط ان الاسم القديم لباب المدينة قد حل محله اسم المعصرة .

بـــــلاد الـــــروم :

ثمة منطقة أخرى هامة تقع إلى الغرب من خميسة بها مقابر وبقايا من مبان عند سفح التل ، ويعتقد السيويون انها مكان كنيسة [٣] ، وعلى مسافة غير بعيدة توجد بقايا معبد الحجر وعلى مقربة من المعبد توجد المحاجر التى كانت تقطع منها الاحجار (انظر الشكل ٣١) .

كان هذا المعبد قائما فى القرن الماضى حتى عام ١٨٦٩ على الاقل حينما زاره ، رولفس وقد وصفه كايو بشئ من التفصيل ذاكرا أنه من أجمل الآثار التى رآها فى الواحة [٤] . غير أنه تهدم حتى صار الآن كومة من الركام ، وهو نفس المعبد الدورى الطراز الذى ذكره الرحالة الأوائل ، وواجهته تتجه نحو الجنوب ويتكون من ثلاثة ابهاء تتقدمها صالة أعمدة طولها أربعة وثلاثين مترا ، أما المعبد نفسه فكان طوله خمسة وعشرين مترا ، وكانت المداخل إلى هذه الابهاء مزينة بالنقوش إلا انه لم توجد نصوص

على الجدران ويرجع تاريخ المعبد فيما يرجح إلى القرن الأول الميلادى وليس إلى العصر الرومانى المتأخر وتزدان مداخل بعض هذه المقابر الصخرية بزخرفة الكورنيش ، كما توجد فى المحاجر كتل لم ينته العمل فيها من بينها تاج لعمود ، وتدل دراسة هذه المحاجر على أن كميات ضخمة من الأحجار ، أكثر مما كان مطلوباً للمعبد الدورى ، كانت تستخرج منها . ويلاحظ أن الأحجار الموجودة هناك تعتبر من أجود الانواع ، وتشير هاتان الحقيقتان إلى أن الأحجار التى استخدمت فى بناء بعض معابد آمون فى قلب الواحة قد قطعت هنا ، كلما كان الأمر مع محاجر الدكرور .

منطـــــــقة المراقـــــــى :

تحتل منطقة المراقى الجزء الغربى من المنخفض ، وكانت مشهورة بخصبها فى العصور الوسطى ، ولاتزال مشهورة بجودة مراعيها ، ومعظم سكانها فى الوقت الحالى من البدو من قبيلة الشهيبات الذين يقيمون فيها بقطعانهم وبين ظهرانيهم يسكن قليل من أهل الواحة .

ولابد أن هذا المكان كان كثيف السكان فى الازمنة الرومانية اذ ان عددا كبيرا من التلال تتناثر فيه المقابر المنحوته على جوانبها وهذه الحقيقة تثبت أنه كان هناك عدد كبير من السكان الذين عاشوا فى المراقى لوقت طويل ، ومن أهم هذه الأماكن نذكر قارة الوزيدى ، والزاوية ، والجلاتى ، وأبو ماضى وغرغرت ، وحطية عبد الجبار ، وأخيرا قويرة شيزة ومن بين كل هذه الأماكن فان حطية غرغرت هى المكان الوحيد الذى أحتفظ باثار قديمة حيث نجد بقايا مبنى حجرى ، ولم يترك الباحثون عن الكنوز حجرا منه فى مكانه ولذلك لا يمكن التعرف على تخطيطه. وتبلغ المسافة بين مدينة سيوة وأبعد المواقع فى هذه المنطقة نحو اربعة وثلاثين كيلو مترا .

ومن مخطوط سيوة نعلم أنه كانت هناك ثلاثون عينا فى خميسة ولكن ما تبقى منها صالحا للاستعمال قليل جدا كما أن مياهها تذهب هباء اذ أنها تصب فى البحيرات المالحة فى خميسة والمراقى وأغلب هذه العيون القديمة تملاها الرمال

ويبدو أن هذه المنطقة استمرت مزدهرة بعد العصر الرومانى ، اذ يشير المقريزى الذى وضع مؤلفاته الشهيرة فى القرن الخامس عشر الميلادى ، إلى هذه المنطقة فى أحد كتبه (الخطط) حيث يذكران « مدينة » مراقية (أرض المراقى) تقع عند نهاية الحدود المصرية وبعدها تبدأ أرض انتابلوس [٥] على بعد بريدين أى (أربعة وعشرين ميلا) من مدينة سنتريه. ويصفها المقريزى بأنها بلاد واسعة تحتوى على عدد كبير من أشجار النخيل وأراضيها خصبة وعيونها جارية كما أن فاكهتها من أجود الأنواع . ثم يضيف قائلا أن الحنطة كانت تجود زراعتها فيها كما أن سكانها كانوا يزرعون الارز ويمتلكون الكثير من الحدائق . وفى القرن العاشر (شهر شوال سنة ٣٠٤هـ . أى عام ١٩٢٢م) حسب رواية المقريزى ، ترك أهل مراقبة موطنهم وهاجروا إلى الاسكندرية خوفا من هجمات حاكم برقة الذى احتل أراضيهم . ويضيف المقريزى أن أحوال المنطقة تدهورت بعد ذلك رغم انها حتى ايامه كانت لاتزال مأهولة . وفى عام ١٩٥٠ بدا « التفتيش العام لرى الصحارى » فى تنظيف وتطهير العيون القديمة فى تلك المنطقة والتى سدتها الرمال ومن بينها عين مركيدة ، وكان الهدف من ذلك البدء فى مشروع تجريبى لاستصلاح الأراضى وتجفيف جزء من البحيرات المالحة فى خميسة والمراقى غير أنه لسوء الحظ لم يستكمل المشروع [٦] .

المواقع الأثرية شرقى مدينة سيوة :

يبدو ان الأراضى الزراعية فى الجزء الشرقى من المتخفض كانت أوسع منها على الجانب الغربى ، كما كانت المدن الصغيرة أكثر ازدحاما بالسكان ، وهنا نجد أربعة مواقع هامة هى : قريشات ، أبو شروف ، أبو العواف ، والزيتون .

منطـــــقة قريـــــشات :

تحدثنا عن عين قويشت فى أماكن متعددة من الفصول السابقة ، ورغم أن مياهها تضيع هدرا فى الوقت الحالى فان الأمر كان مختلفا فى الأزمنة القديمة لاسيما اثناء العصور البطلمية والرومانية .

قـــــصر الغـــــشام :

على مقربة من العين يوجد موقعان اثريان يبعد أحدهما عن الآخر بحوالى مائة متر أولهما عبارة عن بقايا معبد حجرى يرجع تاريخه، فيما يحتمل، إلى الفترة الاخيرة من العصر البطلمى . وفى عام ١٩٠٠ ، حينما زار شتيندورف هذه الواحة كانت جدران المعبد لاتزال قائمة ، وقد نشر صورا لها (٧) وذكر أن المداخل كانت منقوشة بمنظر يمثل قرص الشمس وعلى جانبيه حيتان . ولاحظ كذلك أن عمارته حوت كلا من العنصرين اليونانى والمصرى ، وعندما زرت هذا الموقع بعد ذلك بثمانية وثلاثين عاما لم اجد أكثر من بضع كتل حجرية ، وفى عام ١٩٧٠ لم يكن باقيا هناك شئ تقريبا . وكل مانراه الآن عبارة عن كومة من التراب وادلة على الحفر غير المشروع فى كل مكان خاصة فى المنازل القديمة التى تحيط بالمعبد .

وفى المكان المجاور الآخر توجد بقايا مبنى من الطوب اللبن يحتمل أنه كان قلعة أو منزلا ضخما ، أما الجبانة القديمة فلا تبعد كثيرا ، وقد ورد ذكر هذا الموقع فى مخطوط سيوة حيث نقر أسطورة عنه، فطبقا لما يرويه المخطوط كانت قريشات مقر اقامة ملك يسمى « الغشام » الذى امتد سلطانه من هذا المكان حتى حطية أرسنين (٨) . وتربة آرسنين (وهو مكان غير معروف) تتميز بلونها الأصفر ، وتحتوى على كثير من الأحجار التى عندما تنكسر يظهر بداخلها مادة تشبه معدن الذهب . ويتحدث المخطوط أيضا عن تل يقف وسطه تمثال رجل لايمكن الوصول اليه لا من على التل ولا من أسفله، وفى هذا التل كانت توجد عين صغيرة تنحدر مياهها على الأرض فوق الذهب ، ولكن أحدا لن يستطيع رؤية التمثال أو يحدد مكان العين المذكورة إلا اذا شرب من مياه عين خاصة فى حطية أرسنين ، واذا لم يستطع الشرب منها فلن يتمكن من رؤية شيء على الاطلاق . وكان الاستجمام الخاص بالملك يوجد فى « العواف » وكانت حدائقه فى « الزيتون » وابو شروف « والنقب » و« المعاصر » « وتميرة » .

لنترك الآن موضوع التمثال وسط التل ، والعين والذهب بداخل الأحجار إلى اولئك الذين يهتمون بالبحث عنه، ولنتجه إلى وصف الاطلال التى لازالت موجودة فى بعض الأماكن التى قيل انها حدائق ذلك الملك الاسطورى .

أبـــو شـــــــروف :

بعد زيارة اطلال قريشت يكون الموقع التالى هو القرية الصغيرة المسماه « أبو شروف » التى لايزال قائماً بل معبد حجرى مختفيا وسط المنازل المبنية من الطوب اللبن وباتجاه الشمال ، توجد عدة حجرات فى حالة جيدة ، وإلى يمين المدخل (أنظر شكل ٣٢) يوجد ممر صغير فى جداره فجوة ، يوصل إلى درج يؤدى إلى السطح . وتواجه هذا الممر كوة على أرتفاع ١٫٢٠ سم فوق الأرض ومقاييسها ٧٠ × ٥٠ سم وكان يوضع بداخلها تمثال الأله المعبود فى المعبد وكانت كافة الجدران مكسوة بطبقة من الجص ولكن لم تبق اية نصوص أو رسوم ، ولايمكننا حتى القول انها كانت موجودة أصلا ، ومعظم أحجار السقف المقبى لاتزال فى مكانها ، أما المداخل إلى الحجرات الأربع فارتفاع واحدها ٦ر١م ويزينه الكورنيش المصرى عند السقف ، وشأن هذه الأثار شأن مثيلاتها فى غرب سيوة يمكن ارجاعها إلى الفترة ما بين القرن الأول ق.م . والنصف الأول من القرن الثالث الميلادى .

على بعد نحو ١٠٠ متر جنوبى المعبد توجد جبانه عبثت بها ايدى العابثين ، وعلى بعد ثمانين مترا جنوبى الجبانة يوجد مكان قديم باستطاعتنا ان نرى فيه بقايا مبنى حجرى صغير يكاد يختفى تماما تحت الانقاض .

مقاصـــير مقابـــر أبـــو العـــواف :

أن موقع أبو العواف عبارة عن جبانة قديمة نحتت مقابرها فى سطح مرتفع صخرى ولكن بعض أثرياء السكان القدماء بنوا مقاصير المقابر فوق مدافنهم ، ولا زالت أربعة من هذه المقاصر قائمة فى أماكنها ولكن فى حالة انقاض (شكل ٣٣) ويرجع تاريخها فيما يبدو إلى العصر البطلمى ، وكان بناتها من ملاك الأراض والأثرياء الذين كانوا يمتلكون الحدائق والحقول التى كانت ترويها عين الزيتون . وجدران المقاصير الأربعة غفل من النقوش أو الرسوم ولكن عد بها مخربشات (graffiti) بعضها مكتوب بالخط الكوفى بواسطة الرحالة العرب . وفى زياراتى لهذا المكان سنة ١٩٦٩ لاحظت أن بعض الجدران القائمة قد اصابها الدمار فى السنوات الأخيرة كما

أزيلت بعض أحجارها كما لاحظت أن نشاط المخربين واضح هناك . ويبين (شكل ٣٤) تصميم أكبر واحدة من المقاصير الأربعة .

وحينما زار شتيندوروف واحة سيوة عام ١٩٠٠ قام بالتنقيب فى هذه الجبانة لبضعة ايام ووجد فيها عددا من الآثار الصغيرة وقد أرجع شتيندورف تاريخ هذه الآثار إلى وقت ميلاد السيد المسيح ولكننى أعتقد أنه يمكن أرجاعه إلى النصف الثانى من العصر البطلمى ، واعتقد أنه يجب اجراء مزيد من التنقيب فى هذا المكان .

الزيتـــــــــون:

ورابع هذه المواقع الهامة هو الزيتون ، وهى آخر حطية آهلة بالسكان من الناحية الشرقية للمنخفض وهنا توجد الحدائق الشهيرة فى كل انحاء سيوة والتى منحها أهل سيوة فى القرن الماضى كهدية لشيخ الطريقة السنوسية واستمرت ملكية خاصة للعائلة السنوسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . وكان يدير هذه الحطية الغنية بعض موظفى وزارة الزراعة لبضع سنوات بعد الحرب العالمية الثانية ثم بيعت لواحد من أنشط وأذكى أهل سيوة ، وهو على حيدة الذى استطاع تكوين ثروة طائلة أثناء احتلال قوات الحلفاء لواحة سيوة ثم أثناء احتلال الجنود الايطاليين لها خلال سنى الحرب . وشرع على حيدة فى حفر المصارف والقنوات فى الحدائق ولكن قانون الاصلاح الزراعى لسنة ١٩٥٢ أجبره على الاحتفاظ بما تسمح به النسبة القانونية من مساحة زراعية . وعندما أدارت أسرة السنوسى هذه الحطية الخصبة استعانت فى زراعتها بعدد من العائلات الزنجية من عبيدها السابقين والذين أصبحوا يصلون الآن معهم بصفة اجراء يتلقون نصيبهم من المحصول لقاء كدهم . وفى وسط القرية التى بنتها الأسرة السنوسية لاجرائها يوجد معبد قديم من الحجر . وقد هجرت مساكن هذه القرية التى كانت لايزال يسكنها نحو ستين شخصا عام ١٩٤٠ .

ويقع معبد الزيتون الحجرى على بعد نحو كيلو مترين جنوب شرق العين (شكل ٣٥) ومعظم حجراته لاتزال مدفونة تحت المنازل المهجورة فى القرية الحالية ويتكون الجزء الذى يمكن الوصول اليه من حجرتين فقط والمدخل إلى الحجرة الثانية

يعلوه الكورنيش المصرى ولكن قرص الشمس المجنح لم يكتمل نقشه. وكثير من الأحجار المنقوشة المستخدمة فى بناء الجدران مأخوذة إما من هذا المعبد أو من أثر آخرفى المنطقة .

عندما تكرر قصف الايطاليين لسيوة بالقنابل من الجو كانت قرية الزيتون هدفا من أهدافهم ففى نوفمبر سنة ١٩٤٠ ألقت احدى الطائرات أربعا وعشرين قنبلة انفجرت منها اثنتان لحسن الحظ بعيدا عن منازل القرية ، وكانت كلما ظهرت طائرة فى الجو تهرع الأسر القليلة إلى غرفتى المعبد للاحتماء فيهما ، وقد سقطت ستة قنابل على الأقل فوق المنازل ورغم انها لم تنفجر فان نقلها فى حد ذاته تسبب فى تدمير سقوف المنازل المصنوعة من القش ، كما تسبب سقوط قنبلتين فى تدمير المنزل الذى كان مقاما على قمة المعبد ، غير ان كتل الاحجار المبنى بها سقف المعبد لم يمسها أى سوء .

ومن بين الجبانات العديدة فى هذه المنطقة توجد واحدة قليلة الاهمية نسبيا وتقع على مسافة ٢٠٠ مترا غرب المعبد ، وعلى بعد ٤٠٠ مترا شمال غرب العين توجد جبانة أكبر حجما بها مقابر كبيرة كثيرة تتكون واحدتها احيانا من غرفتين وقد تعرضت هذه الجبانة لعبث المخربين ، وثمة جبانة أخرى تحتوى على مقابر ذات مقاصير تشبه تلك الموجودة فى أبو العواف . تقع على بعد كيلو مترين جنوبى العين ، ولازالت اثنتان من هذه المقاصير باقية حتى الآن ، وكانتا فى حاله جيدة عام ١٨١٩ حينما رآها كايو ، ومن المقابر ذات الابعاد الأكبر من تلك الموجودة فى أبو العواف واحدة تتألف من ستة حجرات صغيرة وكانت مداخل المقاصير مزخرفة كما هو واضح من رسم لتوريوك (Letorzec)رفيق كايو وقد نشرت هذه الرسوم فيما بعد على يد جومار (Jomard) . وهناك موقعان فى هذه المنطقة احدهما عبارة عن بقايا مبنى حجرى يقع على بعد كيلو مترين غرب « عين زهرة » ويسميه الأهالى « قصر فوناس » أما الآخر فهو مبنى حجرى كذلك يسمى « بليف » ويقع إلى الشمال من النبع الصغير « عين صافى » .

قـــــارة أم الصغـــــير :

هذه عبارة عن واحة صغيرة على حافة منخفض القطارة وتبعد عن سيوة بحوالى ١٣٠ كم ، ومياهها مالحة قليلا ويعيش سكانها فى حالة من الاملاق اذ ان محصولاتهم الزراعية فقيرة وذات نوعية رديئة ، وطبقا لتعداد عام ١٩٦٦ فان عدد سكانها لايزيد عن ١٤٢ نسمه ، وهذا يدحض القصة القديمة التى تدعى إلى انه نتيجة للعنة من اللعنات لن يزيد عدد السكان عن ١٢٠ نسمة ، فقد اعتقد ، الأهالى أنهم كلما انجبوا طفلا توفى واحد من كبار السن ، وكان يحدث أكثر من مرة انه اذا ولد طفل وتصادف أن مرض احد الاشخاص فى عين الوقت يسرع أحد من اقاربه بمغادرة الواحة لكى ينقذ حياة المريض ، ويتكلم سكان أم الصغير لغة سيوة ويمارسون نفس العادات ، ورغم فقرهم الشديد فقد رفضوا مغادرة بيوتهم عندما عرضت عليهم الحكومة ، رحمة بهم ان تمنحهم الزيتون بدلا من واحتهم . (شكل رقم ٣٦) .

وفى خريطة الجغرافى بطلميوس سمى هذا المكان « معسكر الاسكندر » وربما كان ذلك راجعا إلى الاسكندر الأكبر زار هذه الواحة فى طريق عودته من سيوة إلى منف وهناك عدد قليل من المقابر الصخرية نحتت فى موقع بالقرب من العين ولكن هذه المقابر لاتحوى اية رسوم أو كتابات ولم اعثر هناك على اية بقايا لمبان حجرية .

الواحات غير المأهولة بين سيوة والبحرية :

لن يكون هذا الفصل كاملا اذا لم اذكر ، او على الأقل اشير إلى ، عدد من المواقع القديمة التى توجد فى الواحات الصغيرة فى العرج ونواميسة والبحرين على الطريق بين سيوة والبحرية ، وهذه الواحات الثلاث فانها شأن واحدة سترة المجاورة ، غير مأهولة بالسكان فى الوقت الحاضر ولو ان العيون الموجودة بها لاتزال جارية وتعتبر محطات مياه صالحة للقوافل ، إلا ان الأماكن الواطئة من منخفضاتها الصغيرة قد صارت مجرد مستنقعات مالحة ، وتعطى اشجار النخيل البرية انتاجا رديئا من البلح لان أحد لايعنى بها ، ولايوجد يدوى فى الوقت الراهن يريد ان يتحمل مشقة الذهاب

إلى هناك لجنى المحصول ، وأكثر من ذلك فان البعوض الذى يتوالد فى المستنقعات يجعل المبيت هناك ضربا من العذاب للانسان والحيوان ولذلك يبذل من يقومون بزيارة هذا المكان كل ما فى وسعهم لمغادرته قبل غروب الشمس فاذا ما اضطروا إلى قضاء الليل هناك فانهم يصعدون إلى حافة المنخفض ويعسكرون فى الصحراء فى اماكن أبعد ما تكون عن متناول البعوض .

والمقابر المنحوته فى صخور فى تلك المواقع الثلاثة تدل على أن هذه الواحات الثلاث كانت آهلة بالسكان لوقت طويل ، وفى رأيى أن هذا الشغف بالصحراء حدث بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثانى الميلادى حينما بدأ تنفيذ بعض المشروعات فى كافة واحات الصحراء الغربية .

البحرين ونواميسة :

ان المقابر الصخرية فى كل من البحرين ونواميسة صغيرة الحجم وليس بها أى زخارف وقد عبثت بعدد كبير منها ايدى المخربين الذين نهبوا كل ما وجدوه [٩] ، وعلى أى حال فاننا لانتوقع ان يضع سكان مثل تلك البقاع اشياء ذات قيمة فى مقابر موتاهم ولكن العرج تختلف عن ذلك .

واحة العرج :

العرج هى اقرب الواحات من سيوة اذ أنها تقع على مسافة خمسة وخمسين كيلو مترا من حطية الزيتون وبها عينان جاريتان وتنمو فيها اشجار النخيل وأشجار أخرى فى اماكن جديدة إلا أنها خالية من السكان ، وبالقرب من أحد العيون يوجد عدد من المقابر الصخرية منحوته فى جانبى واد خلاب . وكان عدد المقابر المعروفة حينما زرت هذا المكان فى أغسطس عام ١٩٣٨ اثنتين وأربعين مقبرة فضلا عن مقابر كثيرة أخرى تغطيها الرمال [١٠] .

ومعظم المقابر غير مصورة وان كان بعض المقابر الكبيرة منها تظهر فيها مناظر مصورة لبعض الآلهة مثل أوزيريس وأنوبيس ونوت (شكل ٣٨) وأخرين غيرهم ، وكثير

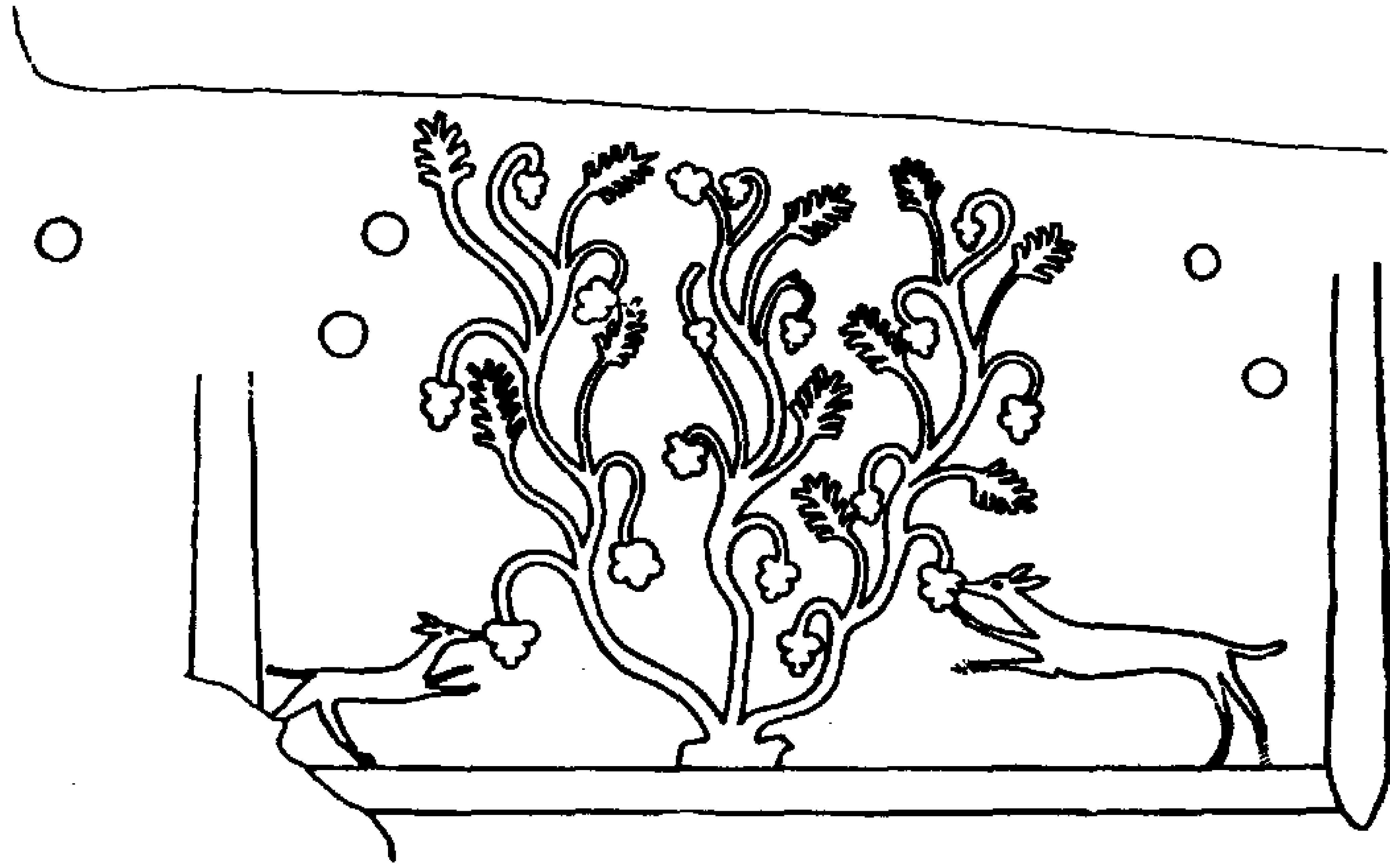
من المداخل مزخرفة على النموط المصرى المعروف بأفاريز من رؤوس الثعابين .

ويذكر رولفس أنه رأى قرب المقابر اساسا لمعبد ذى اعمدة كانت أرضيته مرصوفة بالواح من الرخام ، ولابد أن الرمال غطت هذا المعبد بعد زيارة رولفس اذ أن شيتيندوروف لم يره كما أننى لم اعثر على أى دليل قد يساعد على تحديد مكانه الحقيقى ، وعلى كل حال فانه توجد الآن عند نهاية الوادى منطقة مليئة بالرمال التى غطت كذلك مداخل المقابر السبع ومن المحتمل أن يكون المعبد مطمورا فى تلك المنطقة (شكل ٣٩) . وفى الازمنة المسيحية المبكرة كان الرهبان يعيشون فى بعض من هذه المقابر حيث تركوا أثارا تذكارية على اقامتهم ، وفى واحدة من مقابر المجموعة الجنوبية توجد ثلاثة مناظر صورها واحد منهم عاش فيها ولايبدو ان لهذه المناظر علاقة ما بالدين المسيحى أو بالدين المصرى القديم وأحد هذه المناظر يصور شجرة نخيل أما الثانى فيصور حيوانا مقترسا يهاجم رجلا والثالث عبارة عن نص قصير ربما كان ليبيا (شكل ٤٠) .

ومقابر العرج معروفة جيدا للبدو الذين اتخذوا من البحث عن الكنوز حرفة لهم وقد تخصص البعض منهم فى اصطحاب رحالة الصحراء إلى هذه الواحة المهجورة لقضاء بضعة ايام حيث يفتحون المقابر ويأخذون ما يجدونه ، ففى عام ١٩٦٥ احضر أحد هؤلاء الرحالة المتحمسين معه من العرج مومياء فى حالة جيدة ونجح فى اخفائها فى سيارته حتى وصل إلى مسكنه بالاسكندرية ، ولسوء حظه فان خادمته لم تكن فى المسكن عند وصوله ، وغادر مسكنه بسرعة لزيارة أحد تجار الآثار وبينما كان بالخارج دخلت خادمته الشقة وما أن وقع نظرها على قدم المومياء الظاهرة من البطانية التى كانت ملفوفة فيها حتى تملكها الفزع اذ ظنتها جثمان قتيل ، فاندفعت إلى أسفل المنزل وقصت قصتها على الأخرين ، ووصلت الشرطة واسفرت تحرياتها عن وجود مومياء أخرى كانت من نصيب صديق له كان قد رافقه فى رحلة إلى العرج . وفى الوقت الحاضر توجد هاتان الموميتان وغيرهما من الآثار التى وجدت اثناء التنقيب غير المشروع فى متحف الاسكندرية ، ورغما عن هذه التنقيبات غير المشروعة فان المقابر

الموجودة فى هذه الواحة المهجورة تستحق مزيدا من الحفائر لان هذا الموقع لايزال يزخر بمقابر غير مزخرفة تحتوى على مدافن فى حالة سليمة.

لنترك الآن العرج والمواقع القديمة المبعثرة فى هذا المنخفض ولنعد إلى مدينة سيوة لزيارة معبد الوحى اهم هذه الآثار جميعا فى الواحة والمعبد الآخر لآمون.



الفصل السادس
معبد أمون فى سيوة

يوجد فى واحة سيوة معبدان للآلة آمون وكلاهما فى أغورمى على بعد أربعة كيلو مترات من مركز مدينة سيوة . وقد اقيم المعبد الأول على الصخرة الكبيرة التى تقع وسط الجدران المتداعية لمنازل القرية القديمة التى هجرها سكانها تماما منذ ما يقرب من خمسة وأربعين عاما بعد هطول أمطار غزيرة لا مثيل لها ، وهذا هو معبد الوحى الشهير .

أما المعبد الثانى والذى بنى لعبادة الاله آمون ، فيقع وسط حدائق النخيل ، غير بعيد من المعبد الأول ، وهو عبارة اطلال دراسة وقد نزعت أحجاره بحيث لم يبق منه الا جدار واحد تحيط به كتل الأحجار .

معـــــبد الوحـــــى :

قبل أن نبدأ فى وصف بقايا هذا المعبد فسوف امهد بمقدمة مفصلة نوعا ما عن رحلة الاسكندر إلى سيوة فى القرن الرابع قبل الميلاد ومقدمه لاستشارة نبؤتها ، وكان هذا بلا شك أهم حدث فى تاريخ الواحة ، وكانت موضوعا للتعليق فى كثير من كتب المؤلفين الكلاسيكيين ، ولازالت تناقش بمزيد من الاهتمام فى المؤلفات الحديثة عن التاريخ القديم . لقد خلدت زيارة الاسكندر اسم هذه الواحة الصغيرة التى تقع بين رمال الصحراء الليبية وجعلت اسمها مشهورا لكل من يهتم بدراسة التاريخ والآثار ولكل الدارسين لعلوم الغيبيات وتاريخ النبوءات (شكل ٤١) .

ولقد سبق لى أن ناقشت بعض مظاهر طفولة الاسكندر والسنوات المبكرة من حياته فى الفصل المتعلق بتاريخ سيوة (أنظر ص) أما الآن فسوف أواصل هذه القصة وأناقش زيارته إلى قصر الوحى الخاص بالاله جوبتر ـــ آمون فى ليبيا ، كما كان يسمى فى العصور القديمة .

الاسكــندر فــى طريــقه الــى ســيوة :

بدأت رحلة الاسكندر من برايتونيوم إلى واحة أمون فى فصل الشتاء بين نهاية شهر يناير ومنتصف شهر فبراير من عام ٣٣١ ق.م.، وقد صحبه فريق كبير من أصدقائه وعدد من جنوده. وكان كالسثنيس (Callisthenes)، مؤرخ البلاط، من بين مرافقيه وهو الذى ترك لنا وصفا رائعا لهذه الرحلة وصلنا فى كتابات المؤلفين اللاحقين. وقد سلكوا طريق القوافل القديم الذى يسمى فى خرائط اليوم « مسرب الأطبل » ويعرفه البدو باسم « درب المحصحص » او يسمى فى بعض الأحيان « سكة السلطان »، ويبلغ طوله نحو ٣٠٠ كم ويستغرق السفر فيه بالابل من سبعة إلى ثمانية ايام (١).

ويذكر بلوتارخ أن العون الألهى الذى تلقاه الاسكندر اثناء هذه المسيرة نال تصديقا أكثر مما نالته النبؤات التى أوحى بها فى المعبد ولو أن هذا العون الرائع يعزز فحوى النبؤات نوعا ما.

فطبقا لرواية كالسثنيس فانه بعد بضعة أيام من السير نضر الماء الذى كان محمولا فى قرب فوق ظهور الجمال وتملك الرعب أفراد القافلة ولكن تدخلت العناية الالهية فهطل مطر مفاجئ أتاح لهم ملا قربهم، وفى يوم لاحق هبت ريح عنيفة وأعلن الادلاء أنهم ضلوا الطريق ولكن ظهر فجأة غرابان واصدر الاسكندر أوامره بأن تتبعهما القافلة وحسبما يرويه المؤلف فانه عندما كانوا يسيرون بسرعة فان الغرابين كانا يطيران بسرعة مساوية، وحينما كانوا يبطئون السير كان الغرابان يبطئان الطيران، بل وأكثر غرابة من ذلك، كما يروى المؤلف، انه حينما كان يحل المساء وتأخذ القافلة الطريق الخطأ ناداهم الغرابان بنعيبهما وأرشداهما إلى الطريق الصحيح.

وسواء كانت هاتان الواقعتان حدثتا فعلا كما يروى أم أنه قد بولغ فيهما من قبل المؤلف القديم فانهما توحيان باعتقاد اتباعه ومعاصريه بان قوى عليا كانت ترعى الاسكندر وأن المعجزات كانت تقع فى أى وقت لانقاذ حياته.

وبعد رحلة شاقة وخطيرة فى الصحراء وصل الركب إلى الواحة وغمرت الدهشة أعضاءه بمشهد الظل الوارف الذى قدمته اشجار النخيل والزيتون وبالمياه الوفيرة التى تنساب من العيون .

الاسكـــــندر فـى ســــيوة :

يبدو أن الاسكندر لم يبعث برسل للاخطار بمقدمه، ونستطيع أن نتصور مدى الحبور الذى غمر الكهنة والسكان حينما علموا ان هذه القافلة تضم ملك مصر نفسه، وذلك الفاتح الذائع الصيت ، أعظم وأشهر رجال عصره . ويصف لنا كالسثنيس الواحة ويشير إلى معبدين أحدهما يقع بين حدائق النخيل وهو معبد أم عبيدة الذى لازالت أطلاله موجودة ، أما الآخر ، مقر الوحى ، فقد بنى فوق صخرة سماها اكروبوليس وهو معبد أغورمى كما يدعى الآن .

لقد كان الاسكندر متلهفا على زيارة النبؤة بأسرع ما يمكن فذهب إلى معبدها وحين اقترب منه جاء بعض الكهنة لاستقباله هو واتباعه خارج المدينة عند سفح الصخرة فى أغلب الظن ، وعندما وصل الاسكندر إلى المعبد حياه كبير كهنة معبد آمون فى سيوة (ومن المحتمل ان هذه التحية كانت باللغة اليونانية بقوله « ابن زيوس ــ آمون ، سيد كل البلاد ، الذى لايهزم حتى يتحد مع الآله » وهذه هى التحية التى كانت توجه إلى أى ملك مصرى حيث أن كل فرعون ، بما فيهم لاسكندر بعد غزوه لمصر ، كان من بين القابه « ابن رع » اله الشمس فضلا عن القاب مميزة أخرى تدلل على أصله الالهى وتصف القوى الخارقة التى يتمتع بها [٢] .

وقف الاسكندر ولفيف صغير من اتباعه فى فناء المعبد يرقبون مرور موكب الاله، وكان تمثال آمون على هيئة السرة ومزين بأحجار الزمرد وموضوعا فى قارب ومحمولا على أكتاف الكهنة ، وكانت العازفات ، الصغيرات منهن والمتقدمات فى السن ، يرتدين ملابس بيضاء اللون وكن يغنين ويرقصن بينما راح الموكب يدور مرات ، ومرات فى فناء المعبد أمام الاسكندر واتباعه إلى أن أعلن كبير الكهنة أن قلب الاله قد رضى .

وبعد ذلك سمح للاتباع المقدونيين ان يوجهوا أى سؤال للنبؤة ، فسأل أحدهم عما اذا كان يمكن منح ملكهم الشرف الالهى ، وكان الجواب ان ذلك يسعد قلب الاله آمون .

فـى قــــدس الأقــــداس :

لم يشأ الاسكندر أن يوجه اسئلته فى حضور الآخرين فطلب أن يختلى بالاله، فاقتادوه إلى قدس اقداس المعبد حيث كان قاربه المقدس . وبعد انقضاء بعض الوقت عاد الاسكندر إلى رفقائه الذين سألوه عما حدث وعما أنباه الوحى فرد أنه سمع منه ما كان يبغى ، واحتفظ لنفسه بسر اللقاء مع الوحى ، وعندما كتب إلى امه أوليمبياس فيما بعد ، أخبرها انه تلقى اجابات خاصة من النبؤة سوف يطلعها عليها عند عودته إلى مقدونيا ، وبعد ذلك اندفع الاسكندر فى غزواته الاسيوية ولم يكتب له أن يحيا ليرى أمه اذ وافته منيته بعد ثمان سنوات فى مدينة بابل ، عام ٣٢٣ ق .م . ، عن عمر يناهز الثالثة والثلاثين وحمل سره معه إلى القبر .

ورغم ان هذه الوقائع سجلت فى معظم الكتب المؤلفة عن حياة الاسكندر فاننا نقرأ فى كثير من الكتب التى ألفت عنه سواء فى الازمنة القديمة والحديثة أنباء قليلة عن الاسئلة والاجابات التى تلقاها من الوحى .

ويذكر بلوتارخ ، على سبيل المثال ، أنه عندما استفسر الاسكندر عما اذا كان قتلة ابيه قد فروا من قبضته ، أعلن الكاهن انه لن يعبر عن نفسه بهذه الكيفية لان اباه ليس من الفانين ثم سأل عما اذا كان قتلة فيليب قد نزل بهم العقاب وعما اذا كان قد منح التأييد ليكون قاهر العالم اجمع أجاب جوبتر ــ آمون أنه قد منحه الامتياز السامى وأنه قد تم الانتقام لوفاة فيليب بما فيه الكفاية واستمسك بعض الكتاب اللاحقين بهذه المعلومات ولايزال بعض المؤرخين المعاصرين يؤمنون بها كحقيقة تاريخية .

قدم الاسكندر القرابين لآمون وأعطى الكهنة كثيرا من الهدايا ويبدو ان اقامته فى الواحة لم تمتد الا لبضعة ايام فقط ، وفى عودته اتبع طريقا صحراويا آخر مارا بقارة

ام الصغير والمغرة فى منخفض القطارة ، ومنها مباشرة إلى منف دون الذهاب إلى الساحل ، وهذه الرحلة يمكن انجازها فى ظرف اسبوعين .

لقد كان الاسكندر منذ نعومة اظفاره من اشد الناس اعتقادا بالقوى الخفية والنبؤات [٣] وقد أوحت اليه أمه بالاعتقاد بأنه ليس كباقى البشر ولكنه من أصل الهى ، وأن من بين أسلافه الالهين برسيوس وهرقل والبطل أخيل ، ويرى بعض كتاب السيرة المحدثين أن دعواه أو ادعاؤه بأنه من نسل الهى كان مجرد نوع من الدعاية السياسية ، وذلك أن رجلا فى مثل ذكاء الاسكندر لم يكن ليؤمن بذلك حقا ، ولكن فى رأيى ليس من الأنصاف فى شئ أن يحكم بمقاييس العصر الحديث وديانته وتفكيره على أحداث وقعت فى العصر القديم بين شعب له تقاليده ومعتقداته التى تختلف كثيرا عن تقاليدنا وأفكارنا ، ولكن يمكننا القول بثقة أن الاسكندر ذهب إلى سيوة شأنه شأن اى زائر قبله معتقدا فى نبوءتها وفى صدق كل كلمة سمعها من كهنتها ، بما فى ذلك ما يتعلق بأصله الالهى وبحقه فى أن يعبده الأخرون .

لا احد يعلم ماذا حدث فى قدس اقداس آمون ولا ماهى الاسئلة التى وجهها الاسكندر والاجابات التى تلقاها ، ولكن من الثابت ان الاسكندر صار بعد ذلك اليوم شديد الايمان بالاله آمون كما كان فخورا بان يعتبر نفسه ابنا له [٤] وخلال السنوات الثمانية التى تبقت من عمر الاسكندر وبينما كان يواصل فتوحاته فى اسيا دأب على ارسال الرسل حاملين الهدايا إلى كهنة سيوة ، وكان حريصا دائما على أن يعلم اجابات ، النبوءة على الاسئلة التى كانت تخالج ذهبه.

وحينما توفى هفايستون اعز اصدقاء الاسكندر وأكثرهم ولاء له بلغ به الحزن مبلغا فاق كل حدود العقل ، وشرع فى عمل الترتيبات اللازمة لبناء مقبرة كبيرة له فى بابل بالاضافة إلى اقامة نصبين تذكاريين له فى الاسكندرية ، واثناء تلك الايام الحالكة بعث الاسكندر برسل إلى سيوة ليستعلم من الوحى عما اذا كان من الممكن رفع هفايستون إلى مصاف الالهة وانصاف الالهة ولكن اتاه الجواب أنه قد سمح لصديقه ان يعبد كأحد الابطال طبقا للمعتقدات اليونانية [٥] ورضخ الاسكندر وكعلامة على ولائه

العميق لأمون فى سيوة أمر الاسكندر قبل وفاته، أريد ايوس أحد أصدقائه المقربين، أن يدفن قرب والده آمون فى سيوة . وقام موكب جنائزى كبير من بابل حاملا جثمان الاسكندر فى عربة جنازية فخمة، وبينما كان الجثمان فى طريقه إلى مصر ليتم دفنه فى معبد الوحى كما رغب الاسكندر، قابله فى فلسطين بطلميوس واليه على مصر ومعه حرس كبير، ولكن حينما وصل الركب مدينة منف أصر بطلميوس على دفنه فى الاسكندرية، المدينة التى أنشأها، واسترضى كهنته آمون بأن قدم لهم الهدايا كما أرسل نصبا ليقام فى معبدهم (٦) .

هكذا كان حب وتقدير الاسكندر لأبيه آمون ولواحته لدرجة أنه لم يفكر فى مقدونيا أو بابل أو الاسكندرية كمثوى أبدى لجسده وانما فضل أن يدفن فى سيوة تلك الواحة الصغيرة فى صحراء مصر الغربية .

المعبـــــد

حينما يقترب الزائر من أغورمى ويرى بقايا المنازل المتداعية التى كانت مقامة على الصخرة فلن يسعه إلا أن يتذكر الاسكندر وزيارته لهذا المكان (شكل ٤٢) .

نبدأ بصعود ممر صغير بين الصخور المتداعية حتى نصل إلى المدخل المؤدى إلى مدينة صغيرة محصنة كانت مأهولة حتى الربع الأول من هذا القرن، ولاتزال بوابتها المصنوعة من الواح من جذوع النخيل تقف مكانها، وعلى الجانبين نجد المقاعد الطينية التى كان يجلس عليها كبار رجال العائلات يتحدثون فيما يعن لهم من مسائل فى هذا المكان الرطب الظليل، وقد أقيم المسجد فوق بوابة المدينة ولكنه لايستخدم نظرا لأن جزء من أرضيته قد انهار (٧) . وفى نهاية الممر الملتوى نجد على اليمين مدخلا صغيرا يؤدى إلى اعلى المئذنة التى تطل على منظر خلاب لهذا الجزء من الواحة، وإلى الشرق يمكن رؤية بقايا معبد أم عبيدة، وعلى البعد تظهر مدينة سيوة بحصنها القديم المتهدم ومنازل مدينتها الحديثة ومآذن المساجد وعلى البعد كذلك يمكن رؤية جبل الموتى، وحيثما يولى المرء وجهه يرى حدائق النخيل والبحيرات

الكبيرة المالحة التى تتلألا مياهها تحت أشعة الشمس ، كما يرى التلال العديدة ورمال الصحراء المترامية .

وأمامنا نلاحظ مكانا متسعا مكشوفا ، وبينما ترتفع الصخرة فى الجانب الشمالى نجد الأرض امامنا غير مستوية تماما ، كما يتخلل الصخرة كثير من الشقوق وذلك لأن هذا المكان يذخر دائما بالباحثين عن الكنوز الذين يصدقون الأساطير المحلية والتى تحكى عن وجود أكداس من الذهب والأحجار النفيسة مخبأة بالقرب من المعبد ، وإلى اليسار من هذا الممر الملتوى القصير يوجد ممر آخر يؤدى إلى مدخل مسجد مبنى من كتل الأحجار القديمة وتقع أمامه البئر القديمة .

ولكى يتمكن المرء من زيارة معبد الوحى لابد له أن يصعد إلى الركن الشمالى الغربى ، وحتى وقت قريب كانت واجهة المعبد تختفى وراء جدران منازل القرية ، وكان المعبد نفسه تسكنه عدة عائلات بعد أن أقيمت عدة جدران داخل وفوق المعبد . وفى أبريل من عام ١٩٧٠ وخلال عمل استغرق خمسة عشر يوما فى سيوة امكن ازالة هذه الجدران وازالة انقاضها ، وقد استؤنف العمل شهر آخر فى يناير سنة ١٩٧١ .

ويجدر بنا ان نذكر هنا أن صخرة أغورمى قد بدأت تتصدع ، بل وبين الحين والآخر تتساقط منها كتل بعضها كبير ، كما يمكن رؤية الشقوق فى كافة الجوانب ، وقد بدأت هذه التصدعات منذ سنين عديدة ، وكان سطح هذه الصخرة أكثر اتساعا فى الازمنة القديمة مما هو عليه الآن . ويتناثر عدد من الكتل الحجرية الضخمة هنا وهناك (شكل ٤٤) .

وقد عاش كليتارخوس (٨) Clitarchus حوالى عام ٣٠٠ ق .م . وهو مؤلف اشهر كتاب عن الاسكندر ، ومنه نقتبس الفقرة التالية « يحيا اهل واحة آمون فى قرى . وفى وسط الواحة يقوم الاكروبوليس المحصن بثلاثة اسوار والمحاط بثلاث ساحات ، وتحتوى الساحة الأولى على قصر الحكام القدماء ، أما الساحة الثانية فيعيش فيها الحريم والأطفال وباقى الاقرباء ، فضلا عن الحرس وأخيرا هيكل الاله والعين المقدسة حيث يجرى تطهير القرابين المقدمة للاله وفى الساحة الثالثة توجد ثكنات الجنود

ومنازل الحرس الخاص للحاكم . وعلى مسافة قريبة من الاكروبوليس يقوم معبد آخر للاله آمون تظلله كثير من الاشجار الضخمة وبالقرب منه توجد عين تسمى عين شمس بالنظر إلى طبيعتها » .

يقع جدار المعبد الخلفى الآن على حافة الصخرة المتصدعة وسوف يسقط اذا سقط أى جزء من هذه الصخرة ، وآمل أن تقوم مصلحة الآثار المصرية بتقوية هذا الجدار قبل أن ينهار (شكل ٤٥) واذا فحصنا الرسم الذى يتضمنه (الشكل ٤٣) يمكننا القول بأن الساحة الثانية التى بها « هيكل الاله والعين المقدسة » كانت الجزء الغربى من الاكروبوليس فى حين شغلت الساحتان الاخريتان الجانب الشرقى ، وبين الجدران الطينية التى بنيت حديثا يمكن أن نرى بعض الجدران ، أما العين فانها فى الحقيقة عبارة عن بئر .

أما بالنسبة لمعبد أم عبيدة ، المعبد الثانى لآمون ، فان بقاياه لازالت قائمة ، كما ان عين الشمس ، أو عين الجوبة ، فهى موجودة على مقربة من المعبد كما سبق أن أوضحت فى الفصل السابق .

وصـــف المعـــبد :

ان معبد الوحى فى حالة جيدة نسبيا وان كان يحتاج إلى تقوية عاجله فى بعض أماكنه ، وامام المعبد يمتد الفناء الذى كان يسير فيه موكب الاله ولكن لم تبق الا اساسات الجدارين الشمالى والشرقى ، وتبعا للنصوص المكتوبة فى قدس الاقداس ، فان تاريخ المبنى الموجود حاليا يرجع إلى حكم الملك أحمس الثانى « امازيس » من الأسرة السادسة والعشرين وان كانت قد أجريت عليه بعض التعديلات واضيفت اليه بعض الاضافات فى الازمنة اللاحقة (شكل ٤٦) .

يتكون المعبد الذى يفتح ناحية الجنوب ، من صالتين وبعدهما قدس الاقداس الذى يقع مدخله على المحور الرئيسى ، وكما نرى فى الرسم فهناك ممر ضيق على اليمين أى على الجانب الشرقى من قدس الاقداس ويستمر وراء الجدار الخلفى وتوجد حجرة أخرى فى الجانب الغربى (شكل ٤٧) .

ويقع الفناء المفتوح الذى يتقدم المعبد على مسافة قصيرة من الصخرة الهابطة داخل الحصن . وعلى هذا فعلينا أن نفترض أما ان هذا الهبوط كان ملآنا فى الأزمنة القديمة أو ان الزوار كان عليهم ان يصعدوا سلما اذا كان مدخل الفناء محور المعبد كما هو متوقع ومن المحتمل ايضا أن مدخل الفناء كان على الجانب الشرقى ويتم الوصول اليه، كما هو الحال اليوم ، بصعود المنحدر.

وبلغ ارتفاع الواجهة الاصلية للمعبد نحو ثمانية أمتار وهى من الطراز البسيط ، أما مدخل المعبد الذى يعلوه الكورنيش فيلبغ عرضه ٢٢و٢م وليست به أية كتابات ، ويبدو أن البناءين الذين جاءوا بعد ذلك فى العصر البطلمى ، قد حاولوا ان يجعلوا المعبد يشبه فى مظهره المعبد اليونانى إلى حد ما ، فقد أقاموا أمامه عمودا نصفيا من الطراز الدورى المجوف على كل جانب من جانبى المدخل ، وقد ضاع الجزء الأسفل من العمود الشرقى فى حين بقى العمود الغربى كاملا ، وقد تم الكشف عنه نهائيا فى ابريل سنة ١٩٧٠ . ويبلغ طول الفناء الأول ٧٫٤٧ مترا وعرضه ٤٫٩٥ مترا ، ومدخله فى وسط الجدران تماما إذ ان الجانب الغربى اطول قليلا .

وتوجد كوتان فى الجدار الجنوبى ، واحدة فى كل ركن من الركنين ، ويبلغ عرض الكوة الغربية ٦٠ سم وعمقها ٨٫١م ، أما الكوة لشرقية فأبعادها أقل (شكل ٤٨) . وفى الجدار الغربى وعلى مستوى أرضية المعبد يوجد مدخل السرداب (Crypt) أما الفناء الثانى فهو أعلى من الأول قليلا وان كانت ابعادهما متماثلة تقريبا وطبقا لما يراه ركه[٩] Ricke فقد كانت هناك مرحلتان فى البناء ، فكان الجزء الاقدم بسيطا وخال من الزخارف ثم اضاف البناءون اللاحقون المداخل المزينة وعدلوا فى التصميم ولكن على ضوء الدراسات الحديثة يبدو أنه كان هناك مراحل ثلاث فى البناء وليس اثنتين فقط .

وتوجد ثلاثة مداخل فى الجدار الشمالى من الفناء الثانى ، والمدخل الأوسط وهو أكثر اتساعا من الاثنين الأخرين ، يؤدى إلى قدس الأقداس الذى دخله الاسكندر وحده لسماع اجابات نبوءة آمون ، أما المدخل الصغير إلى اليمين ، ويبلغ اتساعه ٨٠ سم

فقط فيؤدى إلى ممر ضيق ربما كان يستخدم كمخبأ لحفظ الأدوات الثمينة الخاصة بالمعبد أو أنه كان يستخدم اثناء اجراء عملية النبوءة . أما الحائط الشمالى الذى يفصل الممر عن قدس الأقداس ففيه ثلاثة كوات يبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح الأرض ٧٧سم وأبعاد واحدتها ٥٢ × ٥٢ / سم وقرب السقف توجد فتحتان للضؤ . ولم يذكر ركه فى تقريره لا الكوات الثلاثة ولا الفتحتين كما لم تتضمنهم رسوماته التى نشرها عن المعبد . ويبرز الآن سؤال : هل لعب هذا الممر الذى يدور حول قدس الأقداس دورا فيها يتعلق بالاصوات التى كانت تنبعث بالاجابة حينما كان الزوار يستشيرون الالهه ؟ وبعبارة أخرى ، هل كانت الاجابات تنطق بواسطة كاهن يختفى فى هذا الممر ؟ .

فى معبد الاله خنسو بالكرنك ، والذى شيد فى عصر الرعامسة ، يوجد مخبأ قرب السقف بين مقصورتين مفتوحتين ، وقد اقترح ماسبيرو انه كان بمثابة المكان السرى الذى كان الكاهن يستخدمه أثناء النطق بالنبوءة . وفى معبد كوم أمبو وتحت أرضية قدس الاقداس توجد حجرتان سريتان كانتا تقومان بنفس الوظيفة .

وصــف قــدس الأقــداس :

ان قدس الاقداس هو المكان الوحيد فى هذا المعبد الذى يحتوى على نقوش ، وأبعاده هى ٣ر٣م عرضا و١ر٦م طولا . ومثل باقى حجرات المعبد فان قدس الأقداس كان مسقوفا ، ففى أعلى الجدارين الشرقى والغربى تبرز نتؤات حجرية هى التى كانت تستند عليها عوارض السقف الخشبية . وقد أصاب الجدران ضرر شديد بفعل المنقبين عن الكنوز الخيالية والذين دقوا وحفروا ثقوبا باجدران . ويعتقد أهل سيوة أن ملكا يدعى خريبش كان آخر حكام سيوة وأن هذا المعبد كان يعرف باسم « الخزينة » وذلك لان الملك دفن فيه ومعه دفنت كنوزه بما فى ذلك اسلحته وسيفه [١٠] .

وتبدأ النقوش على جانبى المدخل وتستمر حتى الجدران الجانبية ، ويبدو أن الجدار الخلفى لم تكن به أية نقوش ، حقيقة أن هذا الجدار قد اصابه تلف شديد ولكن

لم يكن الاستدلال على آثار الاشكال أو النصوص . وعلى الجانب الايمن للمدخل صور الملك الذى بنى فى عهده هذا المعبد وتم نقشه، وقد أزيل جسده ورأسه إلا أن تاج الوجه البحرى لايزال باقيا ، والملك مصور وهو يقدم النبيذ من أنيــه مستــديرة . الشكل إلى ثمانية من الآلهة مصورة على الجدار الشرقى . واسم الملك مكتوب داخل خرطوش منقوش أمامه. وفى عام ١٩٠٠ قرأ شتيندورف هذا الخرطوش المهلهل على أنه اسم الملك هكر (أكوريس) الذى حكم فيما بين ٣٩٢ ــ ٣٨٠ ق. م . فى عصر الاسرة التاسعة والعشرين ، ولكنه حينما زار هذه المنطقة مرة أخرى عام ١٩٣٢ لم يكن متأكدا من صحة قراءته السابقة وان ظل يعتقد انها أكثر القراءات احتمالا [١١] .

وحينما قمت بفحص هذا النص فى عام ١٩٣٨ اقتنعت تماما بانه اسم الملك وهو أحمس الثانى من الأسرة السادسة والعشرين ، أما الآلهة الثمانية فانها تقف صفا واحدا فى مواجهة الملك ويتقدمها الاله آمون (شكل ٤٩) ، وتتضمن آمون رع وزوجته موت واله رأسه على هيئة رأس الكبش وعلى الذى كانت له اهمية خاصة فى هذه الواحة ، أو ربما يشير إلى حريشف إله هراقليوبوليس والآله الرابع هو خونسو ، أما الآلهان الخامس والسادس فمن المستحيل التعرف عليهما لأن الجدار مصاب هنا بتلف شديد ، أما الاله. السابع فهو ماحيسا Mahesa ويمكن قراء النص الخاص به كما يلى « انى أهب الحياة لرئيس سكان الصحراء سوتخ ايردس » وآخر الآلهة الثمانية هو انثى تلبس التاج المزدوج ولكن الكتابة الخاصة بها ضاعت تماماً .

وإلى يسار مدخل قدس الاقداس يقف حاكم سيوة الذى بنى فى عهده هذا المعبد ، وصورته محطمة تماما إلا من الريشة التى كانت مثبته فى شعره والتى تدل على أصله الليبى ، ويبدو أنه ينحدر من أحدى قبائل الماشواش القوية التى استقرت فى الواحات قبل انتقالها إلى وادى النيل ليصبح زعماؤها ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، أما العائلة التى استوطنت سيوة فقد استمرت تحكمها ، وكان حكامها مستقلين بطريقة أو بأخرى رغم اعترافهم بسيادة فراعنة مصر ، وقد تمصرت هذه العائلات وبعد فترة

وجيزة اعتنقوا الديانة المصرية كما صارت اللغة المصرية هى لغة الحديث الأساسية فيما بينهم ، ولقد كانت هناك عائلة غنية وقوية فى البحرية أزدهر سلطان رؤسائها خلال حكم كل من واح ـــ اب ـــ رع (أبريس) وأحمس الثانى وقد صوروا على جدران المقاصير خلف هذا الملك الأخير [١٢] ، ولكن نظرا لأن سيوة تقع على مسافة بعيدة إلى الغرب فيبدو ان حكامها تمتعوا بقدر أكبر من الاستقلال ومما رواه هيرودوت نعلم أن هؤلاء الحكام كانوا يسمون « ملوكا » [١٣] .

ومن الملاحظ أنه أنه فى معبد سيوة لم يصور الحاكم على الجدار يسير خلف الملك ويقدم لنفس الآلهة كما هو الحال فى البحرية ، وانما صور على الجانب المقابل فى الحجرة وفى نفس الوضع مثل الملك ، كما انه يقدم قرابينه إلى الآلهة الثمانية مثلما يفعل الملك ويمكن الاستدلال من الكتابات المنقوشة أمامه ومن الكتابات الأخرى المصاحبة للالهة أن اسمه كان سونخ ايردس وكان يلقب بلقب « رئيس سكان الصحراء » وقد شغل ابوه نفس المنصب من قبله وكان يدعى « ررواتنب » .
وبين من الآلهة الثمانية التى يقدم لها الحاكم القرابين نجد آمون رع وموت والاله ددون آمون [١٤] والالهة تفنوت ، وخلف هذه الأخيرة يلاحظ أن جزء من الحائط غفل من النقوش وذلك لانه فى التصميم الاصلى للمعبد كان يوجد فى هذا الجزء باب يؤدى إلى الحجرة المجاورة ، وقد سد هذا الباب بجدار فى تاريخ لاحق . وخامس هذه الآلهة هو حريشف [١٥] المصور بجسم انسان ورأس كبش عليها تاج مكون من ريشتين ، أما المعبود السادس فهى الالهة نوت والاله السابع هو تحوت الذى صور برأس طائر أبى منجل واخيرا فان الالهة الثامنة هى زوجة تحوت « سيدة الأرضين » نحم عاوا (شكل ٤٩) .

وكانت توجد حجرة أو أكثر على سطح المعبد وكان الدرج المؤدى اليها على الجانب الغربى فى الركن الذى انهار حينما سقط حزء من الصخرة .

وبدون اتمام الكشف عن هذا الموقع بأكمله فلن يمكن تحديد ما اذا كانت أجزاء أخرى من المعبد لاتزال مختفية تحت الركام ، ومن الممكن رؤية آثار جدران

جنوب غربى الفناء كما يمكن التعرف على بقايا جدران بعض الحجرات المبنية من الحجر الا أننا لانستطيع تحديد ما اذا كانت تؤلف جزءاً من هذا المعبد ام انها بقايا مبنى آخر يقع إلى جوارها وينطبق هذا القول على الجدران الحجرية الموجودة من بين بقايا اطلال المنازل على الجانب الشرقى للمعبد .

البئــــــــر :

يجد الزائر أمام المسجد بئرا مبنية من كتل الحجر ، ونظرا لانها كانت تستخدم خلال العصور فقد أورد ذكرها المؤلفون الذين سجلوا زيارة الاسكندر الأكبر للواحة ، وقد ظلت شعائر الصلاة تجرى فى المسجد حتى عشر سنوات خلت وكان كثير من المصلين يأخذون من البئر الماء اللازم لوضوئهم ، وهى مبنية من كتل حجرية مسواة بعناية وكان الماء يسحب منها بالطريقة التقليدية وان كان يمكن النزول اليها بواسطة درج يتكون من مجموعتين من الدرجات ، وعند أسفل المجموعة العليا يوجد باب ولكن المدخل إلى الممر مسدود حاليا بالركام ومن الصعوبة بمكان الوصول إلى الدرجات ودراسة عمارتها الا بعد ازالة الركام .

مع ذلك فلو نظرنا من فوهة البئر لامكننا ان نرى مدخلين صغيرين فى الجانبين الشمالى والجنوبى منه بالقرب من القاع وفوق مستوى الماء (شكل ٥٠) وربما ادى هذان المدخلان إلى غرف جانبية معدة لحفظ الاوعية اللازمة لرفع المياه من البئر أو لأغراض أخرى مشابهة وربما كانا مدخلين يؤديان إلى درج صغير يدور حول الجدار الداخلى للبئر كما هو الحال فى مقياس النيل بمعبد ادفو ، وقد قدم بوخارت هذا الافتراض إلى أوبن (Aubin) الذى قام بدراسة هذا البئر فيما ين ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ [١٦] ، ويحتمل وجود فتحة فى الجدار الجنوبى أعلى مستوى من الماء بقليل ربما كان الغرض منها السماح بدخول الضوء إلى الجزء الداخلى الذى يؤدى اليه المدخلان ومهما يكن من أمر فلا بد لنا أن ننتظر حتى يتم تنظيف الدرج لتتسنى لنا دراسة المكان بدقة .

وفى عام ١٨٧٤ أعرب رولفس عن امله فى ان تقدم الحكومة المصرية العون المالى لأحد منقبى الآثار لشراء منازل أغورمى من سكانها وذلك لهدمها ليتم الكشف عن الموقع وقد هجرت هذه المنازل منذ عام ١٩٢٦ ولكن لم تبد الحكومة المصرية ولا أى هيئة أجنبية اهتماما بالتنقيب فى هذا الموقع البالغ الأهمية ، وفى ابريل سنة ١٩٧٠ فقط ، أى بعد ما يقرب من قرن من زيارة رولفس ، نجحت فى اقناع مصلحة الآثار أن تبدأ على الأقل فى ازالة الركام الموجود داخل المعبد حتى يتاح للزوار دخوله، وقد أتت الأعمال المبدئية ، والتى استمرت خمسة عشر يوما فقط ، بنتائج مرضية ، اذ صار فى الامكان روية واجهة المعبد الآن كما تمت ازالة بعض الجدران التى بنيت حديثا داخل وفوق المعبد (شكل ٥١) .

وقد عثر على حجرين من أحجار أساس الجدران المبنية حديثا ، مكتوبين بنصوص يونانية ، وأول هذين الحجرين عبارة عن جزء من نصب من الحجر الجيرى من القرن الثانى قبل الميلاد . أما الآخر فهو عبارة عن جزء صغير جدا من نصب من الالبستر من تاريخ متأخر جدا وربما من القرن الثانى الميلادى . وكانت هذه المواقع بداية مشجعة للغاية [١٧] (شكل ٥٢) .

وفى آخر يوم من ايام عملى فى التنقيب صعدت قمة مئذنة مسجد أغورمى لالتقاط بعض الصور ولالقاء نظرة على الموقع بأكمله، وبينما كنت واقفا أفكر فيما سوف أتخذه من خطوات مستقبلا رجعت بمخيلتى إلى الاسكندر وزيارته للواحة ، وحينما نظرت إلى الفناء تخيلت موكب الاله آمون بمركبه المحمولة على أكتاف الكهنة الذين تصاحبهم عازفات الموسيقى بملابسهن البيضاء . وفكرت فى الاسكندر وزيارته لقدس الأقداس ، ولكن هذه الصور تلاشت كلها من مخيلتى حينما تذكرت ما كتبه بوسانياس وماذكره عن النصب العديدة التى رآها فى فناء المعبد فى القرن الثانى الميلادى ، سألت نفسى أمن الممكن أن يكون بعضها لايزال موجودا هنا وفكرت كذلك فى الوصف الذى كتبه كليتا رخوس وتساءلت عما اذا كانت بعض المبانى

الأخرى قرب المعبد ، أو على الأقل اساساتها ، يمكن الكشف عنها تحت الجدران ، من يدرى ؟ .

لقد صمت صوت الوحى منذ قرون عديدة ، ولم تعد جدران معبد أغورمى تردد أصداء الموسيقى وتوقف المنشدون عن ترنيم التراتيل للاله آمون ، ولكن سحره الغامض لايزال باقيا ، لقد أحسست أن عشرات الأصوات تنادى فى كل جنبات معبد أغورمى معلنة انه قد آن الآوان لأن تحكى هذه الأطلال حكايتها ، وانى لارجو مخلصا ان يتحقق ذلك فى القريب العاجل .

معـــبد أم عبـــيدة :

يسمى المعبد الثانى للاله أمون باسم « أم عبيدة » ولربنما كان ذلك تحريفا من الأسم « أم معبد » [١٨] ويقع هذا المعبد على مسافة قصيرة من صخرة أغورمى وتوجد بقاياه فى المكان الذى وجد فيه المعبد أيام الاسكندر بين الأشجار ، ويتميز الموقع بوجود مساحة واسعة من الأرض ذات اللون الضارب إلى البياض حيث تتناثر كتل من الأحجار ، ولايقف بين هذا الحطام سوى جدار واحد وبجانبه عدد من الكتل الحجرية الضخمة ، ومن الملاحظ ان الجدار القائم والكتل الحجرية احتفظت بنقوشها بل انه فى كثير من الأماكن يمكن رؤية الألوان الزرقاء ، هنا يقوم معبد الاله آمون الذى شيد فى عصر الأسرة الثلاثين والذى ورد ذكره فى قصة زيارة الاسكندر لهذه الواحة (شكل ٥٣) .

وحتى بداية القرن التاسع عشر ظل جزء كبير من المعبد فى حالة جيدة ولكن فى عام ١٨١١ تسبب زلزال فى تدمير جزء منه، وفيما بين ١٨١٩ ـــ ١٨٢١ لاحظ الرحالة الذين زاروا المنطقة (مثل كايو ، دروڤيتى ـــ فون منيوتولى) أن بعض الكتل الحجرية قد سقطت من السقف وأن أحد جدران المعبد كان آيلا للسقوط . وبالرغم من كل هذه الاضرار فلا زال قدر كبير منه باقيا كما نرى فى الرسوم الواردة فى مؤلفاتهم ، أما الجدار الذى لازال باقيا من المعبد فهو عبارة عن جانب من غرفة كانت جدرانها

مغطاة بالنقوش ، وظلت قائمة فى مكانها مثل بقية أجزاء المعبد حتى عام ١٨٩٧ حينما وضع المأمور محمود عزمى البارود فى أساس الغرفة ونسفها بغرض الحصول على احجار لبناء سلم مركز الشرطة فى قصر حسونة ولبناء منزله الخاص ، وما لم تستطع يد الزمن القاسية أن تفعله عبر السنين تولى انجازه موظف حكومى جاهل فى بضع دقائق ، وبناء على الرسومات التى نشرها كل من فون مينوتولى وكايو والاوصاف التى أورداها فضلا عما نشره رولفس عام ١٨٧٤ يمكن القول أن المعبد الأصلى كان يتجه ناحية الشمال كما أن المعبد نفسه كان محاطا بجدارين .

كان الجدار المحيط بالمعبد مربعا فى تصميمه وخلال الزيارات المختلفة كانت أجزاء كثيرة من المعبد قد سقطت بالفعل ولكن قدس الأقداس والحجرة التى تتقدمه كانا لايزالان باقيين (شكل ٥٤) ، وأمامهما كانت توجد صالة أعمدة ، وبداخل الجدار المحيط ، وأمام المعبد ، كان يوجد مبنى مرتفع مقام من كتل الالبستر ، واحدى هذه الكتل التى ربما كانت مذبحاً أو قاعدة لاحد تماثيل آمون ، كانت جوانبها الأصلية منقوشة برءوس انسانية كبيرة ويعلو واحدتها قرنا كبش ، وهو رأس الاله آمون الذى بنى المعبد من أجله.

ومن رسومات فون مينوتولى يمكننا أن نكون فكرة عن ترتيب المناظر على جدار قدس الأقداس والالهة المصورة عليه قبل أن يهدم المكان على يد المأمور ، وهذا الجدار يشبه إلى حد ما الجدار المواجه فى نفس الحجرة والذى لايزال قائما فى مكانه. أما كتل الأحجار التى لازالت ملقاه بجوار هذا الجدار الأخير فهى من بقايا السقف (١٩) والمواقع اننا ندين بالفضل لرسومات فون مينوتولى التى حددت شخصية بانى هذا المعبد ، والمواقع اننا ندين بالفضل لرسومات فون مينوتولى التى حددت شخصية بانى هذا المعبد ، فعلى احدى الكتل يوجد ثمة خوطوشين ورغم عدم تأكدنا من بعض العلامات الهيروغليفية فان الخرطوشين يحتويان بدون شك اسم نقطانب الثانى أحد ملوك الأسرة الثلاثين النشطين والذى يعد واحدا من أنشط البناة فى الفترة

الأخيرة من التاريخ المصرى اذ بنى ورمم الكثير من الآثار فى وادى النيل ومد من نشاطاته إلى الواحات ، ومثال ذلك انه رمم واضاف إلى معبد الخارجة ، كما شيد هذا المعبد فى سيوة .

الجدار المتبقى من معبد :

لسنين طويلة كان معبد أم عبيدة المكان المفضل للمنقبين غير القانونيين الذين وجدوا فيه عددا قليلا من التماثيل البرونزية الصغيرة وبعض الآثار الأخرى ورغم أن قصة هذا المعبد تؤلم النفس فانى أرى لزاما على القول انه لو أجريت فيه حفائر علمية صحيحة فإنها ستعوض كل الجهود التى تبذل فيها وتضيف بدون شك إلى معلوماتنا عن تاريخ الواحة .

النقـــــوش :

فى اعلى الجدار القائم يوجد نص طويل يتكون من واحد وخمسين سطرا وعلى بقية الجدار نقشت ثلاثة صفوف من الآلهة . وفى عام ١٨٢٠ كان هذا الجدار فى حالة افضل مما هو عليه الآن واذا قارنا صوره الفوتوغرافية الحالية (شكل ٥٥) برسومات خون مينوتولى (شكل ٥٦) فاننا سنلاحظ أنه فوق النص كان يوجد افريز من الزخارف ، وفى قمة الجدار تكرر نقش الخرطوش الملكى الذى كانت تحميه الآلهة نخبت المصورة على هيئة الرخمة ، وأسفل ذلك صور عدد من الأشخاص يقومون بأداء طقوس فتح الفم ، وقد نفذت بالنقش الغائر وهى الصف الأعلى نشاهد بانى المعبد وحاكم سيوة وفى ذلك الوقت ، راكعا أمام الآلة آمون الذى يجلس داخل هيكله وخلف الحاكم يقف سبعة الهة ، وفى الصف الأوسط صور تسعة الهة بقى منهم ثمانية فقط ، أما الصف الأسفل فلم يبق فيه الا ثلاثة آلهة وفى عام ١٨٢٠ كان الجدار محتفظا بعدد آخر من صور الآلهة ، وأمام كل اله نقش اسمه ولن يتيسر لنا أن نذكر هنا كل التفاصيل أو شخصية كل اله ولا ترجمة النص المرافق له لاسيما وأن كل هذه الأمور تضمنها كتابى Oasis Siwa ، ويكفى هنا أن نذكر أنه خلف أمون رع الذى يجلس فى الصف الأعلى تقف الالهة موت ، أما الآلهة الأخرى فهى أما آمون رع أو موت .

أما الآلهة المصورة فى الصف الأوسط فهى من اليمن إلى اليسار ، أتوم ، شو ، تفنوت ، ست ، جب ، نوت ، وقد اختفى اسم الاله الأخير ، والالهة المصورة فى الصف الأسفل تتجه ناحية اليسار وأولها اله مذكر ضاع اسمه وان كان من المرجح أنه الاله حورس وثانيها الهة ضاع اسمها أما ثالثها فهى الالهة نخبت .

وهناك مسألتان هامتان ينبغى مناقشتهما بشئ من التفصيل ، الأولى تتعلق بالشخص الذى بنى هذا المعبد أما الثانية فهى عن مغزى وجود نص طقس فتح الفم على هذا الأثر .

بانـــــى المعـــــبد :

طبقا لما جاء فى النصوص المسجلة على هذا الجدار فان بانى هذا المعبد الذى صور راكعا امام هيكل الاله آمون رع ، كان يدعى ونأمون ، وكان لقبه الرئيسى هو الرئيس العظيم للصحراء وكان اسم ابيه نخت تيت وكان هذا الأخير يحمل نفس اللقب ، ويغلب على الظن أنه سبق ابنه فى حكم هذا الواحة ، أما أمه فكانت تدعى « نفررنبت » ويلبس ونأمون ريشة نعام على رأسه مما يبين انه انحدر عن أصل ليبى وربما كان سليل نفس العائلة الليبية التى استمرت فى حكم الواحة لعدة قرون ، أما المعبد نفسه فقد شيد فى عهد الملك نقطانب الثانى .

نـــصوص طـــقس فـــتح الـــفم :

من النادر أن نجد هذا النص مكتوبا على جدران المعابد وانما الأكثر شيوعا أن نجده على ورق البردى أو على التوابيت أو فى بعض الأحيان على جدران المقابر حيث أن هذه النصوص ترتبط بمراسيم الدفن [٢٠] وعلى كل فان النص يظهر على جدران المعبد أو المقصورة التى تستخدم للاغراض الجنائزية . ومثال ذلك مقصورة أميرديس فى معبد مدينة هابو [٢١] وبناء عليه فاننى اعتقد أن ونأمون قد تم دفنه فى مكان غير بعيد عن هذا المعبد .

ولايمكننا ان نترك معبد أم عبيدة دون أن نقول كلمات ولو قليلة عن النقوش التى كانت وجودة على الجدران الأخرى والتى تهدمت عام ١٨٩٧ ومصدر معلوماتنا الرئيسى فى هذا المجال هو رسومات فون مينوتولى ففى اللوحة PI. VIII من أطلسه نجد رسما للمناظر التى على الجدار الآخر ، وكما يبدو فى شكل (٥٦) فان هذه المناظر قد رتبت بنفس الطريقة كما أن النصوص الخاصة بطقس فتح الفم فقد نقشت فى الافريز العلوى ، وهناك ايضا ثلاثة صفوف للألهة وعلى الجانب الايسر من الصف الاعلى نرى ونأمون راكعاً أمام آمون رع فى هيكله مواجها لنفس المنظر على الجدار الأخر والآلهة المصورة فى الصفوف الثلاثة تختلف عن تلك المصورة على الجدار المقابل كما أن كثيرا منها غير مصور على هذه الجدار الأخير . مما تبقى من أحد المناظر نرى الجزء العلوى من ونأمون واضعا ريشة على رأسه وواقفا امام اله داخل هيكله . ومن الملاحظ ان هذا الاله يلبس هو الآخر ريشة فى شعره مما قد يدل على اصله الليبى أو على الأقل مظهره الليبى ويقودنا هذا إلى الظن ان يكون هذا هو الاله القديم الذى كان الناس يعبدونه فى سيوة قبل ان تطغى عبارة أمون فى هذه الواحة (٢٢) . وقد ضاع اسم هذا الاله المنظر ولايظهر أى منظر مماثل لهذا المنظر فى أى مكان آخر فى آثار سيوة (شكل ٥٦) .

ووجد أيضا فى رسوم فون منتولى بعض الكتل الحجرية منقوشا عليها صور الآلهة كما نجد رسوما لأجزاء أخرى من المعبد كانت لاتزال قائمة فى ايامه (شكل ٥٧) .

ويبدو أن الرسام الذى عاون مينوتولى كان مهتما فقط بأشكال الآلهة اذ انه ملأ المساحة التى كانت بها كتابات هيروغليفية بعلامات صغيرة أو خطوط من عنده لاتعطى مدلولات معينة . وعلى أى حال فنحن مدينين له اذ أن هذا هو المستند الوحيد من نوعه الذى يوجد تحت ايدينا . ويجب أن نذكر أن الكتابة الهيروغليفية لم تكن قد حلت رموزها حتى ذلك الحين ، وأنه كان ينتج عملا فنيا محضا .

« الفصل السابع »

مقابر جبل الموتى

ان جبل الموتى ، أو قارة المصبرين ، كما يسمى فى بعض الأحيان ، عبارة عن مرتفع مخروطى الشكل يقع على مسافة تقرب من كيلو متر ونصف من مركز مدينة سيوة وتتخلله مقابر صخرية نحتت فى سفحه وفى جوانب الجزء المخروطى منه (شكل ٤٨) . ومعظم المقابر المنحوته فى الجبل صغيرة الحجم وتتكون واحدتها من حجرة أو حجرتين وأن كان بعض المقابر الأكبر حجما تحتوى على عدة غرف وأعمدة (شكل ٥٩) . ولم تجر عمليات تنقيب منظمة فى هذا الموقع الا أنه حيثما نتجه نعثر على نتائج التخريب الذى قام به المنقبون غير الشرعيين الذين أستمرت أعمالهم هذه لقرون عديدة ، فنرى أجزاء من مومياوات وعظام واكفان متناثرة فى كل مكان وكان هذا المنظر هو الذى جذب اهتمام كافة الرحالة الذين كتبوا عن المنطقة بشئ من التفصيل منذ زيارة براون لها عام ١٧٩٢ ــ ولقد اعتاد أهل سيوة ان يفتحوا المقابر ويأخذوا ما يجدونه فيها ويقطعوا المومياوات اربا بحثا عن التمائم ثم يقومون بعد ذلك ببيع ما عثروا عليه لتجار الآثار بالاسكندرية . وكان ذلك هو ما يفعلونه فى اكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٤٠ حتما تركوا منازلهم فى المدينة طلبا للحماية فى المقابر الصخرية المنحوته فى هذا التل .

ترجع اقدم المقابر فى هذه الجبانة إلى الأسرة السادسة والعشرين والعصر البطلمى ، ثم اعيد استخدامها لدفن الموتى على مدى قرون عديدة اثناء العصر الرومانى فكانت الفجوات تقطع فى الجدران الجانبية ثم تستخدم لدفن أفراد الأسرة الواحدة دون اعتبار لما هو مصور على هذه الجدران من مناظر وأشكال ، والمومياوات التى عثر عليها فى حجرات الدفن هذه يرجع تاريخها إلى العصر الرومانى ، ولم يكن

تحنيطها على درجة جيدة الا انها قد أعدت بطريقة لاتختلف عن الطريقة التى كانت متبعه فى وادى النيل ، كما ان التوابيت والتمائم والتعاويذ كانت هى نفسها المستخدمة فى الوادى ، وبعبارة أخرى فان اهل سيوة كانوا متمصرين تماما فى العصرين البطلمى والرومانى كما كانوا يعتقدون فى نفس المعتقدات ولديهم نفس عادات الدفن مثل أهل وادى النيل ، ولكن إلى أى جنس كان اهل سيوة ينتمون ؟ أن كثيرا من الهياكل وغيرها من العظام التى عثر عليها فى مقابر سيوة المنهوبة نقلت إلى القاهرة فى العشرينات من القرن الحالى وقام الاستاذ د. درى D.Derry بدراستها بعناية ومما أجراه عليها من ابحاث استنتج ان سكان سيوة فى العصرين البطلمى والرومانى لايشبهون المصريين تماما بل انهم كانوا اقرب من عدة نواحى إلى العنصر البطلمى والاوربى منهم إلى العنصر الافريقى وهذه الاختلافات الطبيعية بين السيويين والمصريين فى وادى النيل وبينهم وبين سكان باقى الواحات والبدو لازالت موجودة حتى الآن(١) .

ومن الجدير بالملاحظة انه لم يعثر فى جبل الموتى حتى الآن على ما يدل على ان المسيحيين قد دفنوا هنا فى نفس الجبانه غير بعيدين عن اسلافهم الوثنيين كما هو الحال فى الواحة الخارجية (٢) وعلى اية حال فقد كان المسلمون يفضلون دفن موتاهم قرب مدينتهم كما كانوا يتجنبون الاماكن التى دفن فيها الوثنيون .

وهناك اشارة إلى هذه الجبانة فى مخطوط سيوة ورغم ان هذه الاشارة ليست لها قيمة تاريخية فانه من المهم قراءتها « قارة المصبرين من أفضل التلال فى سيوة وحينما اقتضت مشيئة الله ان ينتصر الاسلام علم بها كبار الكهنة والسحرة إذ انها مسجلة فى كتبهم وبالتالى اخطروا بها ملكهم فسألهم عن المكان الذى سيوجد به المركز الرئيسى للاسلام فأخطروه أنه سيكون فى مكان يقع غرب معبد آمون فاتفقوا فيما بين انفسهم على جعل جبل المصبرين مكانا لدفن موتاهم من اجل ان يفسدوا الماء والاشياء الأخرى الموجوده فى هذا التل وفى واحدة من المقابر التى تقع فى طرفه الشمالى يوجد ممر يقود إلى أسفل التل ثم يتجه نحو الشرق حتى يصل إلى كنوز الملك خريبش فى أغورمى » (٢) .

الرحـــالة الأوائـــل :

لاشك أن مقابر الجبل الموتى قد تعرضت لسرقات كبيرة منذ العصور القديمة فكثير من المقابر الصخرية كانت مفتوحة لسنين طويلة ومحتوياتها مبعثرة داخلها وقرب مداخلها وكانت هذه الجبانة محط اهتمام الزوار الأوائل لواحة سيوة فيذكر براون الذى سمح له بزيارتها عام ١٧٩٢ أن هذه المقابر لم تحتو على نصوص أو صور . ومع ذلك فهناك بقايا كثير من الهياكل العظمية وغيرها من العظام وبعض قطع من الجلد ، وحتى من الشعر ملتصقة بها [٤] وقد اهتم هورنمان ثانى زوار سيوة فى القرن الثامن عشر بالمومياوات الا انه ذكر أن أهل سيوة وجدوا الذهب داخل المقابر وانهم كانوا يخربون المدافن القديمة بحثا عنه [٥] .

أما أول رحالة يذكر الرسومات والصور فى تلك المقابر فهو كايو الذى زار هذا الموقع فى ١٢ ديسمبر عام ١٨١٩ [٦] وكان وصفة كما يلى :ـ

« تحتوى واحدة من اهم المقابر على ثلاث حجرات الواحدة تلو الأخرى ويبلغ مجموع طولها أحد عشر مترا وعلى الجانبين الايمن والايسر توجد خمس حجرات . وعلى جدران الحجرات السفلى يجد الانسان بقايا كتابات هيروغليفية وأشكال مصرية وصورة على الجص وفى النهاية يوجد تمثالان مشوهان لرجل وأمرة منحوتان فى الصخر كما هو الحال فى مقابر وادى النيل » .

هذه المقبرة الكبيرة التى تحتوى على هذين التمثالين فى نهايتها والنقوش على جدرانها لابد أن تكون قد دفنت بعد زيارة كايو لأن أحدا من الرحالة الآخرين الذين أتوا بعده لم يلحظ وجودها ويضيف كايو قائلا « وعلى وجه العموم فان هذه المقابر صغيرة جدا ويتصل بعضها مع البعض أما الكتابات الهيروغليفية فنادرة جدا وما رأيته منها باهتمام شديد كان علامات هيروغليفية مكتوبة بخطوط حمراء على جص أبيض » .

ولما غزت جيوش محمد على سيوة فى عام ١٨٢٠ رافق القنصل الفرنسى فى القاهرة وبعض أصدقائه المعروفين هذه الحملة وأستطاعوا التجول حيثما أرادوا فزاروا

جبل الموتى وأن كانت مذكرات دورفيتى لاتضيف شيئاً ذا اهمية إلى ماكتبه كايو وفى نفس العام قام مينوتولى القنصل الالمانى بمصر بزيارة واحة سيوة وقد اشار إلى هذه المقابر قائلا أن بعضاً منها كان ملونا بالالوان الخضراء والحمراء والصفراء والزرقاء وانها كانت تحتوى على كتابات ــ هيروغليفية (٧) . وقد ذكر كذلك أن أهل سيوة كانوا يعيشون فى بعض هذه المقابر (٨) وأنه أثناء وجوده كانت تعيش بضع مئات من البدو من قبيلة مجابر من طرابلس فى هذه المقابر (٩) وفى السنوات التالية من القرن التاسع عشر اجتذبت كثيرا من الرحالة ولكن لم ينشر من بينهم كتبا عن زيارته سوى تسعة رحالة ، منهم سبعة تحدثوا عن جبل الموتى غير أننا لانجد فى مؤلفاتهم أى جديد نستطيع أن نضيفه إلى ما علمناه من خلال أعمال كايو وفون مينوتولى (١٠) .

وفى عام ١٨٩٧ زارا . سيلفاهوايت (A.Silvawhite) واحة سيوة ودخل مقابر جبل الموتى ونشر فى كتابه صورا لمداخل بعضها وللمومياوات التى كانت بداخلها وقد زار ايضا مقبرة نبربا تحوت ووصف بعض مناظرها ونشر صورة لجزء منها وقد حصل على قطعة عملة لبطلميوس الأول قدمها إلى متحف الاسكندرية كما حصل على قطعتى حلى ثقيلتين مصنوعتين من المعدن وجدتا فى المقابر ، وأحضرتا لبيعهما بواسطة أحد الأهالى وهاتان القطعتان عبارة عن أسورة وقضيب مستقيم وكلاهما مصنوع من سبيكة من الذهب والفضة والنحاس وقد أحضر ايضا من نفس الجبانة قطعة كبيرة نسبيا من قماش كفن ملون وصفها الاستاذ سايس Sayce كما يلى « كفن مومياء لم يكن موضوعا فى تابوت ولكنه كان مدفونا فى الرمل والقار . وفى الطرف الأعلى توجد صورة الميت فى تابوته وأنوبيس واقف بجانبه يسكب ماء الحياة على جسده بينما يقف شخص متعبد على كل جانب من جانبيه فى هيئة من يصلى . وإلى الأسفل من ذلك وعلى كل من جانبى الكفن صورت أربعة أرواح المتوفى أميستى و دواموتف وحابى وقبح سنوف ، وقد صورت هذه الأرواح الواحدة فوق الأخرى ، اثنان فى كل جانب وبينهما شرائط من زهور » (١١) . وقد قدم هذا الكفن هدية إلى متحف الاشموليان فى أكسفورد ويعتقد أنه من العصر الرومانى . ورغم ان

المؤلف لم ينشر صورة للمنظر فانه من السهل أن نفهم مما ذكره سايس أن المنظر يصور أوزوريس فى تابوته مع الآلهة ايزيس عند قدميه ونفتيس عند رأسه بينما يقوم أنوبيس بتحنيط الجثة ، أما الأوانى الكانوبية الأربعة التى تمثل أبناء حورس الأربعة فقد صورت أسفل المنظر .

وفى عام ١٩٠٠ زار سيوة كل من بريشتى روبيكى (Brichetti Robecchi) [١٢] وهوهلر (Hohler) [١٣] ولكنهما لم يضيفا جديدا ، ثم زارها شتيندورف فى نفس العام ودخل مقابر جبل الموتى بما فيها مقبرة نبرباتحوت التى أعطى وصفا مقتضيا لبعض مناظرها [١٤] . وقد نشر صورة للجدران ولاحظ عدم وجود أية مؤثرات أجنبية فى المقبرة وقرا اسم صاحبها على أنه باتجوت . أما فى وصفه المقتضب لبعض المقابر فقد ذكر أنه شاهد الفن المصرى والفن اليونانى جنبا إلى جنب فى بعض الصور . وأما فى البعض الأخر فيروى أنه راى بعض الصور اليونانية الصرفة والتى قارنها مع تلك الموجودة فى قورينه والاسكندرية ، وأشار ايضا إلى المومياوات التى كانت ملقاه هناك وبقايا الصور الجدارية المتناثرة .

ومن بين الذين زاروا سيوة وجبانة جبل الموتى خلال هذا القرن كان فولز الذى كان فى معية الخديوى عباس الثانى اثناء زيارته عام ١٩٠٤ [١٥] وستانلى [١٦] وكوبيل وقد كان هذا الأخير موظفا فى مصلحة الآثار المصرية وذهب إلى سيوة فى سيارة عسكرية عام ١٩١٧ [١٧] إلا أن الوصف الذى اورده كل من هؤلاء الزوار الثلاثة مثل الكتيب الذى ألفه برشيا الذى رافق الملك فؤاد للواحة سنة ١٩٢٨ [١٨] لم يشر إلا إلى المقابر والمومياوات ولم يضف جديداً إلى ما كان معروفا بالفعل .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى استخدمت السيارات فى الصحراء الغربية ولذلك أصبح من الميسور الذهاب إلى سيوة لمن يريد ، وقد ترك عدد من الزوار كتابات جديدة عن المكان الا ان أحدا منهم لم يقم باجراء الابحاث فى هذه الجبانة [١٩] وأثناء زيارتى لسيوة عام ١٩٣٨ وعام ١٩٣٩ قمت بتصوير المقابر ونسخ الكتابات التى كانت على جدران مقبرة نبربا تحوت .

وكما ورد بشئ من التفصيل فى الفصل الخاص بتاريخ سيوة فان السيويين تركوا منازلهم فى المدينة فيما بين اكتوبر ونوفمبر من سنة ١٩٤٠ وذهبوا إلى جبل الموتى ليعيشو فى مقابره وخلال هذا الوقت فقط ظهرت مقابر جديدة منقوشة ، وقد نشرت نتائج ابحاثى عن سيوة فى عدة مقالات وفى كتابين فنشرت الكتاب الاساسى عام ١٩٤٤ . أما الكتاب الثانى فهو مختصر ومكتوب باسلوب مبسط وتم نشره سنة ١٩٥٠ [٢٠] .

ويحتوى جبل الموتى على كثير من المقابر المنحوتة فى الصخر الا ان معظمها مدفون حاليا ونجد عددا كبيرا من هذه المقابر مفتوحا رغم ان مداخلها مسدودة بالركام وسوف نتعرض فى هذا الفصل بشئ من الايجاز للمقابر التى بها نقوش على جدارنها [٢١] وهذه هى مقبرة نبربا تحوت قبل عام ١٩٤٠ وكذلك ، المقابر الثلاثة التى أكتشفها السيويون فى نفس الوقت ذلك العام والتى قمت بتنظيفها من الركام فى يناير عام ١٩٤١ وهذه هى مقبرة التمساح ومقبرة مسوايزيس ومقبرة سى ـــ آمون والأخيرة أهم مقبرة فى الواحة . وهذه المقابر الأربعة منحوته جميعها فى صخر الجزء المخروطى من التل .

مقـــبرة نـــبرنا تـــحوت :

هذه واحدة من أكبر مقابر الجبانة ، وكما نرى من الرسم (شكل ٦٠) فهى تحتوى على فناء مخرب جدا فى الوقت الحالى وست حجرات صغيرة ، ثلاثة على كل جانب من جانبى الفناء وتنتهى بحجرة الدفن التى تواجه المدخل . وقد تركت جدران الحجرات الستة الجانبية بدون نقوش ، أما حجرة الدفن الصغيرة فتغطيها نقوش ورسومات على الصخر بلون أحمر ، وكانت مومياء صاحب المقبرة موضوعه فى تابوت منحوت فى أرضية الحجرة ، أما الغطاء ، الذى ضاع الان ، فقد كان عبارة عن لوح حجرى يرتكز على نتؤ على شكل افريز حول قمة التابوت .

وكان صاحبا المقبرة « رجلا يدعى نبربا تحوت » (والاسم يعنى حرفيا ذلك الذى ينتمى إلى بيت تحوت) وكان لقبة الرئيسى كاهن اوزيريس وهذا يدل على أن

معبدا للاله أوزيريس كان يوجد فى الواحة حينذاك وكان الكاهن كذلك كاتبا للوثائق المقدسة كما كان كاهنا مطهرا وفضلا عن ذلك فقد كان يلقب « العظيم فى مدينته » وتابع الاله « والرجل الممتاز » و« المستقيم » .

يبلغ عرض حجرة الدفن ١٫٧٥ مترا ويقل طولها عن المترين بقليل ، وعلى الجدار الايمن يقف صاحب المقبرة وذراعاه مرفوعتان إلى أعلى ويمسك صولجانا باحدى يديه وأمامه (الواحد فوق الأخر) الصناديق الاربعة المشهورة لابناء حورس وتسمى صناديق « مريت » وكان يحفظ بداخلها بعض الملابس (شكل ٦١) وطبقا للنصوص فان والد نبربا تحوت كان يسمى نسى وكان يحمل نفس الالقاب التى يحملها ابنه أما والدة نبربا تحوت فتدعى نستيت .

وعلى الجدار المواجه للمدخل صور نبربا تحوت يتعبد للاله أوزيريس الذى يجلس على مقعد بينما تقف خلفه الالهة حاتحور وأمام اوزيريس توجد مائدة القرابين التى يواجهها صاحب المقبرة فى هيئة المتعبد وقد صور حليق الرأس ، لابسا قلادة حول عنقه ومرتديا مئزرا فوقه جلد فهد ومنتعلًا صندلا أما قاعدة مائدة القرابين فهى على شكل زهرة اللوتس وعلى المائدة يمكن مشاهدة ستة أرغفة من الخبز وغزالا وأوزتين وخياره بينما يتدلى أناءان للنبيذ من طرف المائدة كما يوجد أثنان تحتها . أما الالهة حاتحور فقد صورت بجسم أمرأة ورأس بقرة وتوجت بقرنين يحتضان قرص الشمس الذى تعلوه ريشتان .

وعلى الجدار إلى اليسار من المدخل وخلف الالهة حاتحور نجد نصا مطولا وهو عبارة عن نشيد موجه للاله تحوت . وعلى يسار الجدار يقف نبربا تحوت ممسكا فى أحدى يديه بحبال مربوط فى نهايتها عجول أربعة بينما يمسك بسوط فى اليد الأخرى (شكل ٦٢) .

ومن المعروف أن هذا الطقس المشهور والذى يسمى « سحب الثيران الأربعة » مصور على جدران المقابر ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة وان كان قد ظهر على جدران

المعابد منذ عصر الدولة القديمة ، وهذه الثيران الأربعة تختلف ألوانها فأحدها أحمر اللون وثانيها أبيض اللون وثالثها أسود اللون ، أما الرابع فمنقط ومن المرجح أن هذه المقبرة ترجع إلى عصر الأسرة السادسة والعشرين وبهذا فانها تعتبر أقدم مقبرة كشف عنها فى سيوة حتى الآن ولايرد اسم الاله آمون بها مطلقا رغم اننا نعلم أنه كان الاله الرئيسى فى هذه الواحة خلال عصر الاسرة السادسة والعشرين . وتشير النقوش الموجودة على جدران معبد الوحى إلى اسم الملك احمس الثانى وفى ضوء معلوماتنا المحدودة عن هذه الفترة من تاريخ سيوة فاننا لانستطيع القول أن عبارة أوزيريس فى سيوة كانت قائمة فيما يحتمل قبل ان تأخذ عبادة آمون مركز الصدارة وأنه كان يوجد فى الواحة معبد لاوزيريس له كهنته الخاصة به.

مقـــــبرة التمـــــــساح :

فى الركن الشمالى من منحدر التل توجد مقبرة منقوشة ، فتحتها نحو الشرق ، وتتكون من ثلاث حجرات جدران كل منها مكسوة بطبقة من الجص ، والحجرة الأولى فقط (شكل ٦٣) هى المزخرفة أما الاثنتان الأخريان فليس فيهما اية نقوش . وقد عثر على هذه المقبرة فى اكتوبر سنة ١٩٤٠ وكانت العائلة التى أقامت فى هذه المقبرة قد نظفت حجرة الدفن والحجرة الجانبية فقط لأنها وصلت اليهما من خلال كسر فى الصخر من مقبرة مجاورة .

أما الحجرة المنقوشة ، وهى الاقرب إلى المدخل فكانت ملآنه بالركام وأرضيتها تنخفض بمقدار أربع درجات عن المدخل وقد كشف عنها تماما فى يناير سنة ١٩٤١ .

الجــــدران المزخرفــــة :

من الملاحظ أن الجدران كسيت بطبقة من الجص الردئ ، أما الرسوم فقد نفذتها يد غير متمكنة من صنعتها ، فعلى جانبى المدخل صورت ثلاثة اجسام بلا رؤوس لثلاثة آلهة ممسكة بسكاكين فى ايديها وذلك بغرض حماية جثمان صاحب المقبرة . وفى الأصل كانت الالهة المصورة أربعة ، ليست ثلاثة ، يمثلون أبناء حورس

الاربعة وعلى اليمين وفى ركن الجدار الشمالى صورت الالهة حاتحور جالسة ممسكة بثلاثة جذور نباتات فى يدها اليمنى بينما تصب الماء من اناء فى يدها اليسرى كما يتدلى اناء آخر من رسغها .

وفى وسط الجدار توجد مشكاة صور على يمينها صاحب المقبرة جالسا على الكرسى وخلفة يقف آمون برأس كبش قابضا على سكين فى كل يد وقد لون جسم الاله باللون الأزرق بينما لون جسم صاحب المقبرة باللون الأحمر الفاتح ، وأسفل هذا المنظر نجد حصيرا مزخرفا بعناصر على هيئة اهرامات مدرجة ملونة باللونين الأزرق والأحمر ويحدها خطان باللون الأصفر ، وأسفل هذا يظهر تمساح مرسوم باللون الاصفر أما الخطوط المتقاطعة التى تمثل حراشيفه فهى باللون الأحمر (شكل ٦٤) . وتحت المشكاه نجد منظرا يصور شجرة عنب على جانبيها ثعلبان يأكلان من عناقيد العنب (شكل ٦٥) ، أما إلى اليسار من المشكاه فاننا نجد منظرين فى صفين : فى الصف الأعلى منظر يصور صاحب المقبرة يتعهد للاله أوزيريس . وفى الاسفل صورت الهتان تحميان باجنحتهما اله الشمس الذى يظهر جالسا فوق زهرة . اما المنظر الأخير على هذا الجدار فيصور صاحب المقبرة متعبدا للاله اوزيريس الجالس على كرسى وأيزيس واقفة خلفه وعلى الجانب الايمن من المدخل المؤدى إلى حجرة المدفن يوجد رسم لصاحب المقبرة أصابه تلف شديد ورسم آخر لشخص ذى لحية وشعر مجعد كثيف .

وعلى الجدار الجنوبى نجد آثار اشكال متبقية من منظر للاله تحوت فى حضرة اوزيريس ، ومنذ القدم اغلق مدخل حجرة الدفن الذى كان يحتوى على مناظر دينية وقد تهدم معظمه حينما تعرضت المقبرة للسرقة فى الازمنة الغابرة ، اما الجدار الجنوبى فقد اصابه دمار شديد بحيث لم يبق منه سوى جزء صغير رسم عليه الاله اوزيريس جالساً داخل هيكله . وأمامه مائدة قرابين وعلى الجانب الآخر من المائدة يقف الاله تحوت مصورا برأس طائر أبى منجل وجسم انسان وهو يكتب على لوحة وقد لون جسمه باللون الأصفر اما ازاره فهو مزخرف باللونين الأحمر والأزرق (شكل ٦٦) .

تاريـــخ المقـــــبرة :

يرجع تاريخ هذه المقبرة فيما يحتمل إلى أواخر العصر البطلمى أو اوائل العصر الرومانى اذ انه يمكن مقارنة بعض تفاصيل مناظرها ، خاصة موائد القرابين ، بمثيلاتها المصورة فى مقبرة سى ــ آمون الموجودة بنفس الجبانة ونظرا لان اسم صاحب لمقبرة قد ضاع فاننى افضل أن اسميها مقبرة التمساح لاسيما وان اهل سيوة اطلقوا عليها هذا الاسم حينما تم تنظيفها من الركام وظهرت الصور التى بداخلها .

ومن المحتمل انه خلال تلك الفترة كانت عبادة اله التمساح سبك فى سيوة ممثلة بهذه الطريقة التى صورت فى المقبرة . وبهذه المناسبة يجب الا يغيب عن الذهن انه خلال عصورها التاريخية كانت سيوة تحتفظ بعلاقات منتظمة مع الفيوم التى كانت للاله التمساح فيها منزلة عظمى .

وقد أثار رسم التمساح ضجة كبرى بين السيويين لذلك هرعوا لرؤيته حين تم تنظيف المقبرة ولسماع القصص التى يرويها مواطنوهم الذين كانوا يدعون انهم يعرفون كل شئ عن التماسيح عن طريق زيارتهم لحديقة الحيوانات فى القاهرة . وقد تسليت كثيرا بما سمعته من أوصاف للتماسيح . وقد انفقوا جميعا على ان التمساح يستطيع ان يبتلع رجلا او امرأة بينما انبرى واحد منهم ليؤكد لسامعيه ان التمساح يستطيع ان يبتلع جملا محملا . أما بالنسبة لطوله فان تقديراتهم تراوحت بين عشرة امتار ومائة متر . وقد اراد بعضهم ان يعرف الحقيقة منى ولكننى لم أشأ ان اقول شيئا فى هذا السبيل حتى لاافسد عليهم تسليتهم .

مقـــــبرة مســـــو ــ ايزيـــــــس :

تقع هذه المقبرة فى منتصف منحدر التل وعلى بعد حوالى عشرين مترا إلى الشرق من مقبرة سى ــ آمون وتتجه فتحتها نحو الشمال مع ميل خفيف نحو الشرق ولم يكن العمل فى المقبرة قد انتهى اذ ان الجدران لم تتم كسوتها بالجص من ناحية ولم ترسم عليها مناظر من ناحية أخرى ، كما ان حجرة الدفن لم يكن قد تم نحتها فى

الصخر رغم احتمال انها استخدمت فعلا فى الدفن (شكل ٦٧) .

والواقع ان الجدار المواجه للمدخل (حيث تم نحت مدخل حجرة الدفن) هو الذى كانت عليه ولو جزئيا ، بعض الرسوم ، وقد شيد المدخل المؤدى إلى المقبرة ذاتها من عدة طبقات من كتل الأحجار على هيئة الكورنيش . اما ارضية الحجرة الطويلة الأولى فهى أكثر انخفاضا عن المدخل ويتم الوصول اليها بواسطة بضع درجات منحوته فى الصخر .

وقد فتحت هذه المقبرة فى العصر الرومانى ونحتت عدة فجوات فى جدرانها الجانبية واستخدمت فى الدفن وكان عدد من هذه الفجوات سليما عند الكشف عن المقبرة فى اكتوبر عام ١٩٤٠ ولقد علمت انه عثر مع المومياوات على بعض التمائم والخرز . وكانت اثنتان من هذه المومياوات موضوعتين فى تابوتين من الجص مموهين بالذهب .

وفوق كورنيش المدخل المزخرف نجد واحدا وعشرين ثعبان كوبرا (الصل المصرى رمز السيادة) منقوشا وملونا وعلى رأس الواحد منها نقش قرص الشمس وقد لونت الثعابين بالاحمر والازرق وعلى جانبى كل من هذه الثعابين وكذلك على جانبى المدخل يوجد قرصان للشمس مجنحان ونصوص هيروغليفية ؛ اما على الجانب الايمن للمدخل فيشاهد الاله اوزيريس جالسا على مقعد وإيزيس جالسة فى مواجهته . ورغم ان الالوان لازالت محتفظة برونقها فان النصوص الهيروغليفية قد اصابها بعض التلف . وكان هناك قرص معدنى فوق المكان الذى به قرص الشمس المجنح باعلى المدخل ، وسواء كانت من الذهب ام كانت من البرونز فان هذه الاقراص كانت مغطاه بقشرة من الذهب ومثبتة فى الحجر بمسامير من المعدن .

ومن دراسة النصوص علمنا ان زوجة صاحب المقبرة كانت تسمى مسو — ايزيس ، اما اسم زوجها فقد اتلف جزئيا بحيث لايمكن قراءته على وجه التأكيد . وامام اوزيريس نجد سطرين من الكتابة يصفانه بانه « مقدم اهل الغرب (الموتى) أوزيريس الاله العظيم المبجل فى ثات » ومن المؤكد أن « ثات » هو الاسم القديم لسيوة او احد

الاماكن القريبة منها » وقد ظهر هذا الاسم فى هذه المقبرة وعلى جدار معبد ام عبيدة وفى مقيرة سى ــ آمون

ويرجع تاريخ هذه المقبرة إلى الفترة ما بين القرن الرابع إلى القرن الثانى قبل الميلاد وهى إلى حد ما تعتبر معاصره لمقبرة سى ــ آمون .

مقـــبرة ســــى ــ آمـــون :

هذه هى اهم مقبرة فى جبل الموتى وتعتبر بلا منازع اجمل المقابر الموجودة فى كافة واحات الصحراء الغربية ويزورها كل من حضر إلى هذه الواحة ولهذا السبب فسأصفها بشئ من التفصيل .

تقع المقبرة إلى الغرب قليلا من مقبرة مسو ــ ايزيس وتتجه فتحتها نحو الشمال وقد تم اكتشافها فى اكتوبر عام ١٩٤٠ وقد تعرضت مناظرها التى كانت عند اكتشافها فى حالة جيدة للتلف على ايدى الجنود الذين كانوا فى سيوة فى ذلك الوقت والذين قطعوا اجزاء من الجص وما عليه من رسوم .

وتصميم هذه المقبرة يشبه تصميم مقبرة مسو ــ ايزيس اذ يودى درج إلى مدخل حجرة طولية فى نهايتها حجرة الدفن ولقد تعرضت هذه المقبرة شأنها شأن بقية المقابر للنهب فى العصر الرومانى (شكل ٦٩) ، وفى ذلك الوقت نحتت عشر مشكاوات فى الحجرة الرئيسية لاستخدامها لدفن افراد اسرة ــ خمسة فى كل من الجدارين الشرقى والغربى ــ وقد عثر على عدد كبير من المومياوات فى هذه المشكاوات عند اكتشافها سنة ١٩٤٠ ولكنها كانت محنطة بطريقة سيئة ، وعثر كذلك على بعض الآثار القليلة التى بيعت للجنود .

وقد تسبب نحت هذه المشكاوات فى تدمير ما لا يقل عن ربع المناظر الرئيسية التى كانت مصورة على الجدران ورغم كل ذلك ورغم ، اصاب كثيرا من المناظر بعد اكتشاف المقبرة فانها لازالت تحتفظ بالعديد من مناظرها سواء على الجدار ام فى السقف .

والصخر المنحوته فيه المقبرة من نوع جيد ، كما ان طبقة الجص التى استخدمت لكساء الجداران من نوع جيد كذلك فضلا عن ان الفنانين الذين رسموا ولونوا الاشكال كانو على درجة كبيرة من المهاره ويغلب على الظن انهم اتوا من وادى النيل .

صاحـــب المقـــبرة :

صاحب هذه المقبرة رجل يدعى سى ـــ آمون وتظهر صورته على الجدران فى عدة مناظر مطلقا لحيته وله شعر اسود كثيف مجعد وبشره بيضاء ، ومن الجدير بالملاحظة اننا لم نجد له القابا ، او بعبارة أخرى فانه لم يتقلد منصبا دينيا فى احد المعابد كما انه لم يكن من بين رجال الادارة فى الواحة . ورغم ذلك فان مقبرته تدل على انه كان رجلا مهما توافرت له الثروة التى تمكنه من اقامة مثل هذه المقبرة الضخمة ، ويغلب على الظن انه كان من ملاك الأراضى او من كبار التجار . اما اسمه فيعنى حرفيا « رجل آمون » وهو اسم مصرى شائع بينما كان والده يسمى بريتو [٢٢] وهو اسم غير مصرى بأى حال من الأحوال . اما امه فكانت تدعى « نفرحرت » بمعنى « جميلة الوجه [٢٣] والمناظر الباقية فى المقبرة لاتتضمن رسما لأى منهما اما باقى افراد الاسرة المصورين فهم زوجة سى ـــ آمون وابناه الاثنان . وتتميز زوجته بلون بشرتها الخمرى المائل للحمره وكانت تسمى رعت . أما ابنه الأكبر فان بشرته شقراء مثل بشرة والده بينما شابه لون بشرة الابن الأصغر لون بشرة امه. وكان هو الأبن المفضل لدى والده ونراه مرتديا زى شاب يونانى من سنه فى ذلك الوقت .

وفى رايى ان والد سى ـــ آمون كان يونانيا هاجر إلى مصر ـــ اما من اليونان واما من قورينه وتزوج من سيدة مصرية واعتنق الديانة المصرية ورغم ان سى ـــ آمون تزوج هو الآخر من سيدة مصرية إلا ان اعتزازه بأصله اليونانى جعله يطلق لحيته وشعره الاسود المجعد على الطريقة اليونانية ويجعل ابنه يرتدى ملابس مثل ملابس ابناء اليونانيين .

وحينما عاش سى ــ آمون فى سيوة كانت هذه الواحة محطة فى غاية الاهمية للقوافل بين قورينه على الساحل وبين السودان ، فمنذ نشأة قورينه حوالى ٦٣٠ق .م شغلت مركزا تجاريا حيويا الا اننا لانستطيع القول ما اذا كان ابوه قد عاش قبله فى سيوة ام لا . ويرجع تاريخ المقبرة إلى القرن الثالث قبل الميلاد .

وصــــف المــــناظر :

تتجه فتحة المقبرة نحو الشمال وكان يتقدمها فناء نحتت فيه مقبرتان اخريتان ، واحدة ناحية الشرق والأخرى ناحية الغرب ويمكن الوصول إلى المدخل عن طريق درج ، اما المدخل نفسه فانه مصمم على هيئة الكورنيش ، اما واجهة المقبرة فلا تحمل اية نقوش ولم يبق عليها ايه آثار لالوان ، ونظرا لانه من المستحيل ان اقوم بوصف تفصيلى لكافة مناظر المقبرة فسأشير إلى بعضها فقط .

الجــــدار الغــــربى :

تتوزع مناظر هذا الجدار فى صفين ففى النصف الشمالى من الصف العلوى صورت قاعة المحاكمة حيث يشاهد أوزيريس جالسا فى هيكله وامامه منظر وزن القلب بالاضافة إلى الارباب الاثنين واربعين . وإلى يمين الميزان يقف الوحش « عم » وصاحب المقبرة الذى تحميه الالهة ماعت . ولسوء الحظ فان ثلاث فجوات حفرت فى هذا المنظر مما ادى إلى اتلاف معظمه ورغم ذلك فقد بقيت بعض اجزاء من . المنظر وعلى سبيل المثال : الاله اوزيريس والوحش « عم » الذى كان من المفروض انه سيلتهم المذنب ، وقد بقى جزء كبير من النص المصاحب للمنظر ، وفى الصف الأسفل بالقرب من المدخل نرى سى ــ آمون جالسا على كرسى بينما يقف امامه ابنه الأصغر ذو الشعر الكثيف الأسود المجعد مرتديا عباءة قصيرة يونانية الطراز (شكل ٧٠) وعلى مقربة تقف الالهة نوت بجوار شجرة جميز وفى يدها اليمنى صحيفة عليها قرابين من الخبز بينما تمسك بيدها اليسرى اناء تصب منه الماء فى بركة وبين فرعى

الماء المتدفقين رسمت سلسلة من علامات الحياة [٢٤] (شكل ٧١) . وإلى يسار هذا المنظر صور سى ـ آمون وهو يتعبد لعدد من الآلهة بقى من بينهم الالهة ايزيس وطائر البنو .

وتستمر المناظر على النصف الجنوبى من الجدار ، ففى الصف الأعلى نجد رسما لباب وهمى وإلى يساره نشاهد سى ـ آمون جالسا على مقعد من طراز مألوف لدينا وممسكا بعصى طويلة من الابنوس المطعم بالذهب ، وإلى يمين الباب الوهمى كان مصورا ستة آلهة بقى منهم اثنان فقط هما رع ـ حورس ونفتيس (شكل ٧٢) . وفى الصف الأسفل يوجد منظر التحنيط حيث المومياء ممدة على سرير اوزيريس ويتولى انوبيس امر الجثمان بينما تقف ايزيس عند رأس زوجها ونفتيس عند قدمية وخلف نفتيس يقف ابناء حورس الأربعة امستى وحابى ودواموتف وقبحسنوف . ويصور المنظر الأخير فى الصف السفلى سى ـ آمون جالسا على كرسى ممسكا برمز الحياة فى يد ورمز التنفس فى اليد الأخرى (شكل ٧٣) وأمامه صندوق ظهرت عليه الأدوات التى كانت تستخدم فى طقس فتح الفم وعلى الجانب الآخر وقف الابن الأكبر للمتوفى مرتديا جلد فهد وممسكا بكلتا يديه بالادوات المستخدمة فى هذا الطقس ويمكن رؤية زوجة سى ـ آمون واقفة خلفة (اى خلف الابن الأكبر) ولسوء الحظ فقد تمكن بعض الاشخاص فى وقت ما بعد عام ١٩٦٥ من قطع صورة سى ـ آمون وسرقتها ، وكان الجدار المقابل لمدخل المقبرة حيث نحتت حجرة الدفن تزينه النقوش ولكن لم يبق منها شئ .

الجـــدار الشـــرقى :

سوف اقدم الآن وصفا مقتضبا للجدار الشرقى مبتدئا من مدخل المقبرة ، فعند دخولنا المقبرة نجد إلى اليسار ، اى فى الركن الشمالى ، ان الجدار كان مقسما إلى صفين : الصف الأسفل وعليه منظر يصور المومياء داخل ظلة قارب ومحمولا على عربة ذات عجل (شكل ٧٤) ويجرها شخصان وإلى يسار الظلة يظهر طائر البا برأسه الأدمى وإلى يمينه [٢٥] يقف الاله وبواوت مصوراً على هيئة ابن آوى وتتقدم الظلة اعلام الالهة

حورس وتحوت وانوبيس ، ومقدمة القارب ممثلة على هيئة زهرة اللوتس فى حين ان مؤخرته قد تهشمت . وفى الطرف الشمالى للجدار الشرقى يوجد تصوير لباب وهنا نرى على يمينه سى ــ آمون بينما تحلق الهة الرخمة نخبت فوق رأسه وإلى الخلف منه صندوق الأدوات الخاصة بطقس فتح الفم ونرى كذلك ابنه الذى يرتدى جلد فهد ويمسك فى يده اليسرى ادوات ألورت حكاو والتى كانت تستخدم فى مثل هذا الطقس (شكل ٧٠) ومن الملاحظ ان الالهة الرخمة قد صورت بعناية فائقة وبذوق فنى رفيع وكانت كاملة عند الكشف عن المقبرة .

ويرى سى آمون وهو يتعبد لعدد من الالهة ومن المحتمل أن مائدة غنية بقرابينها كانت مصورة امامه ولكنها ضاعت حينما قطعت احدى الفجوات فى هذا الجدار . ويتقدم الالهة آمون الذى تتبعه الهة يحتمل جدا ان تكون زوجته موت وخلفها تقف حاتحور متجهة نحو اليمين وممسكة بالاله دوامونف بكلتا يديها (شكل ٧٦) .

وعلى الجانب الآخر من الفجوة صور الهان ينظران ناحية اليمين اولهما هو الاله ماحيسا الممثل بجسم انسان ورأس أسد وثانيهما انثى تمسك فى يدها اليمنى بشخشيخة حاتحور . وآخر منظر من مناظر هذا الجدار يصور سى ــ آمون واقفا يتعبد لأوزيريس وايزيس،ولم يمكن العمل قد اكتمل فى تصوير مناظر هذه المقبرة ففى المناظر السالف ذكرها لازال فى امكاننا ان نرى شبكة المربعات التى رسمها الفنان قبل ما كان يعتبره العمل النهائى بكل الوانه (شكل ٧٧) وقد صورت ملابس الآلهة بعناية فائقة والواقع انها تعتبر من افضل نماذج الفن المصرى من العصر المتأخر .

الافــــريز العــــلوى :

يتكون الافريز العلوى لجدران هذه المقبرة من تصميمين : الأول القريب من المدخل يتألف من خراطيش غفل من النقوش وفوقها خط عرضه اربعة سنتيمترات مقسم إلى مربعات صغيرة وتحت الخراطيش يوجد خط من رسوم الوريدات (شكل ٧٥) اما التصميم الثانى فيتألف من خط عريض به نصوص فضلا شريط من المربعات

الصغيرة الهندسية الشكل . وتحت هذه النصوص رسمت علامة السماء الهيروغليفية طويلة نسبيا . وتتكرر الخراطيش الخالية من النقوش فى مجموعات : اثنان بلون ازرق ثم اثنان آخران بلون أصفر ويفصل كل مجموعة عن الأخرى ثلاثة خطوط عريضة مقوسة وتظهر كل وريده فى النقوش داخل مربع صغير ولكل واحدة منها ثمانية وريقات ونقطة فى الوسط .

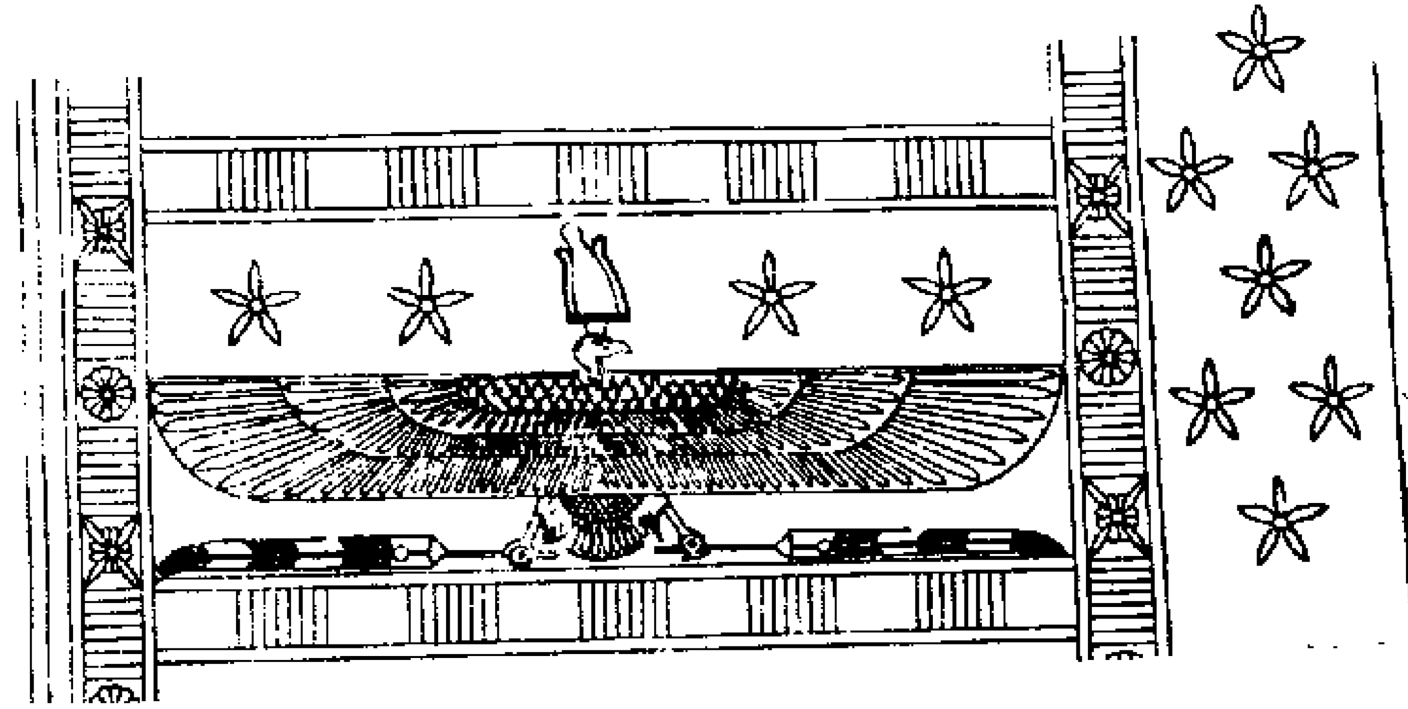
السـقف

يلاحظ ان السقف قد زخرف زخرفة بديعة ولايزال فى حالة جيدة وعندما اكتشفت المقبرة جرت محاولات لاقتطاع اجزاء من الصور ، غير انه تمت ازاله الركام الذى تجمع داخلها بسرعة وبذلك صار السقف بعيداً عن متناول ايدى العابثين وتنقسم زخرفة السقف إلى ثلاثة اجزاء فاعلى منتصف الحجرة توجد خمسة خطوط افقية عريضة تربط بين الجدارين كل منها مختلف فى تصميمه فيحتوى الأول على نصوص مكتوبة بعلامات ملونة بالأصفر عى ارضية زرقاء والثانى ملون باللون الأزرق اما الثالث فهو عبارة عن تقليد جيد للخشب بينما يتكون الرابع من صف مزدوج من النجوم الملونه بالاصفر على أرضية زرقاء أما الخط الخامس فقد لون باللون الأصفر (شكل ٧٨) وابتداء من موضع النصوص حتى نهاية المقبرة فان زخرفة السقف عبارة عن خط من الكتابة الهيروغليفية فى الوسط وعلى كل جانب توجد صفوف متتابعة من الصقور والعقبان اجنحتها منتشرة وتمسك بريش فى مخالبها (شكل ٧٩) . ويمثل الصقر مصر السفلى بينما يمثل العقاب مصر العليا . وعلى جانبى كل واحد منهم رسمت نجمتان . وعلى كل جانب من جانبى التقسيمات السالفة يوجد نوعان مختلفان من الوريدات منتظمة فى شريط ملون .

أما بالقرب من مدخل المقبرة فان زخرفة السقف تتكون مما يلى : إلى الأمام يوجد خط افقى من الكتابات وفى المنتصف صورت نوت ربة السماء ولون جسمها باللون البنى الفاتح اما وجهها فقد تهشم عند الكشف عن المقبرة وعلى رأسها المتجه تجاه المدخل نجد علامة السماء الهيروغليفية مزينة بالنجوم وتحت قدميها رسم رمز

الأرض ملون بالاصفر الذى تتخلله نقاط سوداء ممثلا للرمال المختلطة بالحصى وتخرج الشمس المجنحة من الجزء الأوسط من جسم الالهة وإلى يمينها ويسارها نجد السماء الزرقاء مرصعة بالنجوم صفراء اللون وعلى كل جانب صورت ثلاثة قوارب سابحة فوق المياة . وهذه القوارب الستة التى يستخدمها اله الشمس اثناء رحلتى النهار والليل وكلها تتشابه فى مظهرها العام حيث شكلت مقدماتها ومؤخراتها على هيئة الزهور ولكنها تختلف فى تفاصيلها الداخلية الدقيقة كما تختلف الآلهة المصورة داخلها . والقارب الذى وقع عليه اختيارى كمثال (شكل ٨١) يصور الساعة الأولى من ساعات شروق الشمس حينما يخرج الاله خبر من بيضته بمساعدة ايزيس ونفتيس فى حين يقف حورس بالقرب من المجاديف بينما يقف تحوت خلف نفتيس .

حينما قام برشيا بزيارة جبل الموتى عام ١٩٢٨ كان شديد التشاؤم بالنسبة لما قد تسفر عنه الحفائر الاثرية هناك أو كان يعتقد انها لاطائل وراءها ورغم ان العمل الذى قام به الاهالى فى اكتوبر سنة ١٩٤٠ لم يكن منتظما فانه بين أن تشاؤم برشيا لم يكن فى محله وحتى فى الوقت الحاضر وبعد كل الجهود التى بذلت فى الحفر وفى الكشف فى كل جوانب التل فليس لدى ادنى شك فى ان الحفائر المستقبلة فى هذه الجبانة سوف تقدم لنا مادة علمية جديدة وربما تؤدى إلى اكتشاف المزيد من المقابر ومقبرة سى ــ آمون خير شاهد على ذلك فدعونا نأمل فى العثور على عدد آخر من المقابر المنقوشة فى هذا التل ليساعدنا ذلك على تفهم اكثر لتاريخ سيوة القديم .



الهــوامش

هوامش المقدمة

(١) ان ٣٦ ٪ من مساحة سطح الأرض اليابسة يمكن وصفه بأنه صحراء ، ومساحة المنطقة القاحلة (Arid Zone) فى شمال أفريقيا هى ٧٥٠,٠٠٠ر١٧ كم٢ ـ أنظر
Peveril Meigs, Arid Zone Hydrology, (UNESCO, 1957.

(٢) Ball, Contributions to the Geography of Egypt (Cairo, 1953). P. 1.

(٣) Ibid., P. 2.

(٤) مجموع سكان محافظات الحدود الأربع حسب تعداد ١٩٦٦ كان ٢٥١٨٥٨ر شخصا ، وكان يدخل فى هذا الرقم الفلسطينيون الذين استقروا بعد حوادث ١٩٤٨ فى رفح والشيخ زويد والعريش ، كما يشمل العمال الذين كانوا يعملون فى ذلك الوقت فى مناطق حقول البترول والمناجم الأخرى فى سيناء .

(٥) Ball, op. cit., pp. 19-10.

(٦) مجموع سكان الواحات الخمسة التى فى الصحراء الغربية حسب تعداد ١٩٦٦ هو ٧٥ر١٦٥ نسمة ، أما عدد سكان منطقة الساحل الشمالى من هذه الصحراء فهو ٩٧ر٤٨٨ وعدد سكان وادى النطرون ١٠ر٤٨٠ أى أن مجموع سكان الصحراء الغربية جميعهم بما فى ذلك الواحات والشاطئ الشمالى ووادى النطرون هو ١٨٣ر٠٦٥ نسمة .
لقد تغيرت هذه الأرقام تماما وفقا للاحصاء الأخير (المراجع) .

هوامش الفصل الأول

(١) تم رصف هذا الجزء الآن (المراجع) .

(٢) قبل وصول هذا الدرب إلى عين المغرة ، يوجد عند المكان المعروف باسم مطعن فرين طريق صحراوى يتجه شمالا إلى « عين أبو دربى » على حافة منخفض القطارة ومن هناك يستمر حتى يصل إلى العلمين على شاطئ البحر .

(٣) البحيرات المهمة الأخرى هى بحيرات أو ملاحات خميسة والمراقى فى الجزء الغربى من الواحة .

(٤) أكبر كمية من الأمطار سقطت فوق سيوة فى السنوات التى توجد عنها سجلات كانت ٢٨ ملليمترا فى يوم واحد ، وكان ذلك فى يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٩٣٠ ـ وقد شهدت سيوة فى السنوات القريبة فصلا شديد المطر استمر فيه هطول المطر أكثر من يوم واحد بصفة تكاد تكون مستمرة ، وكان ذلك فى شهر يناير ١٩٧٠ .

(٥) خريطة سيوة ١ : ٥٠٠ر٠٠٠ لوحة رقم ١ (مايو ١٩٣٧) مطبوعات مصلحة المساحة المصرية ، وكذلك البحث الذى كتبه أ . أزديان
A. Azadian, "L'Oasis de Siouah et ses sources", Bulletin de l'Institut d'Egypte, T. IX (1926 -7) pp. 105 - 114.

(٦) مقدار تصرف المياه المتدفقة من عين قريشت ٣٠٠٠ جالون فى الدقيقة .

(٧) المقريزى ، هو تاج الدين أحمد بن على (١٣٦٤ ـــ ١٤٤٢م .) ولد بالقاهرة وله مؤلفات كثيرة منها « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » الذى يشار اليه باسم خطط المقريزى أو الخطط . وكتاب « السلوك لمعرفة آثار الملوك » وغيرها . وبالرغم مما وجهه اليه بعض ناقديه من لوم فان كتاب الخطط فى مجموعة من المؤلفات الهامة الجديرة بالاحترام ويتضح فيها الصدق فى روايته ـــ أنظر .

S. and N. Ronart, Concise Encyclopaedia of Arabic Civilization (1959), P. 348.

وسيرد فيما بعد ، فى هذا الكتاب ، ما ذكره المقريزى عن منطقة المراقى فى كتاب الخطط .

(٨) هيرودوت : كتاب التواريخ ، الجزء الرابع فقرة ١٨٢ ـــ الامونيون هم سكان واحة سيوة لان اسمها اشتهر فى أيام هيرودوت بأنها واحة آمون نظرا لوجود معهد آمون الذى كان مركزا للوحى والتنبؤ بما سيحدث فى المستقبل فى هذه الواحة ، ومكانه الآن فوق صخرة أغورمى .

(٩) النخيل من أقدم النباتات المعروفة فى مصر ونراها مرسومة على الآثار منذ عصر ما قبل الأسرات . وقد لعبت النخلة دورا هاما فى فن وديانه المصريين القدماء ، أنظر كتاب

Ingrid Wallert, Die Palmen in Alten Agypten, Berlin 1962.

(١٠) الزقالة هم العمال غير المتزوجين الذى يعملون لدى بعض الملاك ، وكانت هذه الجماعة من الشباب تعمل فى الحدائق والحقول أثناء النهار ، ومع الوقت أصبحوا أيضا نوعا من حفظة النظام وحراس المدينة فى الليل وأصبحت لهم بعض الحقوق والامتيازات ومن بينها ضرورة موافقتهم على أى اتفاق يعقد بين الفريقين المتنافسين أى بين الشرقيين والغربيين ، وسنعود إلى هذا الموضوع بشئ من التفصيل فى الفصل الخاص بالعادات والتقاليد .

(١١) تعنى كلمة « الحطية » محلة أو قرية صغيرة تحيط بها الحدائق التى تعتمد فى ريها وزراعتها على عين أو أكثر من عيون المياه .

(١٢) نجد هذه المجموعات من الكلمات فى كتب من زاروا سيوة ابتداء من أواخر سنى القرن الثامن عشر ، نجدها مثلا فى كتاب Horneman, Tagebuch seiner Reise von Kairo nach Murzuck (Weimer, 1802); Fredric Cailliaud, Voyage a Meroe (1819-1822); H.M. von Minutoli, Reise zum Temple des Jupiter Amon (Berlin, 1820)

وفى المخطوط الذى كتبه ب. دروفتى الذى زار سيوة عام ١٨٢٠ والذى نشر فى عام ١٩٣٥

Giovanni Marro, "Un cimelie del viaggie di B.Drovetti all'oasi di Giove Ammon", in Bulletin de la Soc.Roy. de Geogr. d'Egypte, T.XIX (1935), pp. 8-16

كما نجد أيضا مجموعات من الكلمات السيوية فى Brichetti-Robecci, All'Oasi di Giove Ammone Viaggie, 1889; وفى C.V.B. Stanely, "The Oasis of Siwa", (Milano, 1900) Journal of African Society, London, 1911

وفى مقال J.E. Quibell, "A Visit to Siwa", in ASAE (1917)

وفى مقال مصطفى ماهر Mustafa Maher, "L'Oasis de Sieuah" in Bulletin de la Soc. Sult. de Geographie d'Egypte, 9 (Cairo, 1919) (وقد زار مصطفى ماهر واحة سيوة عام ١٨٩٣)

كما نجد أيضا مجموعة هامة من الجمل والكلمات فى كتاب عبد اللطيف واكد ، واحدة آمون (القاهرة ١٩٤٩) .

هوامش الفصل الثانى

(١) قامت بريجيتا.شيفر بدراسة مفصلة لموسيقى واحة سيوة (وأغانيها) بما فى ذلك أهم أغانى الزقالة ، وقدمت بحثها لنيل درجة الدكتوراة لجامعة برلين وهى منشورة تحت عنوان :

Brigitte Schiffer, Die Oase Siwa und ihre Musik (Bottrop, 1936).

(٢) يوجد فى سيوة قانون أو على الأصح تعليمات مشددة بعدم بيع الخمور ولكن الزقالة لا يجدون لذة عند اقامتهم لأى حفلة الا اذا سكروا وهم لا يعدمون ، وسيلة الى ذلك سواء بالحصول على الخمر الرخيص أو شراب اللبجى المتخمر أو الكحول اذا لزم الأمر .

(٣) لم يكن من الأمور النادرة ، حتى عام ١٩٢٨ ، عمل نوع من التعاقد بين ذكرين ، وهو الذى اصطلح بعض من زاروا سيوة فى القرن الماضى وأوائل سنى هذا ــ القرن على تسميته « عقد زواج » ، ولكن منذ زيارة الملك فؤاد لهذه الواحة امتنع ذلك تماما . فقد صدرت الأوامر بتوقيع أشد أنواع العقوبة على من يقترف مثل هذا الجرم الذى يخالف الدين ولا تقره الاخلاق ، وبالرغم من هذه الأوامر المشددة ، فان مثل هذه العقود ظلت وقتا غير قصير تجرى فى سرية تامة ، ودون تحرير كتابى أو اظهار العلنية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، ولكن تطور الحياة الاجتماعية فى سيوة ، وبخاصة فى الحياة الاجتماعية فى الواحة ، وانتشار التعليم وكثرة اختلاط السيويين بالوافدين الى واحتهم كاد يقضى نهائيا على مثل هذه الاتفاقات . كان الاحتفال بزواج غلام يجرى علانية مصحوبا باقامة المأدب وحفلات الرقص والغناء ودعوة الاصدقاء وكان والد الغلام يتقبل فى كثير من الحالات ، تهانى أصدقائه . وكان المهر الذى يدفعه الرجل لأجل زواج الغلام ، لفترة ــ يحددها العقد ــ والهدايا التى يقدمها أكثر مما كان يتكلفه الزواج من فتاة . ومن يريد الوقوف على تفاصيل أوفى عن هذا الموضوع فليرجع الى ما كتبه جورج شتيندورف الذى زار واحة سيوة فى عام ١٩٠٠ ، فى كتابه .

G. Steindorff, Durch die libysche Wuste zur Amonsoase (Bilfild und Leipzig, 1904), pp. 111-2.

(٤) كان دارلميل بلجريف أول مأمور عسكرى لسيوة بعد طرد قوات الحلفاء للسنوسيين من هذه الواحة عام ١٩١٧ ــ وقد شغل بلجريف كثيرا من المناصب السياسية كان آخرها عند احالته على المعاش مندوبا ساميا لانجلترا فى البحرين عند استقلالها ، انظر كتابه .

Belgrave (C. Derlymple). Siwa: The Oasis of Jubiter Amon (London. 1923). pp. 149. 150

(٥) لا يمكننا أن نتوقع فى مجتمع لا يقف رجاله عند حد فى الجرى وراء لذاتهم أن تحيا نساؤه حياة القديسات ، وخصوصا اذا كان العمال وهم من الشبان غير المتزوجين يتناولون وجبات طعامهم فى المنزل الذى يسمح لهم بالدخول فيه فى أى لحظة يشاؤون وأنى أقتبس هنا فقرة مما ورد فى « مخطوط سيوة لما لها من دلالة : النساء اللاتى يرتكبن جريمة الزنا كن يعاقبن اما بقتلهن أو بالنفى الى الواحات البحرية » ولكن ذلك كان يحدث فيما مضى من

أيام ، وقد سألت كثيرا من السيويين عما اذا كانوا قد عرفوا أو علموا بقتل امرأة بعد اتهامها بالزنا أو انها نفيت الى الواحة البحرية ولكنهم ذكروا جميعا أنهم لم يشهدوا أو يسمعوا بشيء من ذلك في القرن الحاضر على الأقل أن كل ما يمكن عمله ازاء امرأة يثبت عليها الزنا هو أن يطلقها زوجها اذا كانت متزوجة أو — يبقون الأمر كله سرا في العائلة خشية الفضيحة .

(٦) يركب الرجال فوق الحمير وقد وضعوا كلا من الرجلين على أحد جانبي الحمار وعند الركوب يمسكون بلجام الدابة في احدى اليدين ثم يثبون من فوق الأرض ليجلسوا فوق ظهرها واذا سألهم سائل عن سبب ركوبهم على هذه الصورة أجابوا بأن النساء — فقط والضعفاء من الرجال والمتقدمين في السن هم الذين يركبون الحمير وقد تدلت الرجلان على الجانبين وبهذه المناسبة فان جميع الحمير التي يراها الزائر في المدينة أو على مقربة منها انما هي من الذكور فقط ، أما أناث الحمير فانهم في قرية أبو شروف حيث يأخذون الى هناك ذكور الحمير . والسبب في ذلك أن أهل سيوة المحافظين يحرصون على الا يرى نساؤهم أو بناتهم أي شيء يذكرهن بالعلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى .

(٧) للرقمين ثلاثة وسبعة مكانة خاصة بين العرب وهي مكانة انتقلت الى كل مسلمي أفريقيا . وكان الرقمان اثنين وخمسة يحتلان نفس المكانة بين البربر قبل تحولهم الى الاسلام ولا زالا يلعبان دورا رئيسيا في حياة البربر بما في ذلك أهل سيوة .

(٨) الحنة عبارة عن نبات ينبت بكثرة في مصر : وتستخدم أوراقه وزهوره في صنع مواد التجميل وكذا في التحنيط في أيام مصر القديمة . وتستخدم عجينة ورقه في صبغ الشعر والأيدي والأقدام .

(٩) وهذا يعني أن كل واحد من الأقارب ينبغي أن يقدم بعض النقود الى الحلاق حتى يحلق خصلة أو أكثر من الشعر متبقية في رأسه وتكون قد تركت خصيصا لهذا الغرض . ويجرى هذا وسط غناء النساء ومرحهن .

(١٠) عين طموسى هذه لها مغزى في حياتهم التقليدية في سيوة ، وسوف نسمع المزيد في الفقرات التالية حين نتحدث عن الزواج في هذا الفصل .

(١١) لمزيد من تفاصيل عادات الزواج أنظر مؤلفات Schiffer وهي Die Oase Siwa, pp. 27-29
وكذلك Steindorff, Amonsoase, 111-2
وكتاب محمود محمد عبد الله: "Siwan Customs" Haward African Studies, I,8-17
وكذلك للمؤلف Siwa Oasis; Its History and Antiquities, (Cairo, 1944), pp. 12-13.

(١٢) وهو ملاءة كبيرة من الصوف أو الحرير يلف البدو بها أنفسهم ولا يستخدمها الا ميسورو الحال منهم .

(١٣) منذ ثلاثين سنة مضت كانت الهدايا التي يقدمها العريس لا تتعدى ٢٠ — ٣٠ جنيها في أوساط أغنى العائلات .. أما في السنين الحالية فيعتبر مبلغ ١٥٠ جنيهاً مبلغا متواضعا .

(١٤) فى الأزمنة السابقة كانت العروس تؤخذ الى عين الجوبات « وهى عين الشمس » القديمة التى سميت « عين الحمام » أى « عين الاغتسال » نسبة الى هذا الاحتفال ومنذ منتصف القرن الماضى وأهل سيوة يفضلون أخذ العروس الى عين طموسى نظرا لبعدها عن الطرق المزدحمة ويتسنى بذلك للنساء التمتع بالبعد عن العامة .

(١٥) لقد كانت العادة لنحو خمسين سنة مضت أن يأخذ العريس (سباطة) من بلح النخيل وقبل دخوله الغرفة ينزع ثيابه البيضاء ويغسلها ويلفها حول السباطة ويشعل فيها النار ، وبعد ان تقترب من الاحتراق الكامل يضعها على حجرين موضوعين بعيدا عنهما الى أن تحترق كلية . فاذا انكسرت كان ذلك فألا سيئا . ولكن فى أيامنا هذه لا يجرى اتباع هذه العادة .

(١٦) منها مرجونة لاستخدام الزوج عندما يأخذ طعامه الى الحدائق خلال الشهور القليلة الأولى من حياته الزوجية .

Maher, "L'Oasis de Siwah", p.101

(١٧) ذكر ماهر هذه العادة ببعض التفصيل فى :

وانظر كذلك

Belgrave, Siwa, p.22, Steinserff, Durch de Labysche, p.112

Schiffer, Amcnsoase, pp.29-30

Abdallah, "Siwan Customs", pp.11-13.

وواكد ، واحة أمون ، ص ١٣ — ٣٢ .

(١٨) ليلة اليوم التاسع من شهر المحرم .

(١٩) لقد أدخلت حديثا الى سيوة الأسماك الصغيرة التى يمكن رؤيتها فى القنوات الصغيرة للعيون وهى أنواع خاصة من الأسماك تستطيع الاعتماد على بيض البعوض الحامل للملاريا .

(٢٠) لمزيد من التفاصيل عن هاتين العادتين انظر أحمد فخرى واحة سيوة ص ١٦ ، ١٩ .

(٢١) نوقش عدد من هذه الخرافات فى المقال الذى كتبه عبد الله:

Abdallah, "Siwan Customs", pp.21-23

وكذلك فى

Oric Bates, "Siwan Superstitions", Cairo Seientifie Journal, vol.5, No.55 (Cairo, 1911)

وفى الفصل الرابع من

Belgrave, Siwa..., pp.207-88.

هوامش الفصل الثالث

(١) عن عدد من هذه التكهنات والأماكن المختلفة فى العالم التى تعرف باسم سيوة أو سيبا أو سيوى أنظر.
Schiffer, Die Oase Siwa..; PP. 85-86, Footnotes 69-71

(٢) سيرد مزيد من التفاصيل عن (سنتريه) واسم « سيوة » فى القسم الخاص بتاريخ سيوة فى العصور الوسطى.

(٣) K. Sethe, "Die Aegyptischen Bezeichnumgen fur die Oasen und Ihre Bewonner", Z.A.S. 55, 49 ff.

(٤) Ibid, pp.49 ff.

(٥) لفت نظرى الدكتور هنرى فشر الى ما نشر فى Gardiner, Papyrus Wilbour, 11, P. 31, N.6. حيث أشار كل من نيوبرى وكيمر الى ان ترجمة i,m بمعنى نخيل يعتبر خطأ.

(٦) Laoust, Encyclopedie de l'Islam, T.IV, p. 485.

(٧) لمزيد من التفاصيل انظر Suliman Ahmad Huzayyin, The Place of Egypt in Prehistory, pp. 243, 298 and 432, pl. Xiii and figs 5-7
وقد نشر بيتس رأس السهم الذى وجده فى كتابه The Eastern Libyans, p. 145
وأعاد نشره Alexander Scharff, ZAS, 61, 28

(٨) Fakhry, Siwa Oasis, p. 22 وأنظر كذلك Huzayyin, op. cit., 242-3

(٩) Hermann Kees, Ancient Egypt, (Chicago, 1961) p.28.

(١٠) وعلى كل فان ترجمة كلمة « تحنو » بأرض الزيتون قد عارضها كيمر Keimer فى
BIFAO, 31 (1931), PP. 121 ff.

(١١) ان أقدم اشارة الى أرض التحنو توجد على أثر من عهد الملك العقرب (Cat. Gen. 14238) من عصر قبيل الأسرات وتصور الجزية التى جلبت من أراضيهم، انظر كذلك : Quibell, Hieraconpolis, I, Pls. 15, 17 and P.7
ولمزيد من الأدلة من الفترة المبكرة من تاريخ مصر أنظر : Wilhelm Holscher, Libyer und Aegypter (1937), PP. 19-23.

(١٢) هولشر / المرجع السابق ص ١٩ ــ ٢٢

(١٣) ناقشت هذه النقطة ببعض التفصيل فى كتابى Bahria Oasis, vol.I, (1942) PP. 5-10

(١٤) أنظر L. Borchardt, Sahure, II, PL.I والاسم الثالث هو (وسا) وقد يكون من أصل ليبى.

(١٥) لا يعتقد كارلتون كون Carlton Coon فى كتابه Races of Europe (1939) بأن الأصل الشمالى لليبيين أمر محتمل ويقترح بدلاً من ذلك أصلا من أواسط اسيا وهو أمر غير محتمل كذلك.

(١٦) انظر Wreszinski, Atlas, II, pl. 50 a وانظر كذلك P. Newberry, Beni Hasan, I, pls. 45, 47.

(١٧) أنظر كذلك التفاصيل الهامة التى أوردها جان كلير Jean Clere
"Fragments d'une Nouvelle Representation Egyptienne du Mond" MDIK 16 (1958). PP. 40-43.

(١٨) فى الفترة من ابريل الى مايو سنة ١٩٧١ اكتشفت فى بقعة مجاورة لبلاط بالواحة الداخلية جبانة حكام الواحة خلال الأسرة السادسة (انظر اعلاه ٧٣ — ٧٤).

(١٩) فى بعض ما كتبته سابقا عن الواحة مثلا (Siwa Oasis.., p.25) كنت مقتنعا بأن سيوة كانت احدى الواحات التى تنتمى الى المجموعة الشمالية وانها تمصرت تماما فى عصر الأسرة الثامنة عشر.

(٢٠) Khun B. de Provok, "Ancient Trade Routes from Carthage into the Sahara", Geographical Review, 15 (1925), PP. 190-205; and W.B.K. Shaw, "Darb al-Arb in" Sudan Notes and Records XII (1929); PP. 63-71.

(٢١) Herdotus, Book II, Bar. 31-32.
ويبدو أن النهر الذى وصلوا اليه هو نهر النيجر.

(٢٢) Herodotus, Book I, PP. 45-49

(٢٣) جاءت اجابة كهنة دلفى فى قالب شعرى سداسى التفاعيل كما يلى :
استطيع ان احصى حبات الرمل على الشاطىء واستطيع قياس البحر.
استطيع ان افهم الابكم وان اسمع من لا صوت له.
والى انفى جاءت رائحة سلحفاة قوية الصدف.
تغلى وتزيد مع لحم حمل فى اناء من البرونز.
والمرجل اسفله من البرونز كذلك صنع الغطاء.
(انظر Herodotus, Book, I, 49)

(٢٤) Herodotus, Book III, P. 26.

(٢٥) Ibid., P. 28.

(٢٦) يذكر بلوتارخ (Alexander, 26) نفس القصة ويضيف أن الاسكندر حذر من الذهاب الى سيوة حتى لا يلقى نفس المصير ويهلك فى الصحراء.

(٢٧) Ritter, Africa, I, 397; and Von Minutoli, Reise, *pp. 201-2.*

(٢٨) كان بوسانياس رحالة وجغرافيا، وربما كانت ليديا مسقط رأسه، ومؤلفه Description of Greece مصدر قيم لطبوغرافية اليونان القديمة ولآثارها وأساطيرها، وقد رأى بوسانياس كذلك فى معبد سيوة اثارا اخرى لأمون — من بينها مذبح لبطلميوس الأول.

(٢٩) Gustav Parthey, Das Orakel (Berlin, 1836), P. 161

وأنظر كذلك : August Boeckh, Vita Pindaris, P. 9

(٣٠) عن موضوع عبادة امون وبناء معابد له فى ممالك اليونان المختلفة انظر :
Parthey, Das Orakel, PP. 139-40.
وانظر كذلك : Fakhry, Siwa Oasis, P. 33; footnote 1.

(٣١) Uhlrich Wilcken, Alexander the Great. (Berlin 1930), P. 113.

(٣٢) Wilcken, "Alexanders Zug in die Oase Siwa", Z.A.S. 30 (1928), and idem, Alexander the Great, (1930), P. 57.

(٣٣) Ibid., PP. 96 and 107.

(٣٤) كالستنيس مؤرخ يونانى ولد نحو عام ٣٦٠ ق.م. وكان قريبا وتلميذا لأرسطو وتلقى منه العلم فى نفس الوقت الذى تلقاه فيه الاسكندر ، وقد صاحب الاسكندر فى حملاته الأولى وذهب الى آسيا بعد مجيئه الى مصر ومات فى السجن عام ٣٢٨ ق.م. ورغم أن كتاباته التاريخية عن فتوحات الاسكندر وصلتنا مهلهلة فهو مسئول عن الرواية الرومانتيكية عن حياة الاسكندر التى عظم شأنها فى القرون اللاحقة ، وبعد ترجمة هذه الرواية الى اللاتينية فى القرن الثالث الميلادى صارت الحجة الأساسية فى القرون الوسطى عن اسطورة الاسكندر .

(٣٥) Wilcken, Alexander the Great, pp. 122-3.

(٣٦) Steindorff, Amonsoase...; PP. 192-3.

(٣٧) عن كل الاشارات الى زوار سيوة فى نهاية العصر البطلمى وأثناء العصر اليونانى أنظر Parthey, Das Orakel لا سيما الصفحات ١٤٢ ــ ١٤٣ ، ١٦٩ ــ ١٧١ .

(٣٨) E. Breccia, "With King Fuad to the Oases of Ammon" The Swallows (April - May, 1929) P. 30.

(٣٩) Pausanias, 9; 16; 1.

(٤٠) Encyclopedia of Islam, Z, IV, P. 485.

(٤١) فى هذه المنطقة نجد مقابر صخرية وبقايا المبنى المشيد من اللبن والذى كان يسمى الكنيسة فضلا عن بقايا معبد مشيد من الحجر دعاه رحالة القرن التاسع عشر « المعبد الدورى » أما الصليب الذى شوهد على احدى كتله الحجرية فليس الا علامة محاجر ولا يمكن اعتبارها رمزا لأثر مسيحى .

(٤٢) Jean Maspero, Organisation Militaire Bizantine (Paris, 1912) PP. 12, 13.
وأنظر كذلك Parthey, Das Orakel, p 155.

(٤٣) Amelineau, "Semuel de Qalamoun", Revue de l'Historie des Religions, T. XXX PP. 1-47; and my paper, "The Monastrey of Kalamoumu, ASAE XLVI, pp. 63-83

(٤٤) عن هؤلاء المؤلفين انظر : Parthey, Das Orakel, P. 140.

هوامش الفصل الرابع

(١) وضع ابن وصيف مؤلفا عن عجائب تاريخ مصر القديم ملاه بالتفاصيل الأسطورية وقد ضاع الكتاب ولكن اجزاء كثيرة منه بقيت كمقتطفات أوردها الكتاب الذين أتوا بعده مثل المقريزى . ولا يوجد من ملوك مصر القديمة من يسمى مناقيوش .

(٢) المقريزى : الخطط ، نقلت هذه المقتطفات عن الجزء الأول طبعة مكتبة أحياء العلوم ــ لبنان ص ٤١٣ (المترجم) .

(٣) يشير مخطوط سيوة الى الفتح الاسلامى وقرار حكام الواحة بالمقاومة فقد فكروا فى تسميم مياه العيون بالقاء المومياوات فيها وليست لدينا تواريخ محددة ولكننا نعلم من نفس المخطوط ان بعض القبائل التى أغلبها من جبل يافرين فى تونس كانت مقيمة هناك ، عاشت أولا فى خيام بالقرب من الزيتون ثم انتقلت الى أغورمى حيث كان بعض السكان الأصليين موجودين ، وبعد ذلك قرر الرجال الأربعون بناء الحصن .

(٤) Pierre Langles, "Memoire sur les Oases", Voyage de F. Hornemann, (Paris 1808), Append. II, p. 354

(٥) Parthey, Das Orakel, P. 173.

(٦) أن هذا الجزء من مخطوط سيوة والمحفوظ حاليا لدى عائلة الشيخ مسلم قد اطلع عليه كذلك أحد الموظفين فى سيوة واقتبس بعضا منه فى كتابه ــ واكد واحة آمون ، ص ٣١ ــ ٤٨ ويمدنا واكد بالتفاصيل التى نسخها من ذلك المخطوط وبالمادة العلمية التى حصل عليها من الشيخ عمر مسلم الذى زوده ببعض التفاصيل عام ١٩٣٨ والسنين التالية .

(٧) W.G. Browne, Travels in Africa, Egypt and Syria, from the Year 1972 to 1798, London, 1799.

ويقع الجزء الخاص بزيارته لسيوة فى الفصل الثانى ص ١٤ ــ ٢٩ .

(٨) J. Rennel, Geographical System of Herodotus, (London, 1800), PP. 574, 601ff.

(٩) Hornemann, Tagebuch.., وقد ترجم الى الفرنسية مع تعليقات بواسطة Langles وطبع بعنوان Voyage de F. Hornemann (1808)

(١٠) كان كايو عالم تعدين محترف كما كان رحالة ، وقد أتى الى مصر لأول مرة عام ١٨١٥م حيث كلفه محمد على بمهمة التعرف على أماكن بعض المناجم التى كان القدماء يستخدمونها فزار الواحات فيما بين ١٨١٩ ــ ١٨٢٠ وبعد ذلك صعد فى نهر النيل حتى مروى وقد ألف عدة كتب أهمها : Voyage a Meroe (1923-7) الذى يقع فى أربعة مجلدات للنص وثلاث مجلدات للوحات وتظهر مذكراته عن سيوة فى المجلد الأول . وبالاضافة الى هذا المؤلف فقد ألف كتابا آخر هو : Voyage a l'Oasis du Syouah الذى نشر عام ١٨٢٣ .

(١١) Maher; "L'Oasis de Siouah" IP.55

(١٢) نشر نتائج أعمالهم فيما بعد الاثرى الفرنسى جومار Jomard الذى ظن أن أغورمى هو الأكرو وبوليس الذى زاره الاسكندر والذى ذكره كل من ديود ورووكورتيوس .

(١٣) Minutoli, Reise ...

(١٤) لم يذكر أى من الرحالة الآخرين اسم هذا المكان كما انه غير معروف لاهل سيوة ، ولم يتسن لى رؤية بقايا فى شمال سيوة يمكن ان تكون بقايا هذا المبنى .

(١٥) نشر فيكتور ايرنبرج كتابه Reisen in Aegypten الذى ذكر فيه كل الصعوبات التى قابلها فى رحلته مثل مرض اعضاء البعثة ومنازعاته مع البدو وسقوطه من على الابل ونهب أمتعته والطقس الردئ واسوأ من كل هذا استقبال اهل سيوة العدائى له .

(١٦) Bayle St. John, Adventures in the Libyan Desert- (London 1849), p. 1490

(١٧) Hamilton, Wanderings in North Africa (London 1858)

فى هذا الكتاب يقص هاملتون تفاصيل زيارته، أما عن نتائج تلك الزيارة فانظر :

Belgrave, Siwa, PP. 105-9

(١٨) G.Rohlfs, Drei Monate in der libyschen Wuste, (Berlin, 1876)

(١٩) W.Jennings-Bramley, "A Journey to Siwa in September and October 1896" Geographical Journal 10 (London, 1897). PP. 597-608

وهو نفس المستر براملى الذى قضى مايزيد على أربعين سنة فى خدمة الحكومة المصرية وفى الجيش وفى ادارة الحدود . وهو الشخص الذى أسس مستوطنة برج العرب فى مريوط وقد بنى براملى لنفسه بيتا من الحجر على تل قرب برج العرب يشبه قلعة على النمط الأوربى فى العصور الوسطى وعاش هناك بعد احالته إلى المعاش حتى عام ١٩٥٦م حينما اضطر إلى مغادرة البلاد ، وكانت معلوماته عن أنساب كل قبيلة فى الصحراء الغربية وعاداتها وقوانينها الأولى من نوعها فى مصر أو فى أى مكان آخر ، وكان كريما بعلمه دائما وانه لمن الموسف حقا انه لم يكتب اية مؤلفات فى هذه الموضوعات ولم يكتب حتى مذكراته .

(٢٠) Arthur Silva White, From Sphinx to Oracle, London, 1899

(٢١) Ibid., P. 224 ولما استفسر هوايت عن سبب تدمير هذا المعبد أخبره الأهالى ان ذلك كان بسبب زلزال وقع فى العقد الثانى من القرن وكانوا يشيرون بذلك إلى الزلزال الذى حدث عام ١٨١١م وفى نفس الكتاب يقول هوايت انه حينما قارن الصورة التى التقطها بتلك التى التقطها الرحالة السابقون وجد أن التدمير «كان شاملا حتى خلال العشرين سنين الأخيرة» .

(٢٢) قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى سافر وفد من أعيان سيوة من اخوان الطريقة المدنية إلى اسطنبول بعد أداء فريضة الحج وذلك لتقديم واجبات الاحترام للشيخ ظافر الذى أحسن استقبالهم ، وتزوج بعض الاعيان من فتيات تركيات رافقن ازواجهن فى عودتهم إلى سيوة وسرعان ما ادركت الزوجات التركيات أن الحياة فى سيوة لاتناسبهن على

الأطلاق ، وبطريقة ما اتصلن بالقنصلية التركية فى القاهرة التى بعثت أحد مندوبيها لتقصى الخبر وبالفعل تم طلاقهن من ازواجهن وأخذ القنصل معظمهن معه إلى القاهرة ومنها عدن إلى اسطنبول . وأى واحد يعرف شيئا عن سيوة وأهلها يمكنه ان يتصور الكابوس الذى عاشته هذه الزوجات خلال اقامتهن القصيرة فى الواحة .

(٢٣) نشر تفاصيل هذه الزيارة احد مرافقى الخديوى وهو J. C. Ewald Falls, فى كتابه
Siwa: Die Oase Des Sonnegottes in der Iibyschen wuste (Cairo 1908), P.15ff.
وهناك كذلك تفاصيل مهمة فى
G.E.Simpson, The Heart of Libya, The Siwa Oasis; Its People, Customs and Sport , PP.23-25.

(٢٤) وقد سجلت هذه القطع الاثرية الصغيرة فى Cairo Museum Journal d'Entree بالارقام من ٣٧٩٣٤ ــ ٣٧٩٤١ .

(٢٥) وقد نشر صورة لهذه الرأس فى كتابه
Siwa, p.35

(٢٦) E.E. Evans- Pritchard, The Sanusi of Cyrenaica (Oxford, 1949 pp.13,14).

(٢٧) يتكون مركز الطريقة من مسجد ومدرسة وبيت لضيافة المسافرين ومنزل ياوى شيخ الطريقة وأسرته .

(٢٨) توفى السنوسى الكبير بواحة جغبوب فى ٧ سبتمبر سنة ١٨٥٩ ودفن بها وخلفة ابنه سيدى المهدى الذى بلغت الطريقة تحت قيادته اقصى توسع لها ولما توفى عام ١٩٠٢ خلفه ابن اخيه السيد أحمد الشريف الذى اضطر إلى مغادرة البلاد بعد الحرب حيث عاش فى المنفى حتى وفاته سنة ١٩٣٣ وبعد عام ١٩١٧ تزعم السيد ادريس السنوسى (ابن المهدى) النضال ضد الايطاليين ثم صار السيد ادريس ملكا على ليبيا عام ١٩٥٠ وبعد اعلان الجمهورية فى ليبيا سنة ١٩٦٩ جاء إلى مصر حيث يعيش فيها حتى الآن .

(٢٩) توجد تفاصيل هامة أخرى عن هذه المعارك التى دارت على الساحل وفى واحة سيوة فى تلك الفترة فى
M.T. Butt and A.R.Curry; Mersa Matruh, (Cairo, 1925), pp. 47-49; Belgrave, Siwa. pp. 122-32.

(٣٠) كان محمد صالح حرب أحد ضباط خفر السواحل المصرية المرابطين على الشاطئ الشمالى عام ١٩١٥ وقد انضم وبصحبته بعض البدو والجنود المصريين إلى السيد وحارب إلى جانبه ، وكان شخصا امينا ، متدينا ، ذا موهبة عسكرية وبعد انقضاء أربع وعشرين عاما صار وزيرا للحربية فى مصر ، وبعد اعتزاله الخدمه العامة ترأس جمعية الشبان المسلمين حتى وفاته فى الستينات .

(٣١) كان قد حكم عليهما بالسجن لمدة خمسة وعشرين عام لاشتراكهما فى المظاهرات التى بدأها ابوهما سنة ١٩١٠ والتى لقى فيها مأمور سيوة مصرعه ، وقد شنق عثمان حبون ، أما إبناه وبعض أقاربه ، وكلهم من الغربيين ، فقد حكم عليهم بالسجن .

(٣٢) نشر عبد اللطيف واكد قصة احتلال الايطاليين لواحة سيوة بالتفصيل فى كتابه: واحة أمون ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص٦٥ ــ ٧١ ، وتستند معلومات واحد على تقارير رسمية ومعلومات شخصية من المأمور نفسه .

هوامش الفصل الخامس

(١) يمكن لمن يريد دراسة البقايا الأثرية فى سيوة بما فى ذلك نقوش جدران المعابد والمقابر ان يرجع إلى كتابى
Siwa Oasis: Its History and Antiquties
حيث نشرت المناظر والنقوش المعروفة فى تلك الواحة .

(٢) G. Rohlfs, Von Tripolis nach Alexandrien, 2:85 and 106

(٣) تعرف هذه الاطلال حاليا باسم قصر الروم وقد أطلق عليها رولفس اسم العمودين .

(٤) Cailliaud, Voyage a Meroe, pp. 72-74; Minutoli Reise..; p. 173.

(٥) ويقصد بذلك « بنتابلوس » وهو الاسم الذى كان يطلق احيانا على أرض برقة فى ليبيا .

(٦) لمزيد من الاطلاع على مشاكل الرى ومشروعات تجفيف اجزاء من البحيرات المالحة فى سيوة ومنخفض القطارة أنظر على شافعى ، واحة سيوة وصلاتها بمنخفض القطارة ، القاهرة ١٩٥٤ . والمؤلف هو احد الرواد فى رى الصحراء حيث خدم كمفتش عام لرى الصحراء لعدة سنوات وفى كتابه نجد دراسة لكل المشاكل والاحتمالات فى سيوة وتفصيلات عن مشروعيه التجريبيين فى خميسة والنقب .

(٧) Steindorff, Amonsoase ..., fig. 78, p. 104
أما وصفه لاطلال المعبد فيقع فى ص .

(٨) تشتهر قريشت عند السويين بانها المكان الذى يزخر بالمخلفات الأثرية ومنذ القرن الماضى كانت مسرحا للمنقبين الذين ينقبون عن تلك الآثار بطريقة غير شرعية وحتى الآن لازالوا يقومون بالحفر فى بقايا المعابد والمنازل القديمة والمقابر .

(٩) زاردى كوسون (De Cosson) كلا من البحرين ونواميسه ونشر مذكراته عنهما فى JEA (1937) pp 226-9 كما نشر فى نفس السنة المذكرات وبعض الرسومات ، التى قام بها باعدادها براملى (J. Bramley عام ١٨٨٦ تحت عنوان :
"Notes on the Bahrein and Nuwamiseh and El Areg Oases in the Libyan Desert"
وفى عام ١٩٧٠ تم حفر بئر فى البحرين بحثا عن البترول وعثر الحفارون على طبقة تحتوى على مياة طيبة وافرة .

(١٠) قام كايو بزيارة مقابر العرج سنة ١٨١٩ ولكنه لم يشر إلى وجود أية زخارف أو رسوم بها ، وفى عام ١٨٢٦ مرباكو (Pacho) بهذا المكان ولكنه لم يشر إلى المقابر ، وأول رحالة ذكر آثار هذه الواحة ووصفها هو رولفس فى عام ١٨٧٣ . (Rohlfs, Drei Monate.., p. 195)
أما جننجز براملى فقد زار العرج عام ١٨٩٦ . ونشر دى كوسون مذكراته ورسومه عنها بعد ذلك بواحد وأربعين عاماً ، ثم زارها شتيندورف عام ١٩٠٠ وهو فى طريقة من سيوة إلى البحرية وكان على علم بما نشره رولفس ونحن مدينين له لامدادنا بأول صورة لهذه المقابر وبوصف قصير للمناظر فى أثنتين منها

Steindorff, Amonsoase.., pp. 135-6 وقد نشرت نتائج رحلتى مع وصف للمقابر ــ التى تيسر لى دخولها فى مقالى

"The Tombs of El-Areg Oasis in the Libyan-Desert", in ASAE 39 (1939) pp. 609-19.

هوامش الفصل السادس

(١) لمزيد من نصوص المؤلفين الكلاسكيين الذين تعرضوا بالحديث عن الطرق المؤدية إلى هذه الواحة أنظر :
Jean Leclant, "Temoignages des sources classiques sur les pistes menant a l'oasis d'Ammon", BIFAO XLIX (1950), pp.193-253.

(٢) يحكى بلوتارخ حكاية ممتعة وغريبة فيما يتعلق بهذه التحية يقول « يقول البعض أن كاهن آمون رغبة منه فى مخاطبته باليونانية تلطفا منه قصد أن يقول ، "Opaidion"
التى تعنى (يابنى) ولكنه بطريقة نطقة الاجنبية جعل الكلمة تنتهى بحرف « س » بدلا من حرف « ن » وهكذا قال "O Pai Dios" والتى تعنى « يا ابن جوبتر » ويضيفون أن الاسكندر « ابهجه الخطأ ووزع منشورا بأن الاله جوبتر دعاه ابنه » . وهذه المعلومات يمكن اعتبارها اضافات لاحقة وتنميقات أدبية .

(٣) أنظر : Arrian, Exped. Alex 14 23,6 وقد قص Pausanias, 9; 16,1 عدة قصص عن هذا الموضوع ، ويمكن ان نجد ملخصا وافياً لهذه القصص فى Parthey, Das Orakel, pp. 167-9.

(٤) كان الأصل الالهى لبعض البشر أو الاتصال بين الاله وبعض النساء من الأمور المقبولة فى أكثر من حضارة قديمة ، فمن التاريخ المصرى القديم لدينا عدة حالات كان الاله آمون نفسه هو الأب الجسدى لبعض الملوك وذلك بعد تزاوجه مع الملكات ومثال ذلك الملكة حاتشبسوت والملك أمنحتب الثالث وكلاهما من الأسرة الثامنة عشرة . وطبقا للاعتقاد الشائع فى حينه فان قورش مؤسس الامبراطورية الفارسية وأول فاتحيها العظام كان ابنا لمثل هذا التزاوج . وبنفس الطريقة المعجزة حمل بزداشت مؤسس الديانه الفارسية ، وكان برسيوس الذى اعتبره الاسكندر احد اجداده أبنا للاله زيوس حملت به أميرة ارضية تدعى دناى (Danae) أما هرقل (وهو كذلك أحد اجداد الاسكندر) فكان ابنا لزيوس من الكمينى Alkemene حفيدة برسيوس . وكان أخيل (وهو سلف آخر كان الاسكندر عظيم الاعجاب به) حفيدا للاله نريوس وكان من المعتقد أن الفليسوف أفلاطون ، معلم ارسطو مربى الاسكندر ، جاء نتيجة التزاوج بين أمه العذراء واحد الالهة وحتى فى العصور التى تلت عصور الاسكندر أدعى اسكلبيادس (Askelepiades) أن يوليوس قيصر كان ابنا للاله ابولو وكذلك قيل ان ابو للونيوس من تيانا جاء نتيجة للزواج بين امه واحد الالهه وعلى اية حال ففيما يتعلق بالاسكندر أدعت أمه وليمبياس أن آمون اتاها فى فراشها وهو على هيئة ثعبان ولابد أن الاسكندر سمع مرارا منذ صباه عن اصله الخفى وأن والده امر أن يحترم الاله آمون احتراما خاصا وذلك بعد استشارته لنبؤة دلفى .

(٥) . Arrian, Exiedp, Alex. 7;14

(٦) رأى بوسانيوس نصب بطلميوس هذا حينما زار سيوة فى النصف الثانى من القرن الثانى بعد الميلاد .

(٧) اتمت مصلحة الآثار ترميم البوابة والمسجد فى يناير سنة ١٩٧١ وذلك عندما كنت اقوم بالتنقيب فى هذا المعبد .

(٨) كليتارخوس مؤرخ يونانى عاش فى الاسكندرية وهو صاحب مؤلف عظيم عن الاسكندر يقع فى اثنى عشر كتابا على الأقل ، وعلى الرغم من كل عيوبه ، نظرا لميله إلى الاعتقاد فى الاساطير ، فان روايته كانت من الأهمية بحيث اصبح من أشهر المؤلفين الذين كتبوا عن الاسكندر وكان الرومان شديدى الشغف بكتابه الذى كان فى حقيقة الأمر المصدر الذى اعتمدت عليه روايات كل من ديودور وكوتيوس روفوس Curtius Rufus عن الاسكندر وقد ضاع كتابه وبقيت

أجزاء منه فقط في كتابات المؤلفين اللاحقين .

(٩) Her... Ricke, "Die Baureste des Burgtempels von Aghurmi", ZAS 69, 4-13.

(١٠) لايزال السيويون يحكون هذه القصة لزوارهم ، ونقرأ أيضا في مخطوط سيوة أن قصر الملك خريبش كان قائماً بين معبد أم عبيدة وأغورمي وقد شيد الملك طريقا عاليا معلقا ليربط بين القصر وكلا المعبدين وحينما كان يريد زيارة أى من المعبدين كان يسير على الطريق العلوى بينما يسير جنده أسفل منه .

(١١) Steindorff, Amonsoase..., p.9

(١٢) Fakhry, Bahria Oasis, pp. 21,28 and pls. XLIV-LII

(١٣) انظر ص .

(١٤) احتلت عبادة الاله ددون منزلة رفيعة في النوبة وكان يسمى بوجه عام « المبجل في الأراضى الغربية » وعن العلاقة التى تربط هذا الاله بالصحراء انظر :

Sethe, Urkunden, IV, 33

Fakhry, Bahria Oasis I:152 واخيرا Scharff, ZAS 61: 27,

(١٥) كان حريشف هو الاله الرئيسى في اهناسيا ، تلك المدينة التى صارت منطقة تمركز العائلة الليبية قبل ان يصير زعماؤها ملوكا .

(١٦) Herman Aubin, "Bericht uber die Untersuchungen von Aghurmi in Januar 1933 "ZAS, 69, 13ff

وعن بناية مقياس النيل الذى يشبه هذا البئر انظر

L. Borchardt, Nilmesser und Nilstand Marken, ZAS, 61: fig 17

انظر كذلك

Wreszinski, "Der Gott Uh" Orient. Litt. Zeit, 35: 521ff

(١٧) قام مساعدى السيد / عبد الفتاح محمود أحد مفتشى مصلحة الآثار بالاشراف على العمل الذى أجرى في أغورمى وساعدنى كذلك في العمل الذى تم هناك خلال يناير سنة ١٩٧١ ، كما قام المهندس حسن شحاته برسم خريطة جديدة للموقع كما رسم مسقطا أفقيا ومساقط رأسية متصلة للمعبد وقد نشرت تقريرى المبدئى عن هذا العمل في Festschrift of Herbert Ricke, Beitrage zur Aegytischen Bauforschung. etc., Heft 12 (Wiesbaden, 1971); "Recent Excavations at the Temple of the Oracle at Siwa oasis", pp. 17-33, and pls. 10-13 .

(١٨) كان يسمى في القرن الماضى « أم معبد » وهو نفس الاسم الوارد في مخطوط سيوة .

(١٩) نشرت النص الكامل لوصف كايو وأجزاء هامة من أوصاف براون وهورنمان وفون منتولى في Fakhry, Siwa oasis: Its History and Antiquities, pp. 97-100 .

(٢٠) من المفترض ان مراسيم فتح الفم كانت تؤدى للمومياء على يد كاهن مرتل قبل وضعها فى القبر ، مما يعطى للمتوفى القدرة على الكلام ثانية بعد وفاته كما يمكنه من الاستمتاع بحياته الأخرى ويمكن الاطلاع على ملخص لهذا الطقس ومراسيمه فى :

A. Blackman, "The Rite of Opening the Mouth",JEA 10,
pp. 47. ff; J.C. Baly, "Notes on the Ritual of Opening the Mouth,"
JEA 16, pp. 137 ff.

(٢١) U. Holscher, Medinet Habu, p.25

(٢٢) عن الالهة الليبية التى عرفتها مصر وعن المراجع المختلفة بهذا الموضوع
انظر :
Scharff, "Vereschichtliches zus
Libyerfrage 'ZAS 61, 16 ff.
Wreszinski, "Der Gott Uh", pp. 521ff.

هوامش الفصل السابع

(١) Douglas E. Derry, "A Study of Crania from the Oasis of Siwa" Varia Africana IV., Harvard African Studies, VIII, 1927

(٢) استخدمت جبانه البجوات فى الخارجة لدفن المسيحيين والوثنيين فى آن واحد .

(٣) وطبقا لما ورد فى نفس الوثيقة فان قصر الملك خريبتش آخر ملوك سيوة مدفون فى معبد الوحى فى أغورمى .

(٤) Browne, Travels... p.21.

(٥) Hornemann, Tagebuch..., p. 51.

(٦) Cailliaud, Voyage a Meroe, pp. 68. 69

(٧) Minutoli, Reise, p117 وفى pl. XIL, من أطلسه نجد رسومات صغيرة لمنظر التل والمدخل إلى مقبرة والشكل اللداخلى لمقبرة أخرى .

(٨) ينبغى أن تكون هذه المقابر فى أسفل التل بجانب الحدائق المزروعة وكان بعض هذه المقابر أهلا بالسكان فى عام ١٩٣٨ .

(٩) Ibid., p. 172

(١٠) هؤلاء الرحالة هم :

Bayle St. John (1848-Adventures in the Libyan Desert and Oasis of Jupiter Amon), Hamilton (1856-Wanderings in North Africa), Rohlfs (1869-Von Tripolis nach Alexandrich), Zittel (1867-Beitrage zur Geologie und palaontologie der libyschen Wuste"), Borchardt, (1893-"Uber den Besuch der Oase Siwa in Februar 1893" in Verhandl, der Gesellsch. fur Erdkunde zu Berlin, Band 20). Mustafa Maher (1892-"L'Oasis de Siouah", in Bulletin Soc. Sult. de Geographie IX, 1 919, p55), and Jennings's-Bramely (1896-"A Journey to Siwa", in Geographical Journal, 10, 1897).

(١١) White, From Sphinx to Oracle, pp. 232-7.

(١٢) Brichetti-Robecrhi, All'oasi die Giove Ammone.

(١٣) G. Hohler, Report on the Oasis of Siwa (Cairo, 1900)

(١٤) Steindorff, Amonsoase.., pp. 123-4. figs. 75-77

(١٥) Falls, Siwah..., pp. 15 ff.

(١٦) Stanely, "A Report on the Oasis of Siwa" Public Health Dept., Egyptian Government, 1911.

(١٧) Quibell, A Visit to Siwa, pp. 78-112

(١٨) Breccia, "With King Fuad to the Oasis of Ammon"
وقد أعرب برشيا عن تشاؤمه تجاه مستقبل الحفائر فى هذه المنطقة .

(١٩) والعمل الوحيد ذو القيمة هو مقال Steindorff "Ein Aegyptisches Grab in Siwa," ZAS 61 (1926), pp. 94- 98
وهى معلومات مبنية على مذكراته وصورة التى التقطها حينما زار الواحة عام ١٩٠٠ .

(٢٠) Siwa Oasis: Its History and Antiquities (Cairo, 1944): Oasisi of Siwa; It Customs, History and Monuments (Cairo, 1950),

(٢١) اكتشفت مقبرة أخرى عليها نقوش عام ١٩٤٠ أسفل التل ولكنى لم اتمكن من نقل نصوصها او التقاط صور لها لأنها كانت مستخدمة كمخزن لتخزين اكياس القمح والأرز للشيخ على حيده وعند القمة المخروطية الشكل توجد ثلاث مقابر تحتوى على بقايا رسوم من طراز هلينستى وعلى أحد جدرانها توجد بقايا كتابات يونانية .

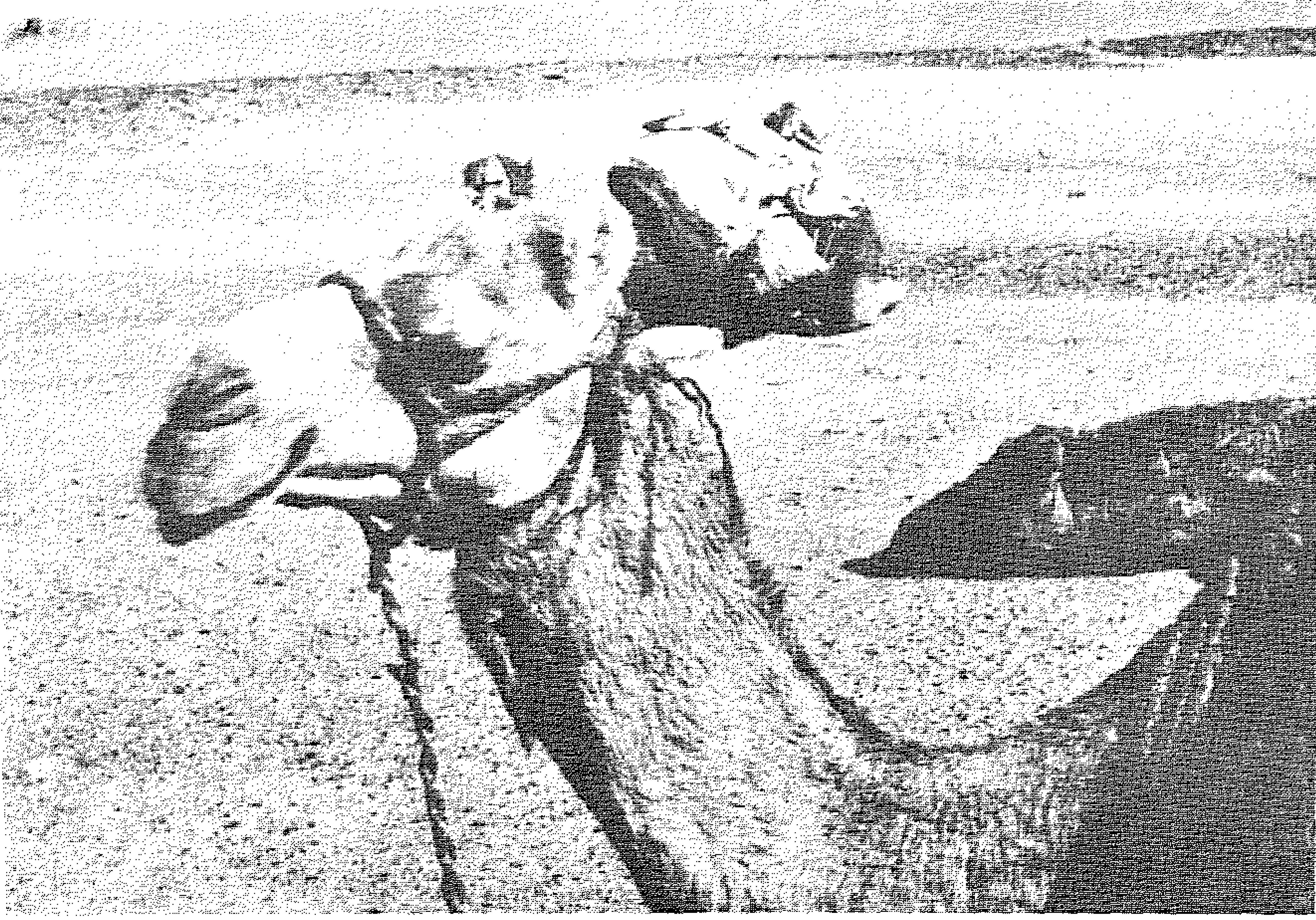
(٢٢) لانجد هذا الاسم فى Personennamen ويغلب على الظن أنه اسم أجنبى .

(٢٣) والترجمة الحرفية تعنى : أنه جميل الوجه بنهاية مؤنثة .

(٢٤) يؤل السيويون هذا المنظر على انه شجرة زيتون باعتبار ان زيت الزيتون كان متوافر فى سيوة فى العصور القديمة . وقد أخذ بهذا التأويل الخاطئ أحد الكتب العربية التى وضعت عن سيوة حديثا بواسطة احد موظفى وزارة الزراعة .

(٢٥) فى الأصل إلى يساره (المترجم) .

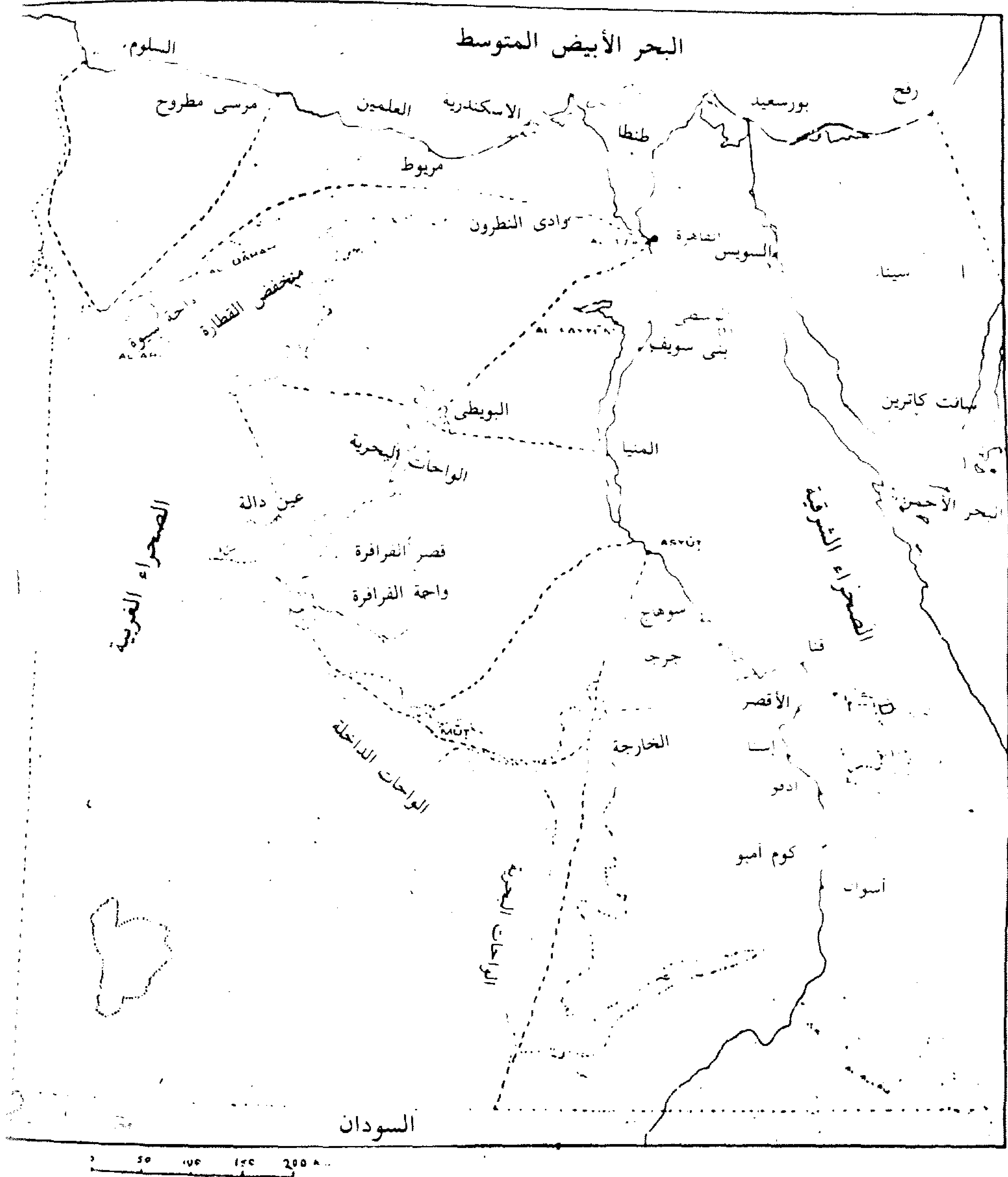
الصـــور



شكل ١ ــ استراحة فى الطريق فى الصحراء المكشوفة .

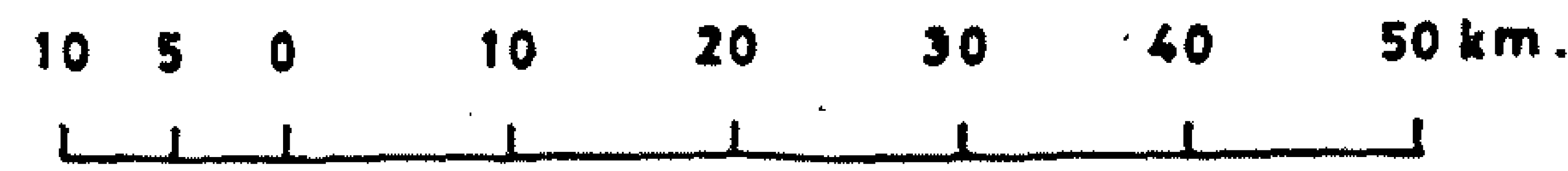
شكل ٢ ــ تعرية الرياح ــ على طريق القوافل بين الواحة البحرية ووادى الريان ــ جنوب الفيوم .



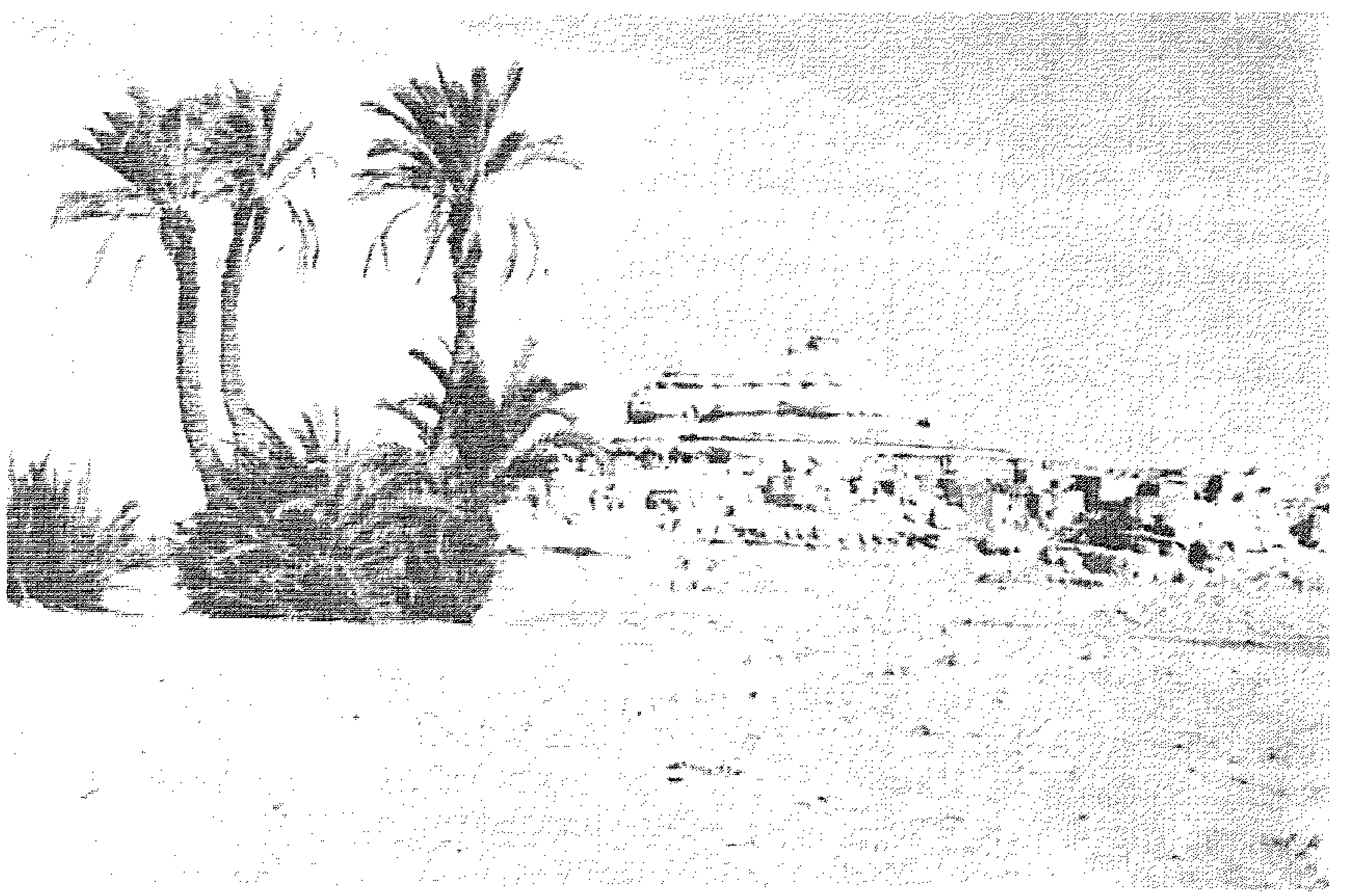


شكل ٣ — خريطة مصر : الصحارى الثلاث (سيناء ، الصحراء الشرقية والصحراء الغربية) والواحات الخمس .



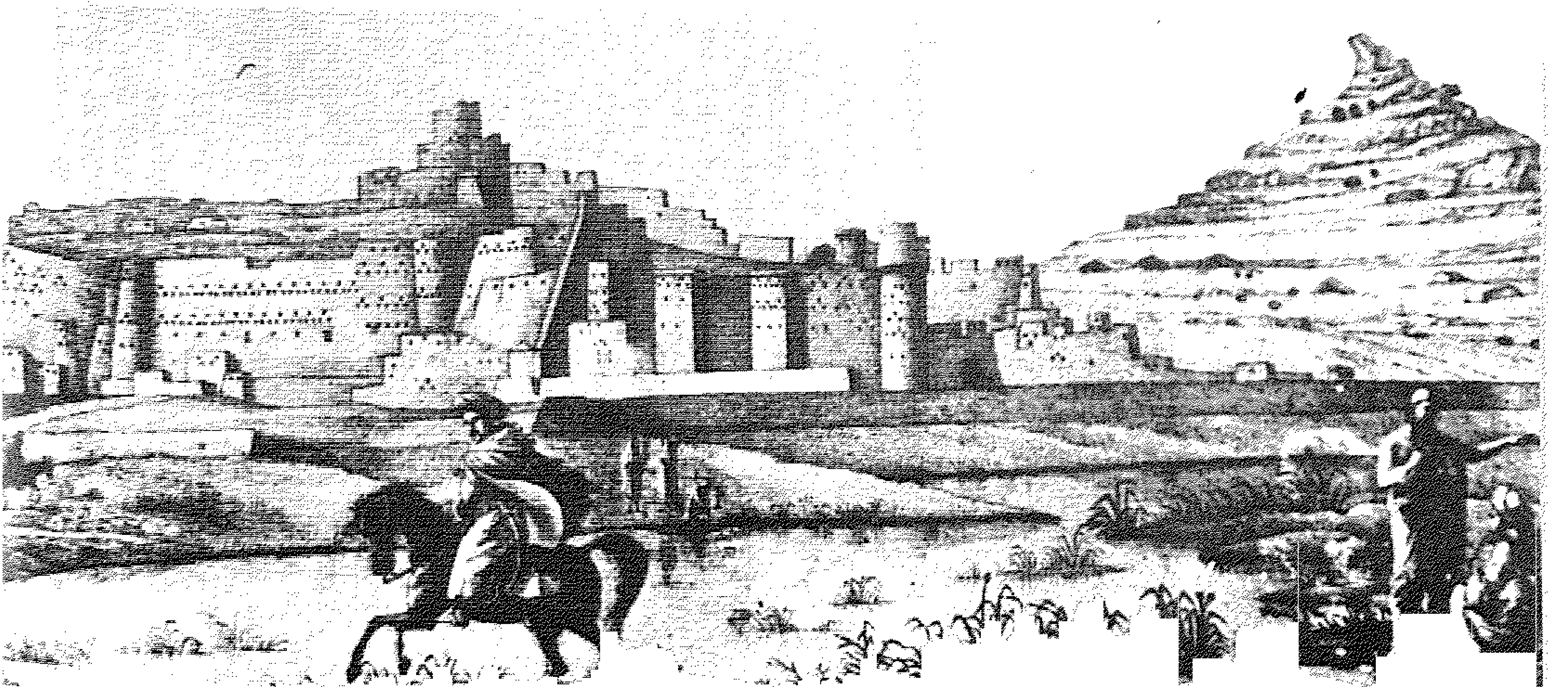


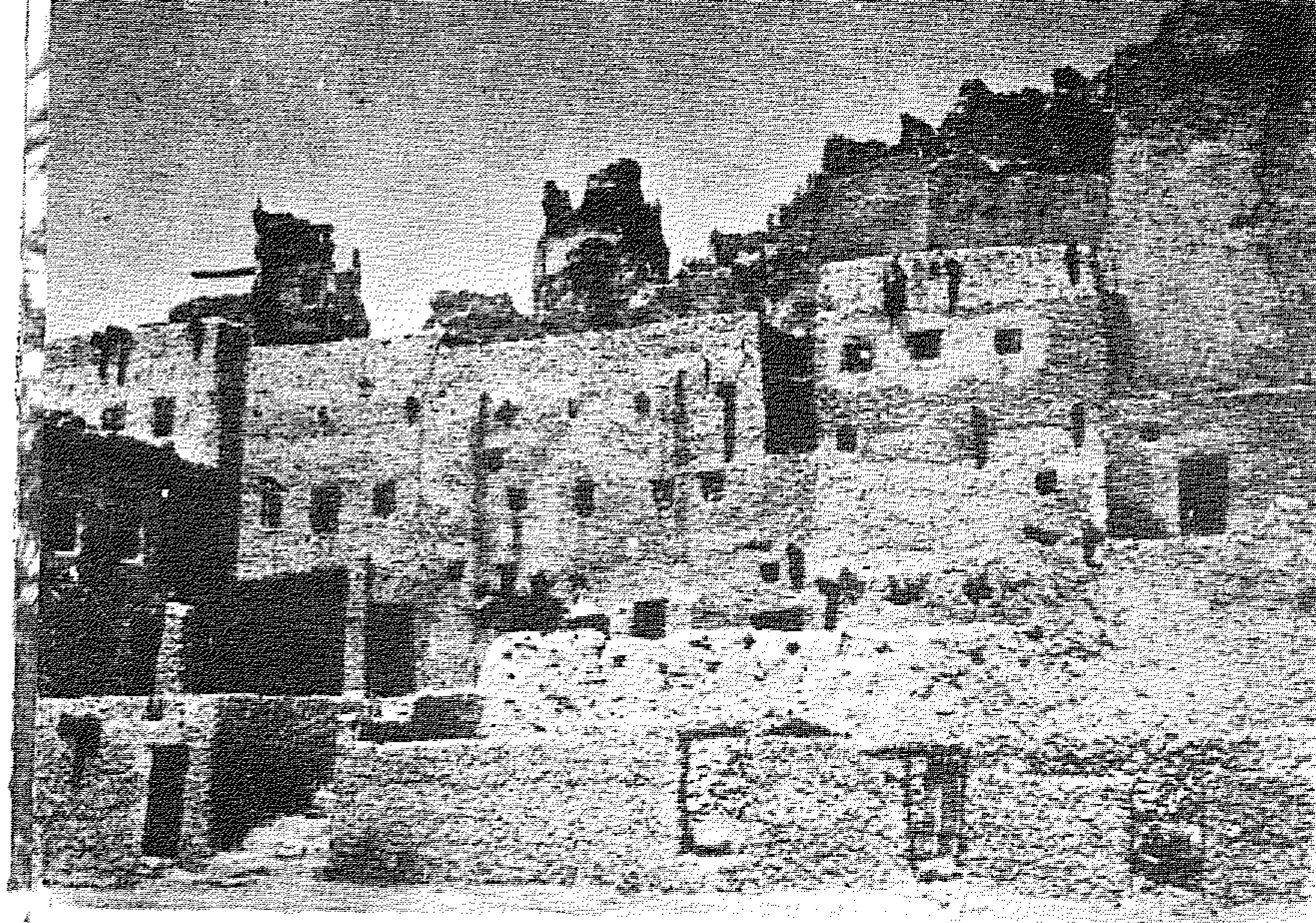
شكل ٤ — خريطة سيوة .



شكل ٥ ــ منظر من مدينة سيوة .

شكل ٦ ــ مدينة سيوة عام ١٨٢٠ (مون نوتولى ــ الأصلى ــ لوحة ٥) .

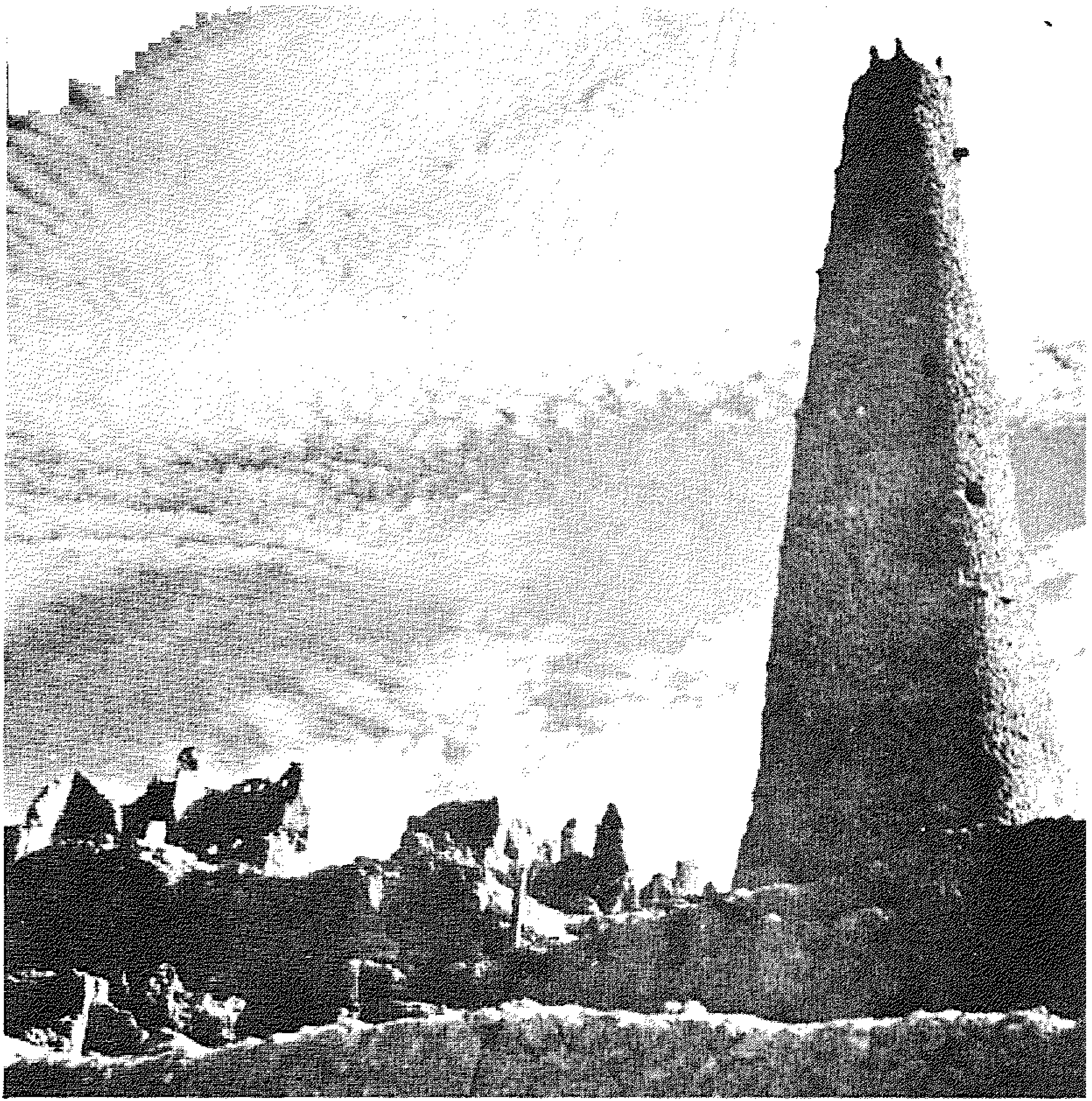




شكل ٧ ــ منازل جديدة بجوار حصن من العصور الوسطى (شالى) .

شكل ٨ ــ مدينة سيوة





شكل ٩ ـــ مئذنة أحد المساجد ـــ الشكل المخروطى

شكل ١٠ ـــ حدائق النخيل فى سيوة . منظر مصور من جبل الموتى .

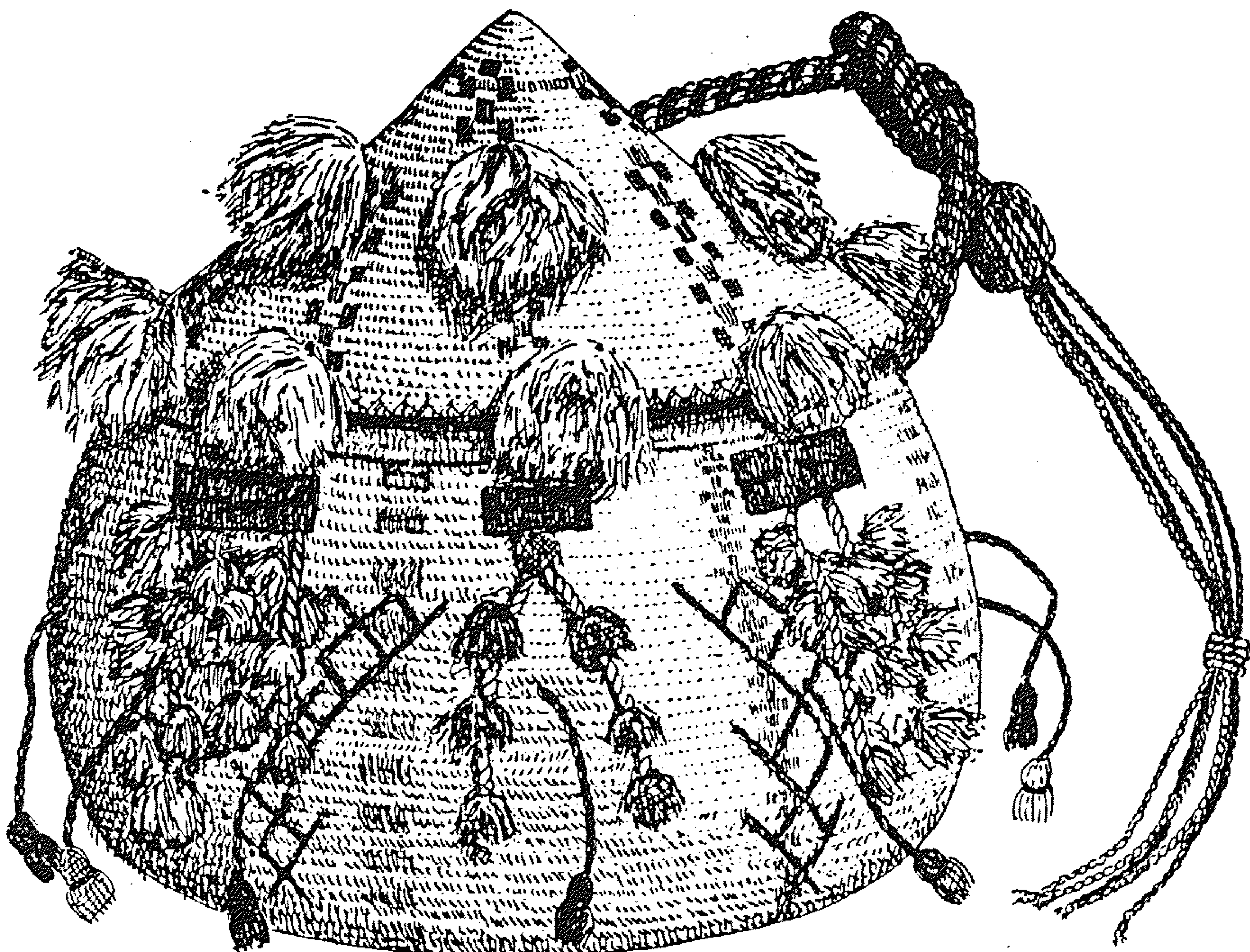




شكل ١١ ــ عين طموس .

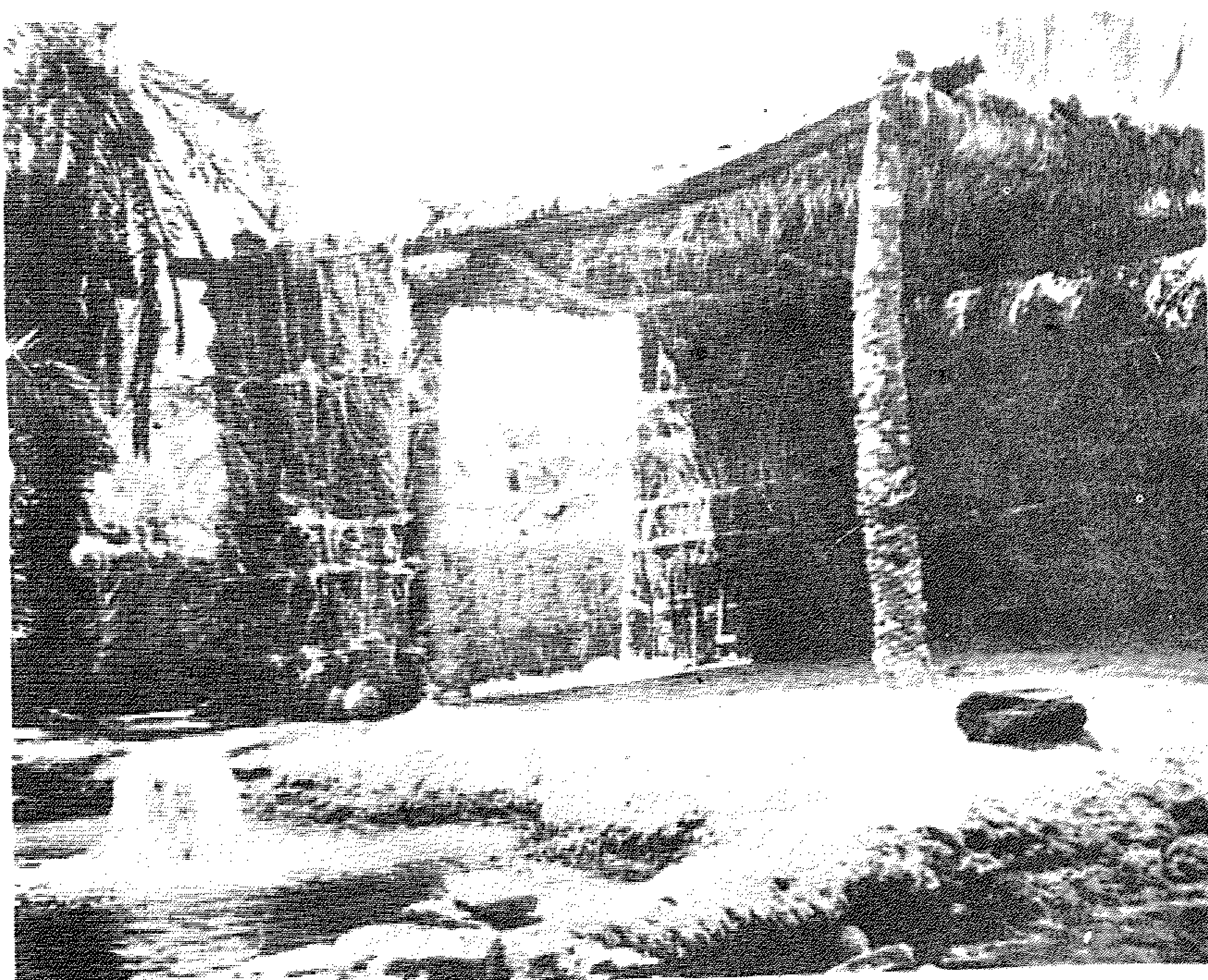


شكل ١٢ ــ أحد الزقالة يغنى وهو يجمع البلح .



شكل ١٣ — مرجونة مزخرفة يستخدمها حديثو الزواج.

شكل ١٤ — ظلة بجوار عين تجزيرت.



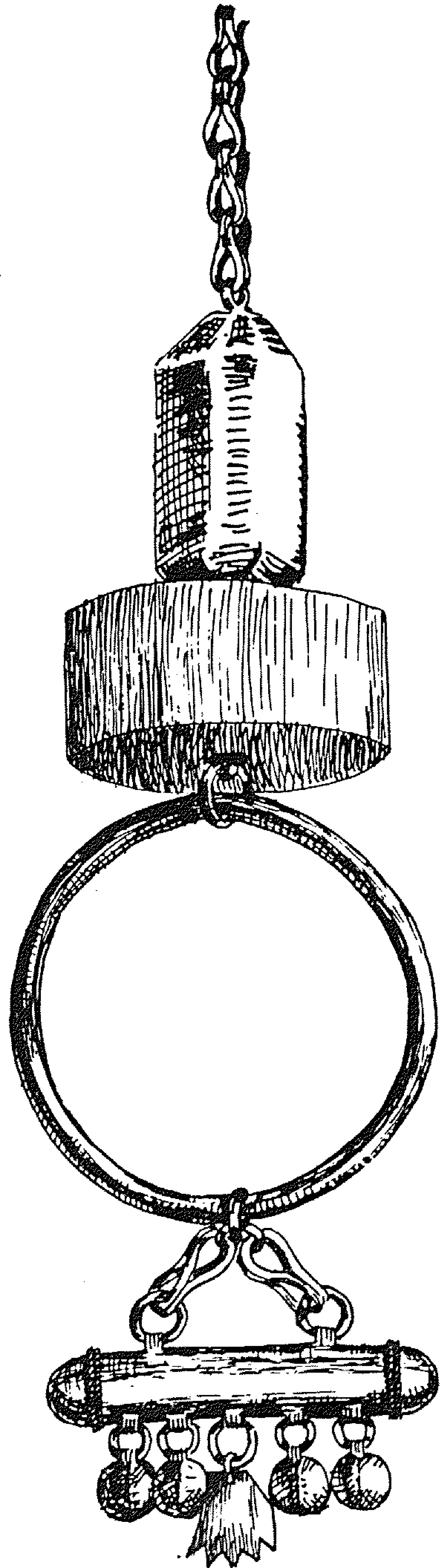


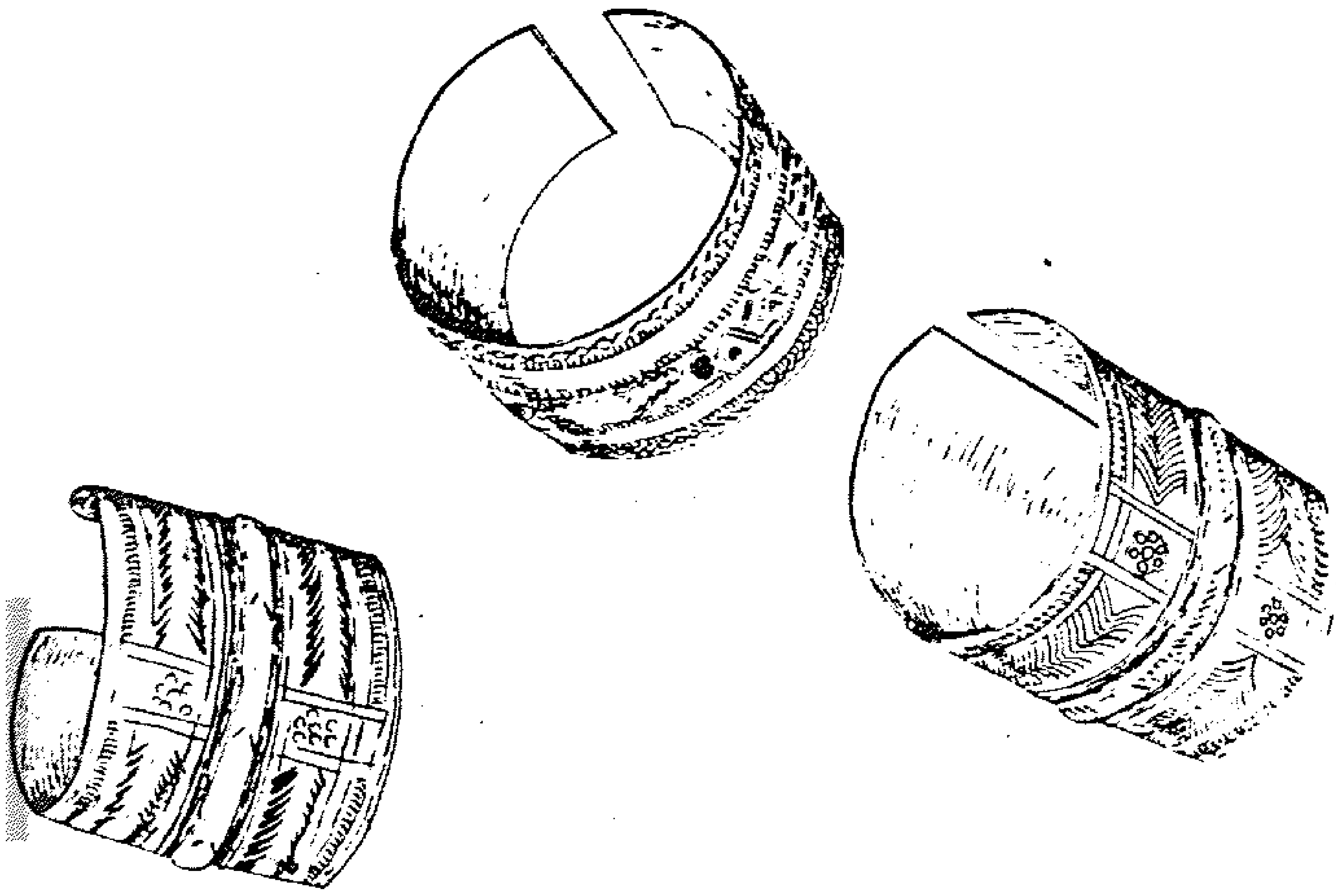
شكل ١٥ ــ ثلاثة من الزقالة فى حفلة بالحدائق وأحدهم يعزف على ناى من المعدن وثانيهم يضبط الايقاع على صفيحة أما الثالث فيغنى .



شكل ١٦ ــ فتاة سيوية ذات ستة عشرة ربيعا متزينة ببعض من حليها الفضية .

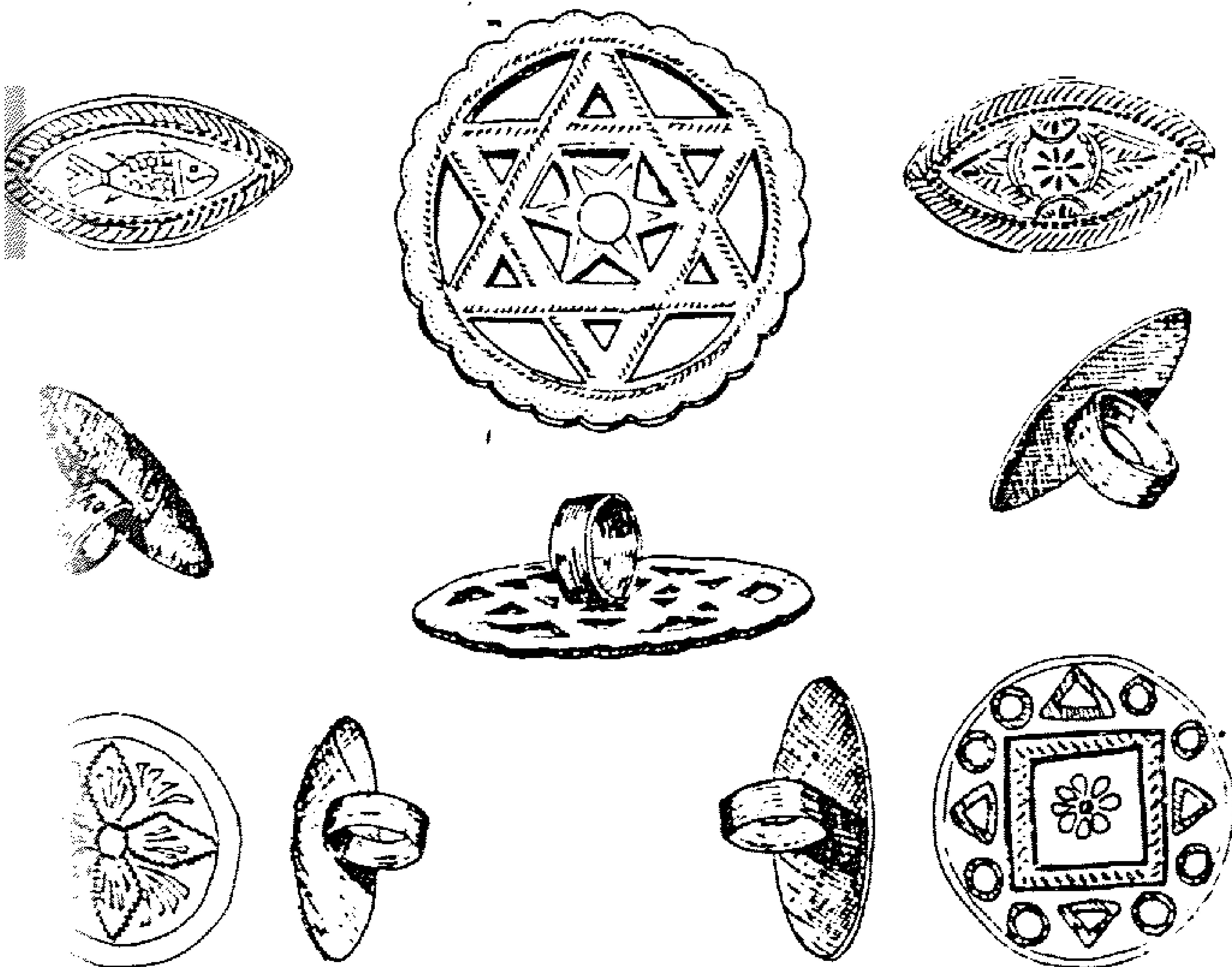
شكل ١٧ ـــ القصص ، حلى للشعر .





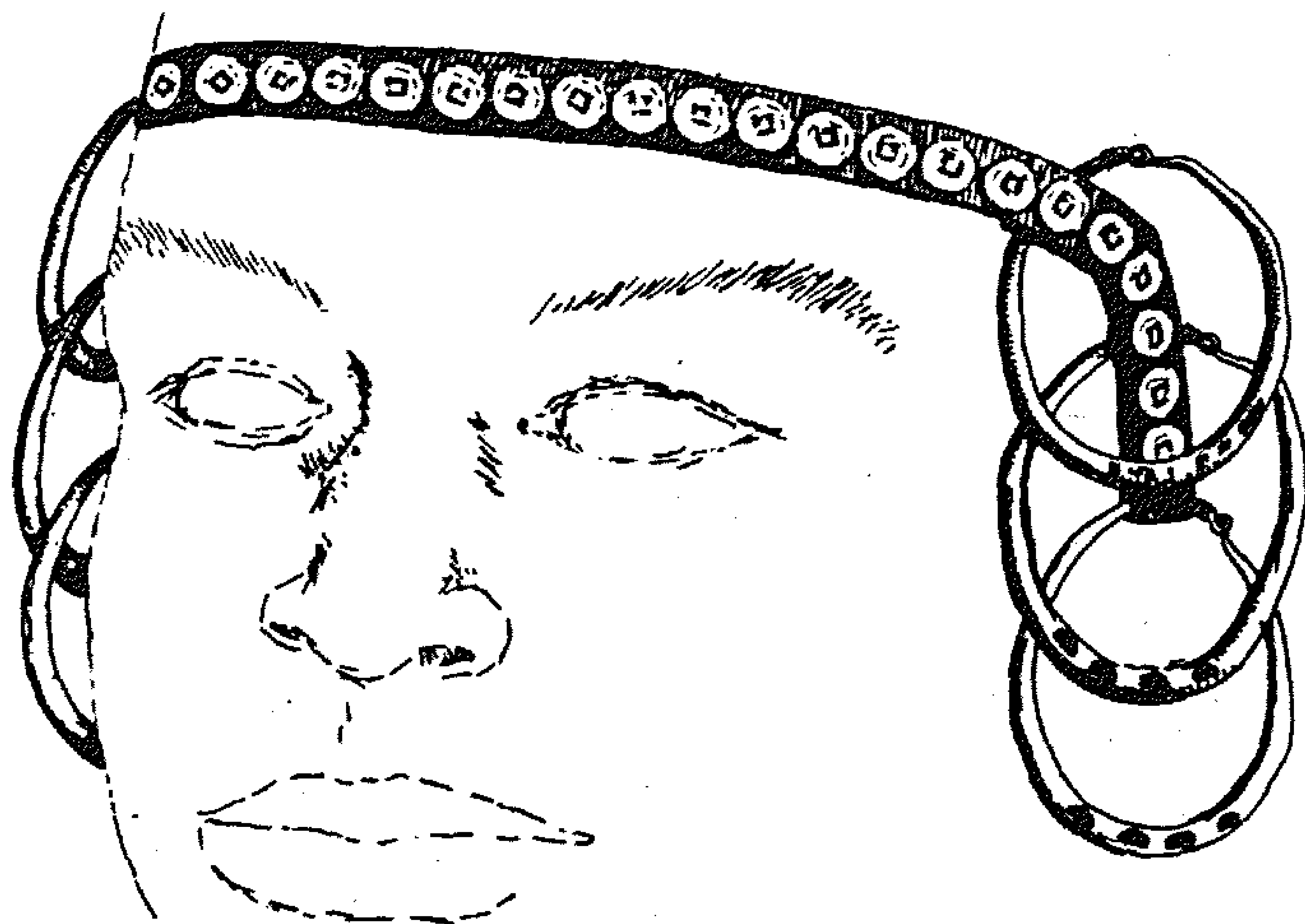
شكل ١٨ ـــ ثلاثة طرز مختلفة من الأساور .

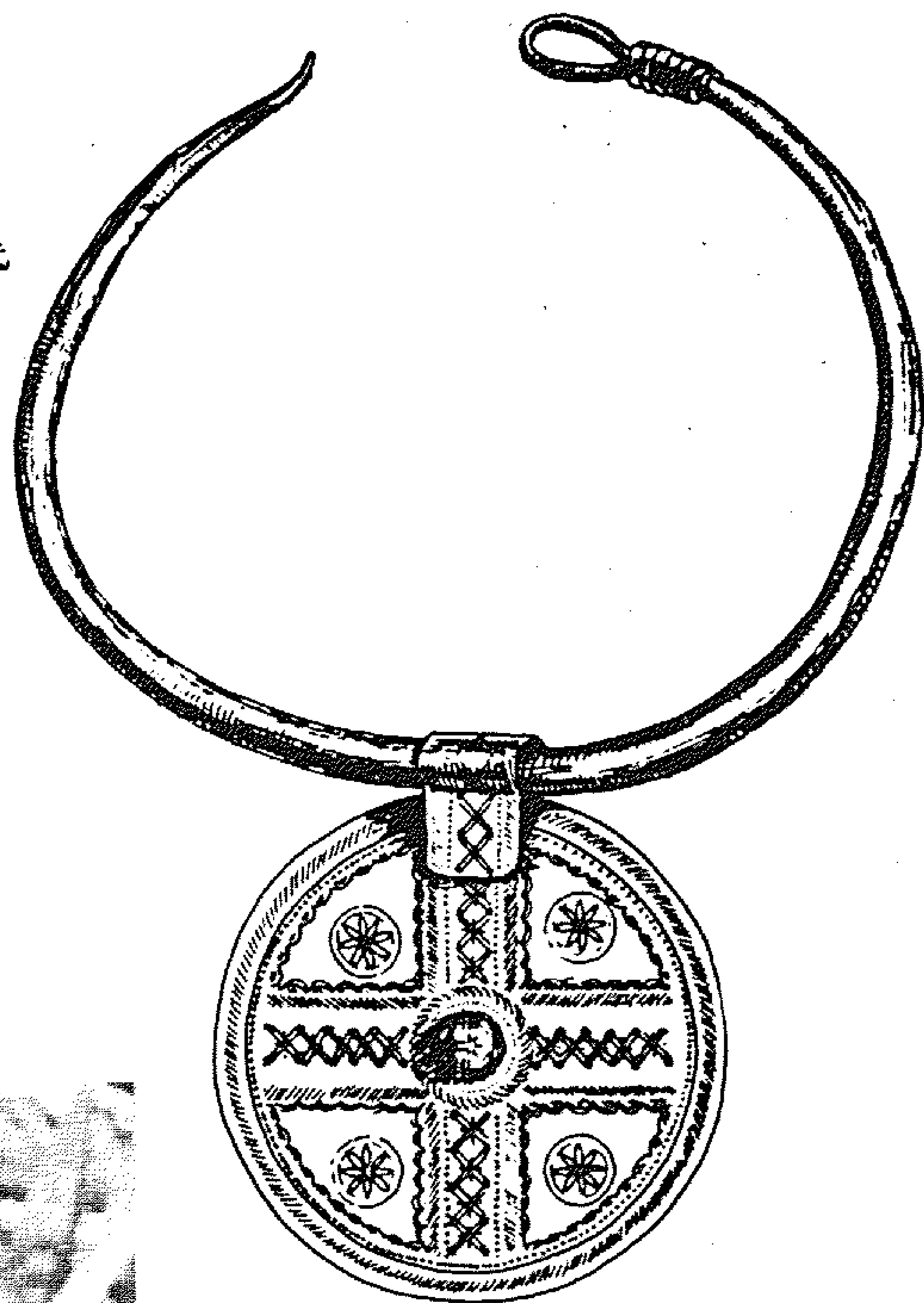
شكل ١٩ ـــ خمسة خواتم مختلفة ،
وهى الطرز التي يفضلها السيويون .



شكل ٢٠ ــ العقد المسمى « الصالحات » والذى تستخدمه نساء البدو والسيويات .

شكل ٢١ ــ حلية تسمى بالسيوية « الجيات » وتتكون من زراير على الجبين بينما تتدلى حلقات فضية على الوجنتين .



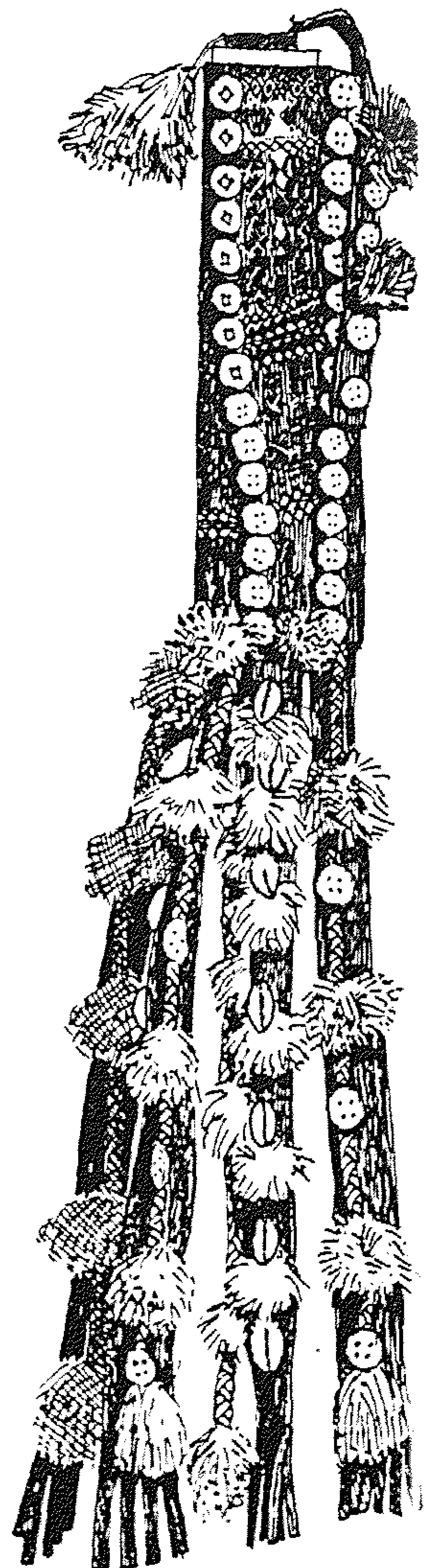


شكل ٢٢ ـــ «أغرو» الحلية الفضية المستديرة التى تلبس حول العنق و«الأدرم» وهو عبارة عن قرص ملحق به.



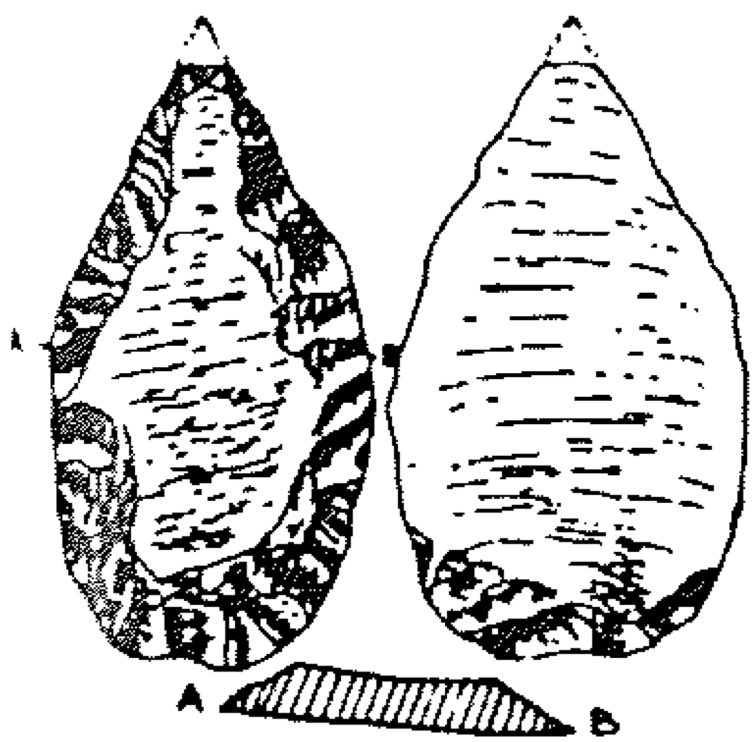
شكل ٢٣ ـــ فتاة سيوية، لاحظ حلية التعلاقين الفضية المتدلية على جانبى رأسها.

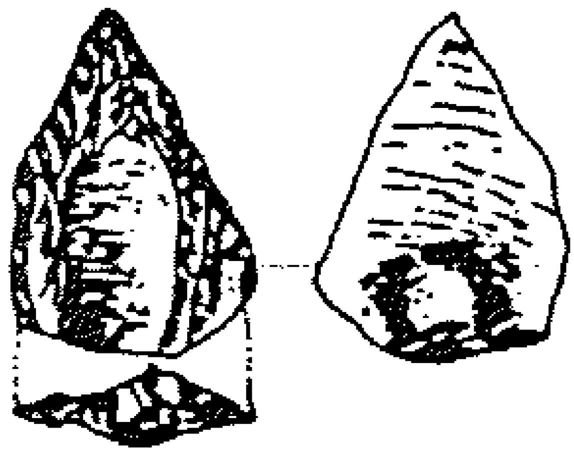
شكل ٢٤ ــ فتاة أخرى تتحلى بالتعلاقين، والأدرم والأغرو

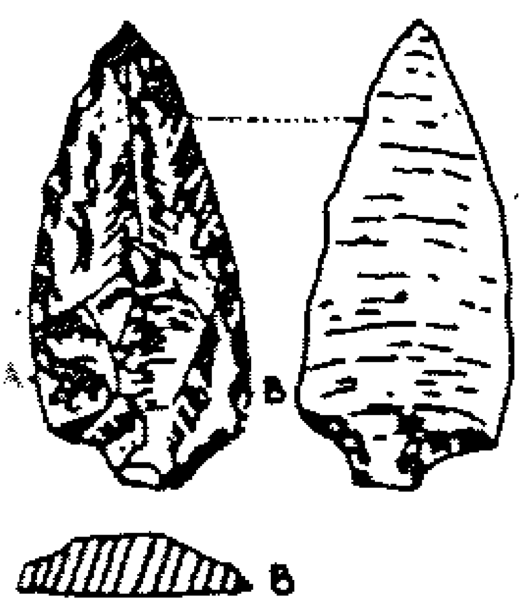


شكل ٢٥ ــ اناء كحل مزخرف ــ الأنبوبة المصنوعة من الغاب موضوعة داخل قماش مزخرف بالحرير بألوان مختلفة، بينما تتدلى اشرطة جلدية مزخرفة.

شكل ٢٦ ــ الملابس السيوية الفضفاضة .





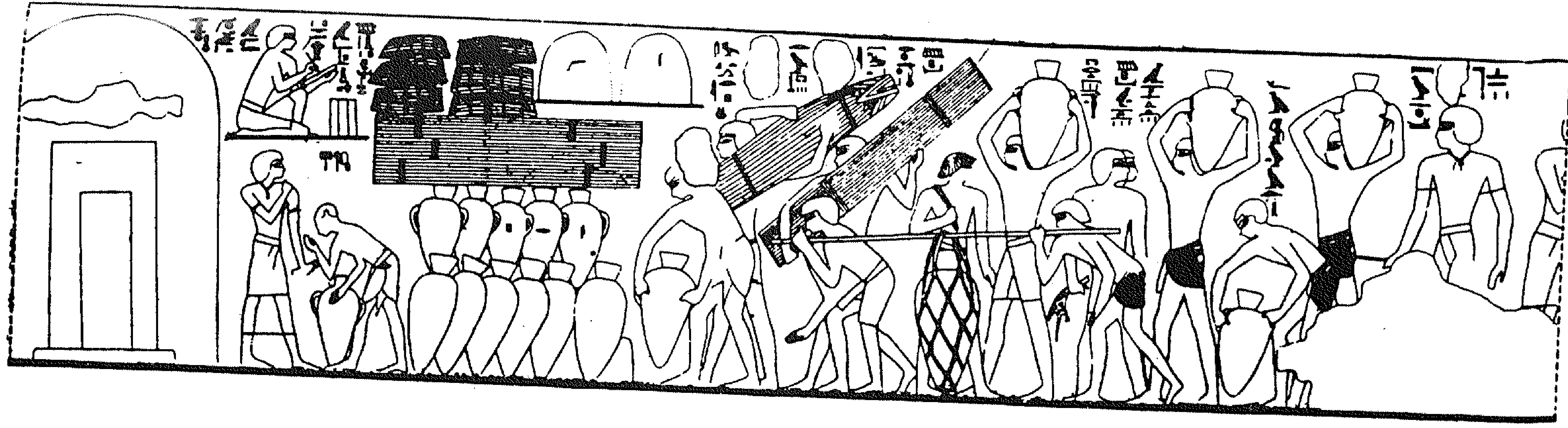


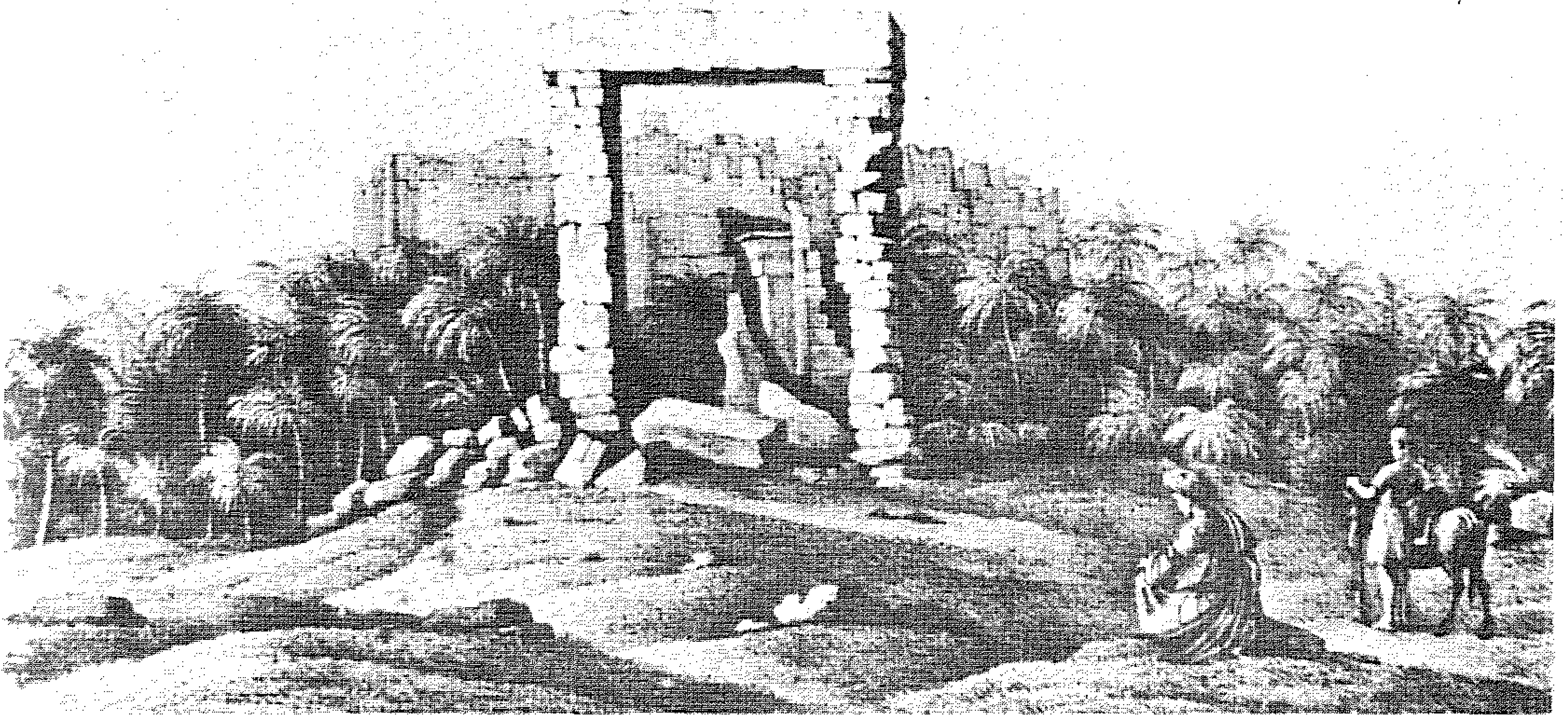
شكل ٢٧ ــ أدوات ظرانية وجدت فى سيوة .

حاليا فى متحف الآثار والأنثروبولوجيا فى كمبردج .

شكل ٢٩ — رؤساء الواحات الجنوبية والشمالية يحضرون الجزية (من مقبرة بويمرع بطيبة) — الأسرة ١٨.

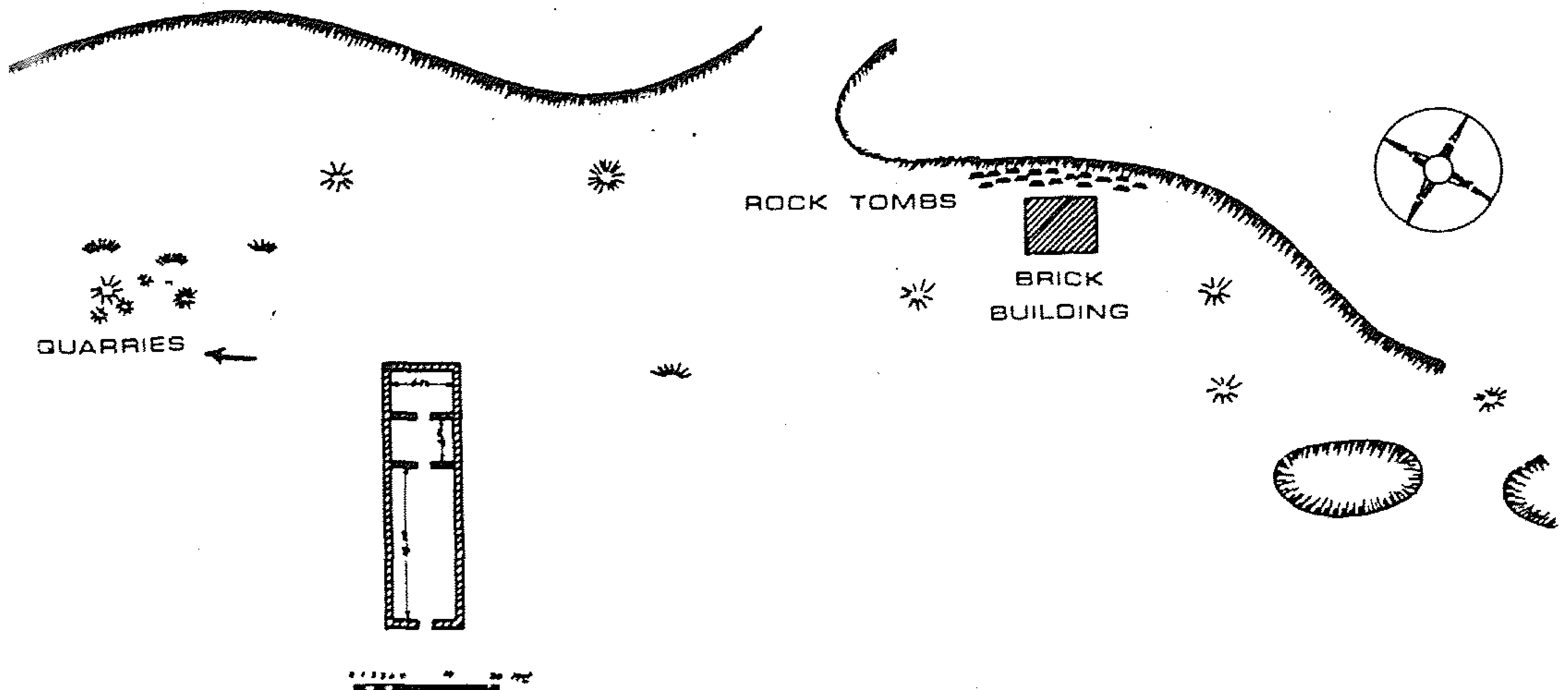
شكل ٢٨ — جزية سيوة.

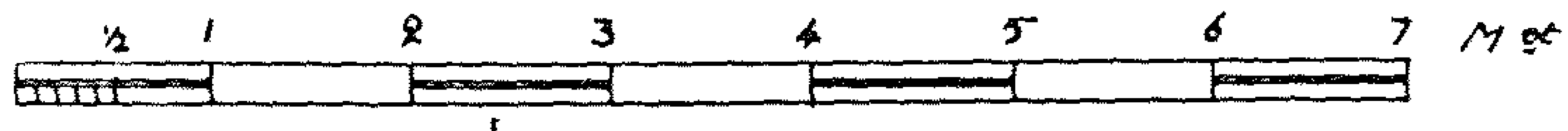




شكل ٣٠ ـــ حصن أغورمى واطلال معبد أم عبيدة عام ١٨٢٠ .
أنظر Von Minutoli, Atlas, G 12 II

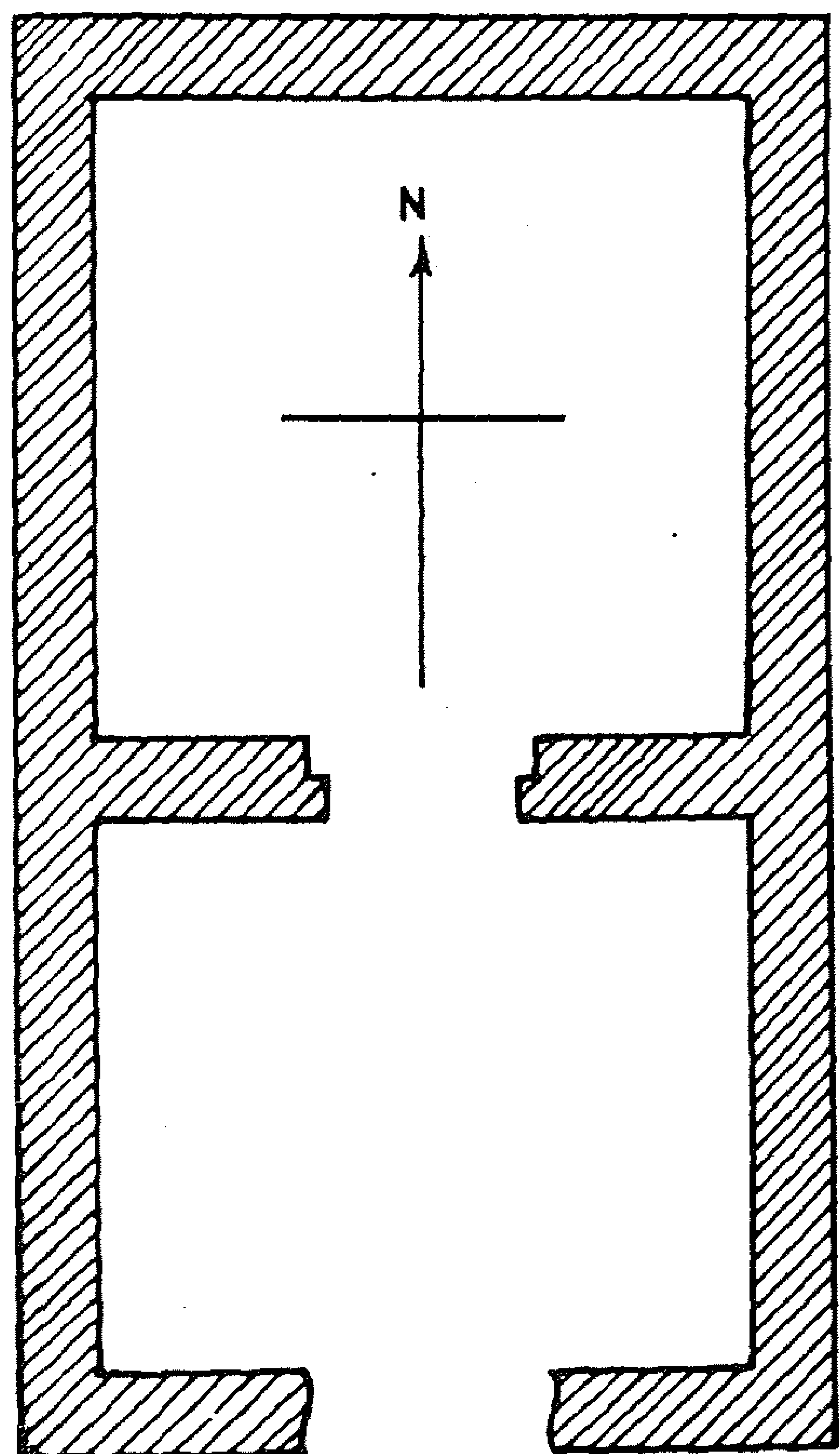
شكل ٣١ ـــ موقع بلاد الروم ومكان المعبد الرومى والمبانى اللبنية والمقابر الصخرية ، والمحاجر .





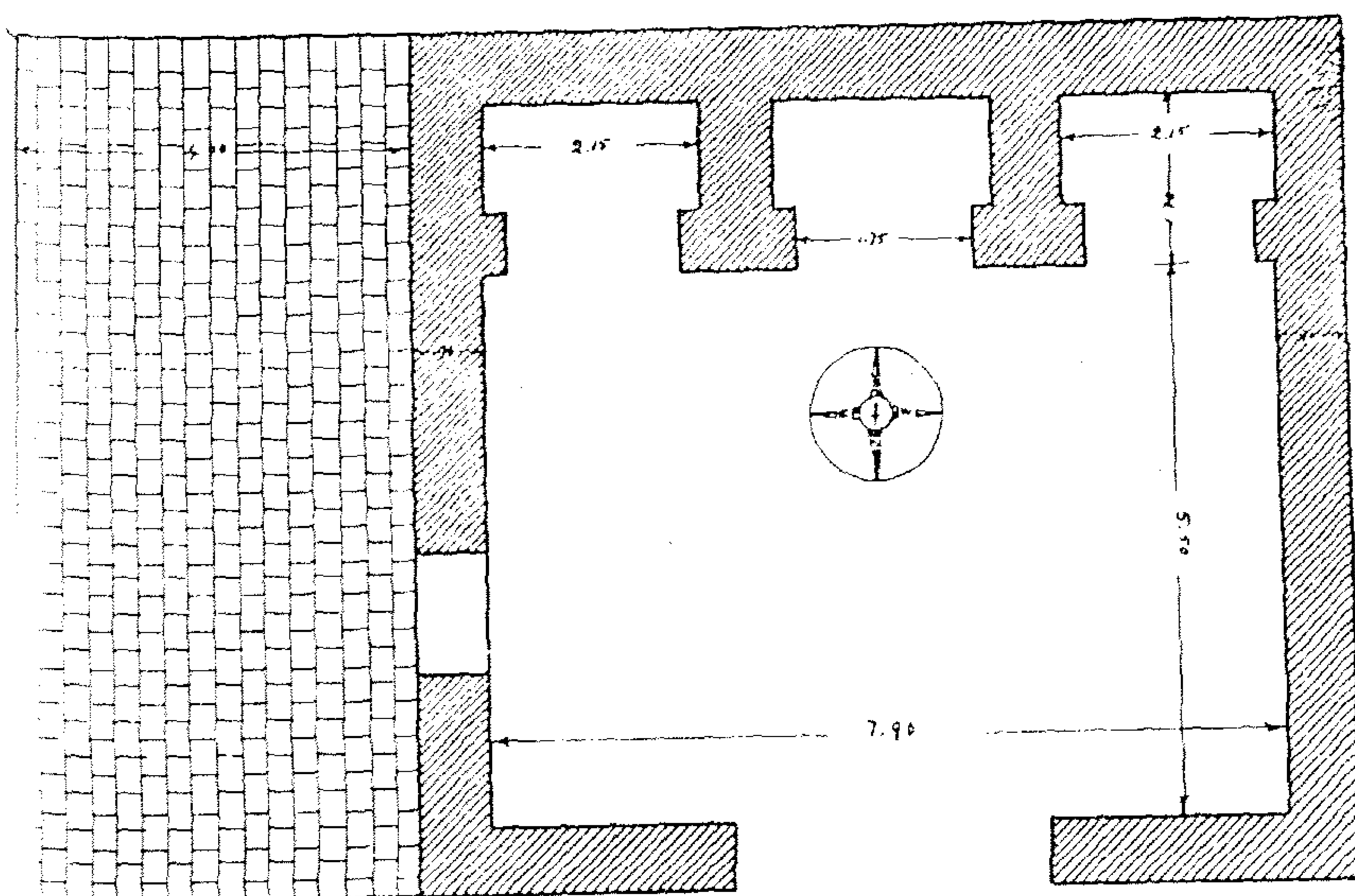
شكل ٣٢ ــ معبد أبو شروف الحجرى .

شكل ٣٣ ـــ واحدة من مقاصير المقابر الأربعة فى أبو العواف .

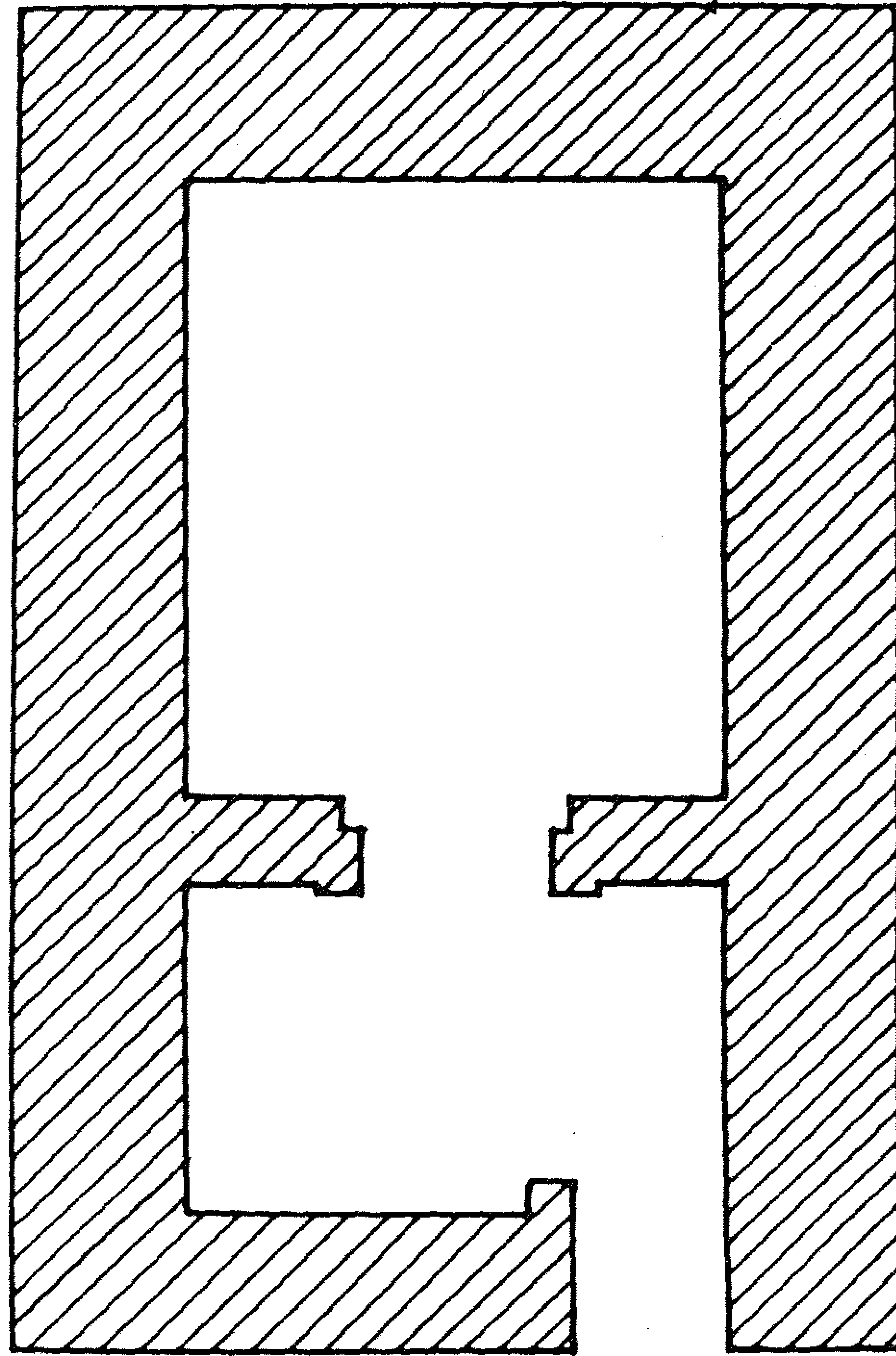


0 1 2 3 4 5 6 m.

شكل ٣٤ ـــ أكبر مقبرتين من مقابر أبو العواف الأربعة .

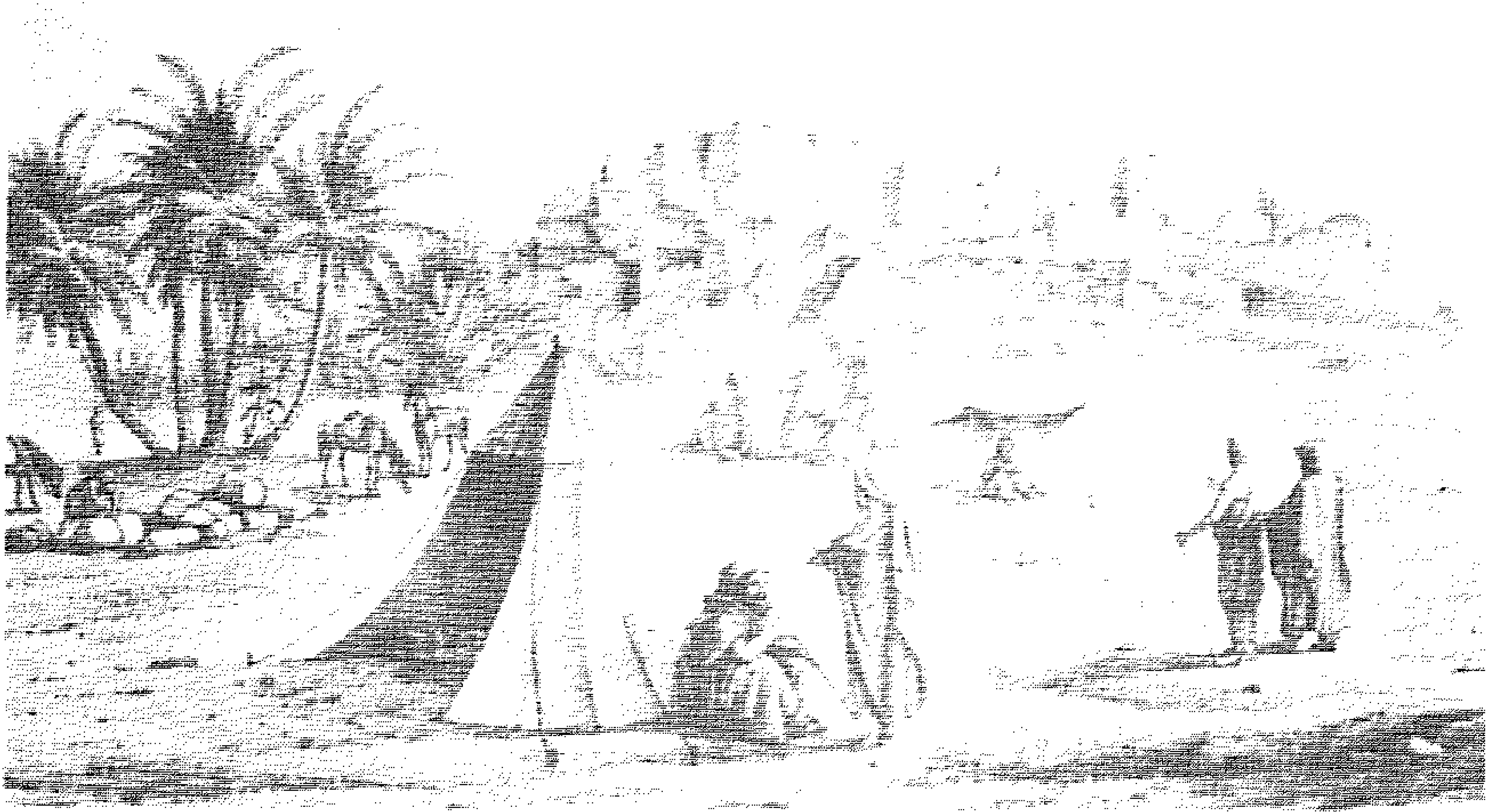


0 ½ 1 2 3 4 5 6 7 8



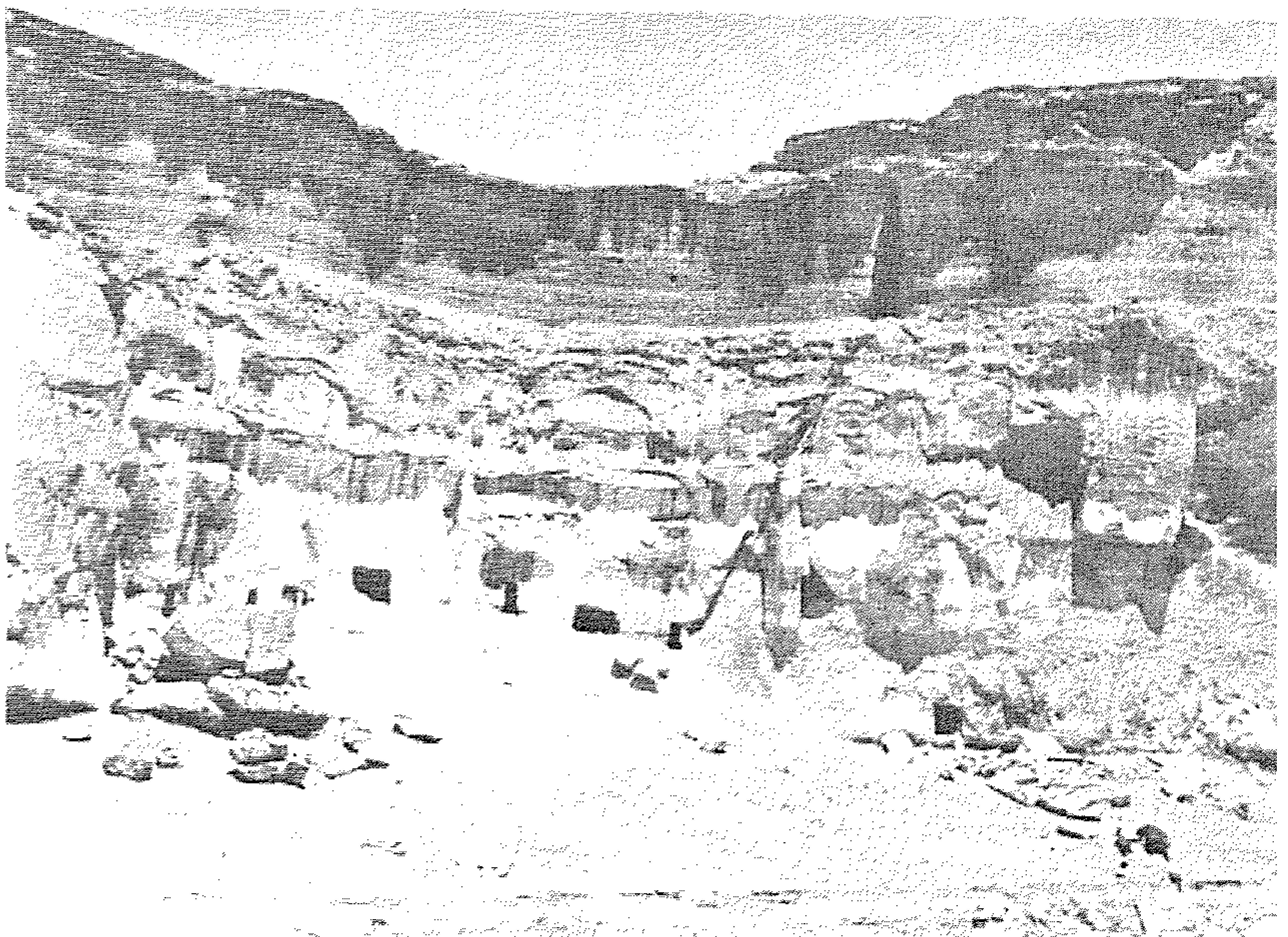
0 1 2 3 4 m.

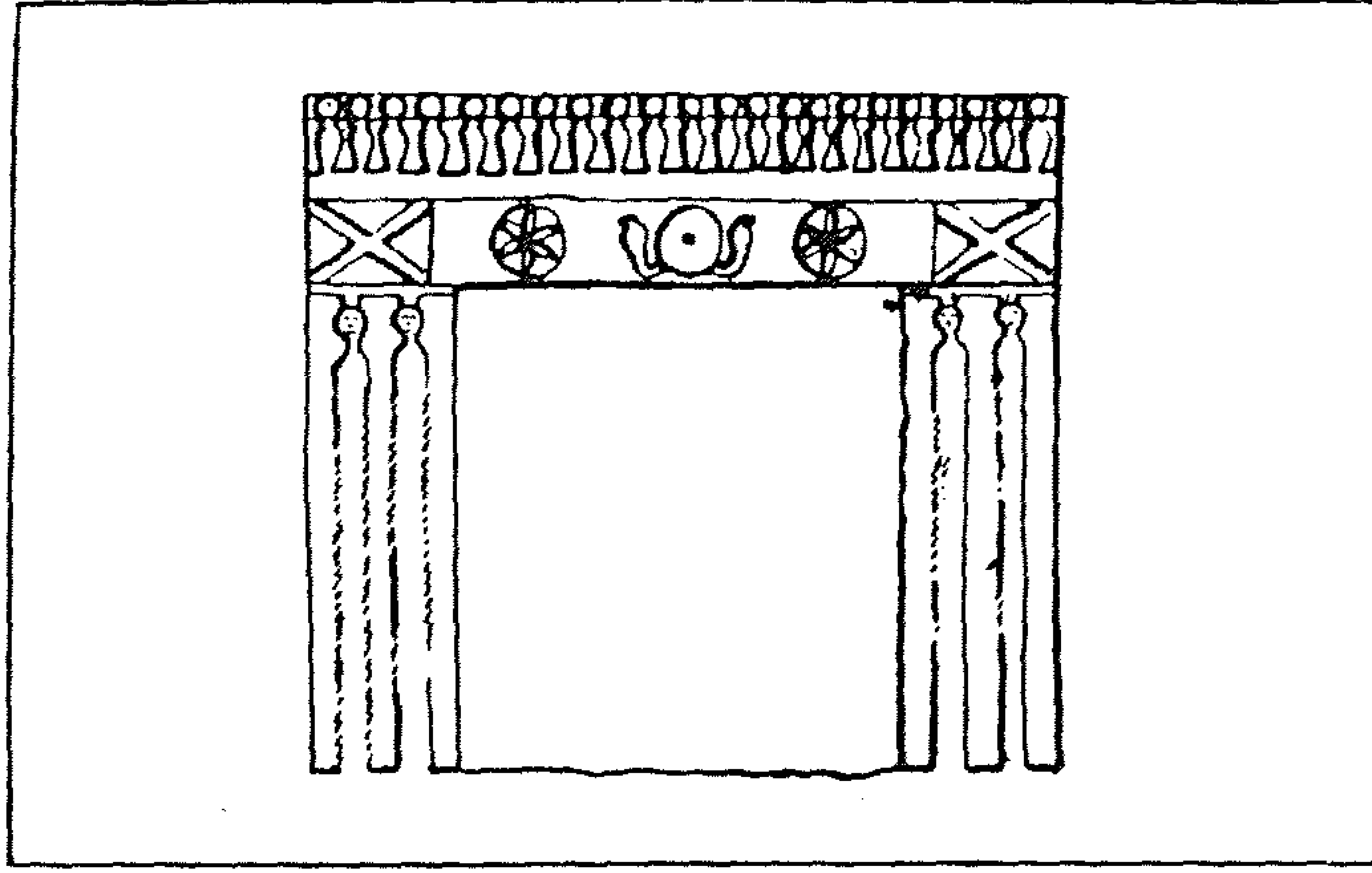
شكل ٣٥ ــ الحجرتان الظاهرتان فى معبد الزيتون الحجرى .

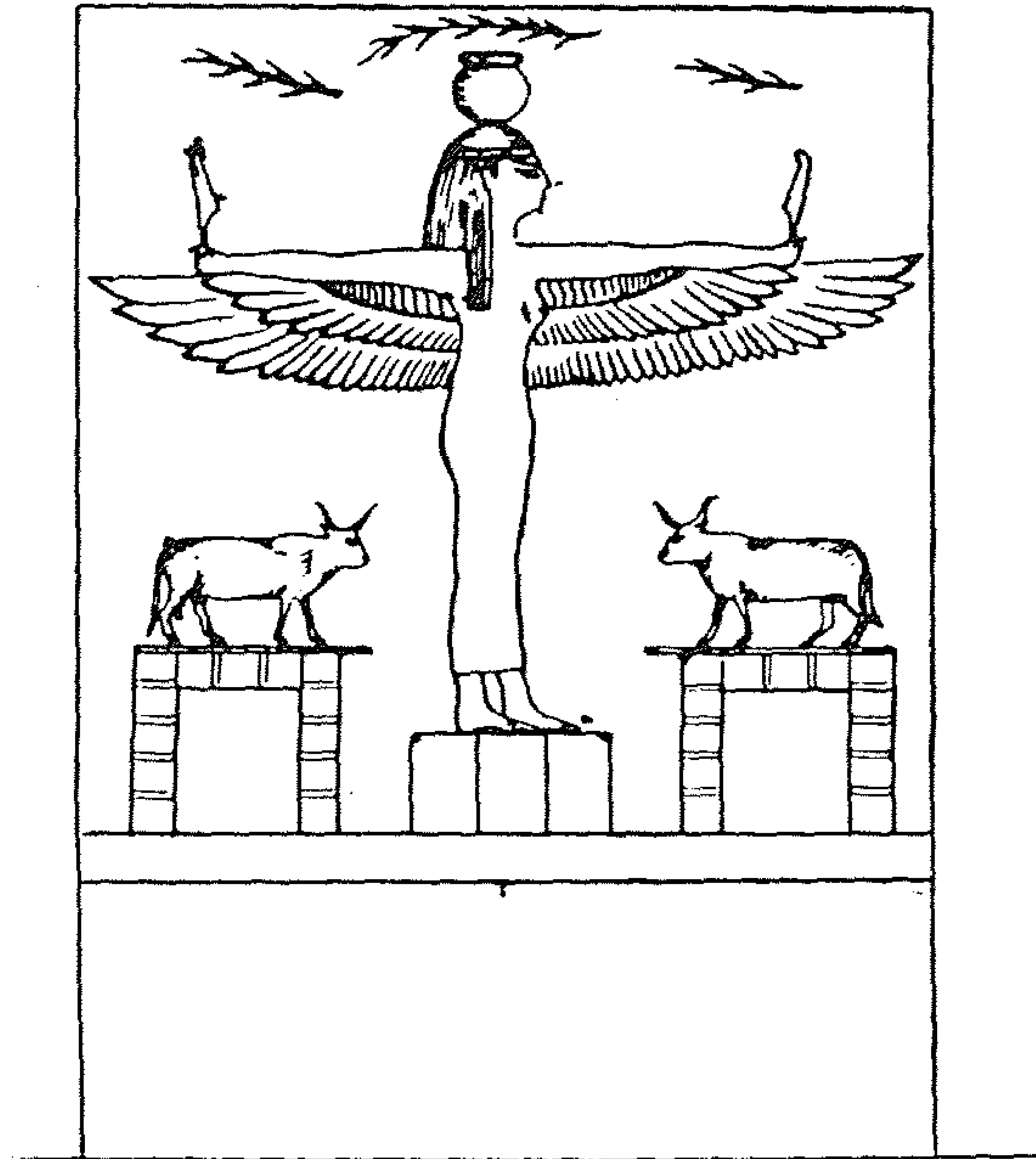


شكل ٣٦ ــ قارة أم الصغير عام ١٨٢٠ . عن Von Minutoli, Atlas, P.L X 1,6

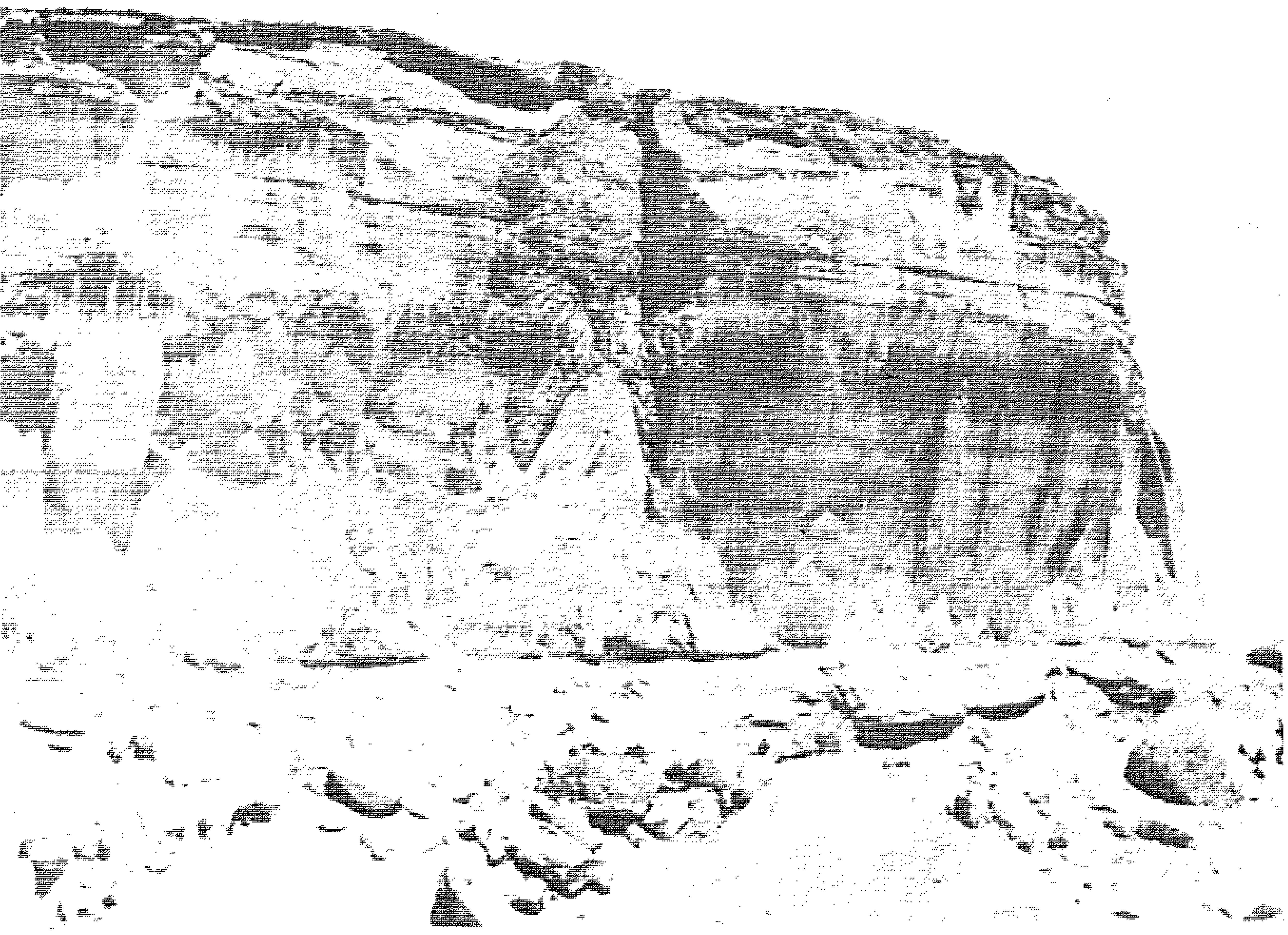
شكل ٣٧ ــ منظر عام لواحدة من مجموعتى مقابر واحة العرج الصخرية .



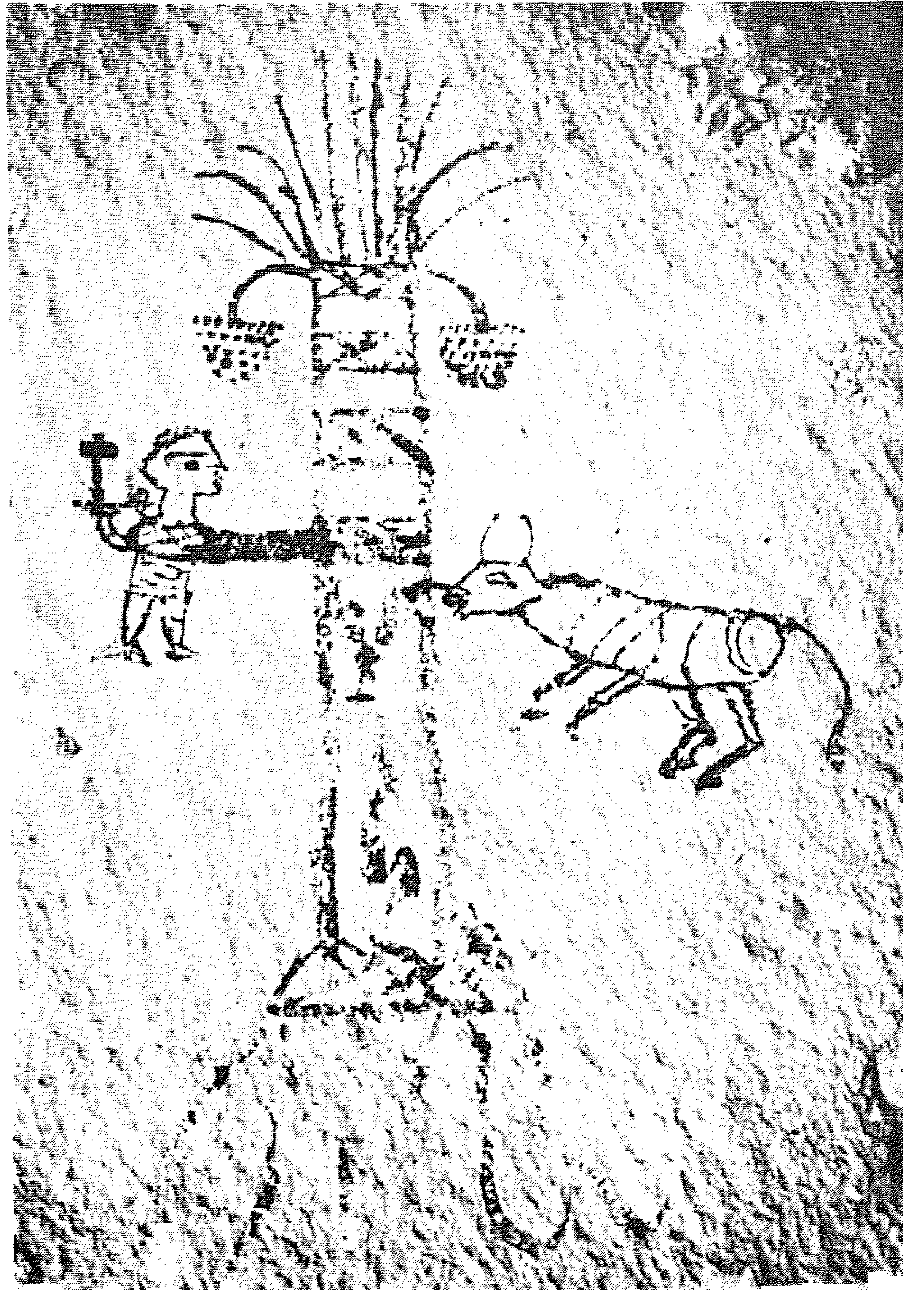




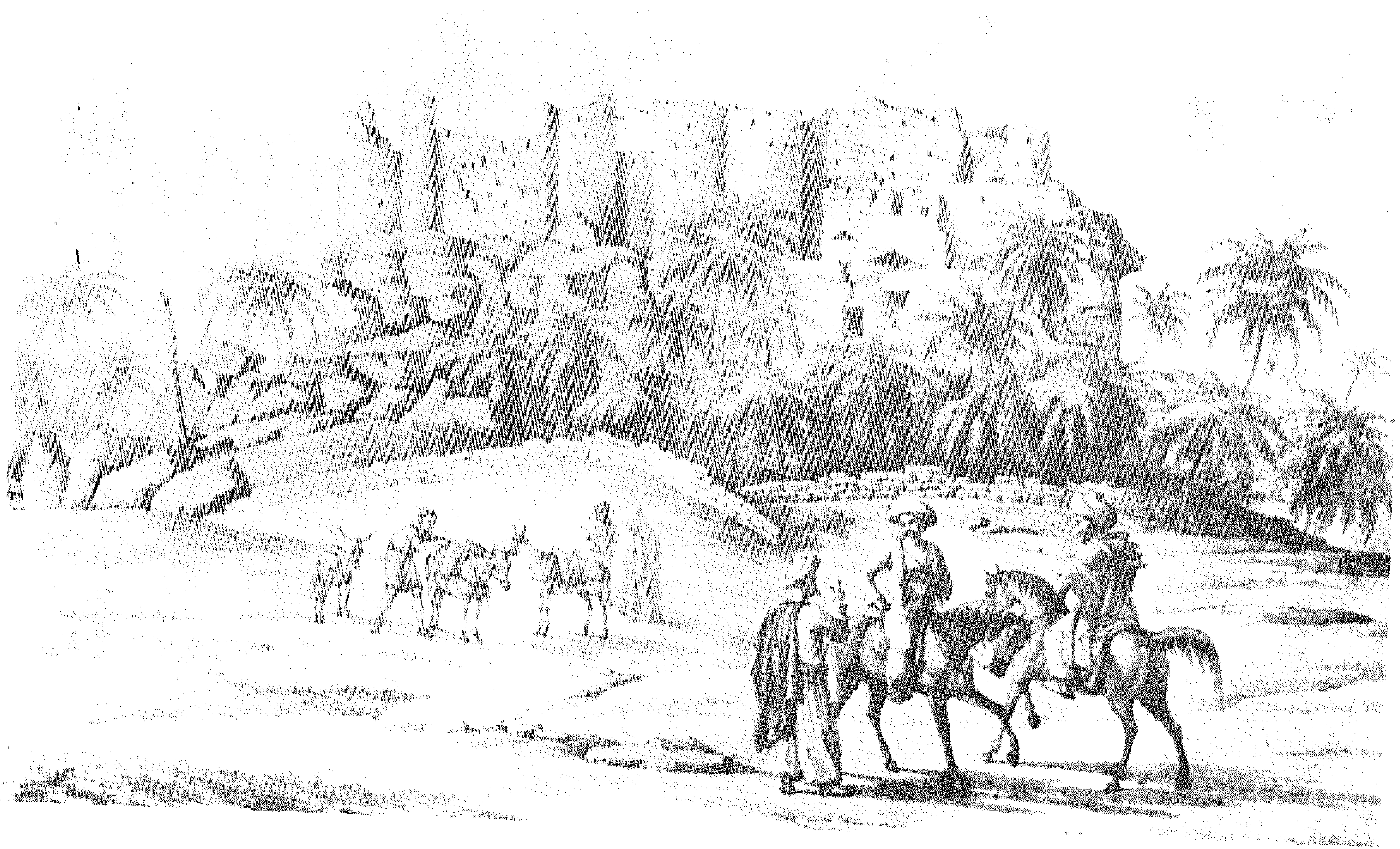
شكل ٣٨ ـــ بعض الزخارف داخل المقبرة .



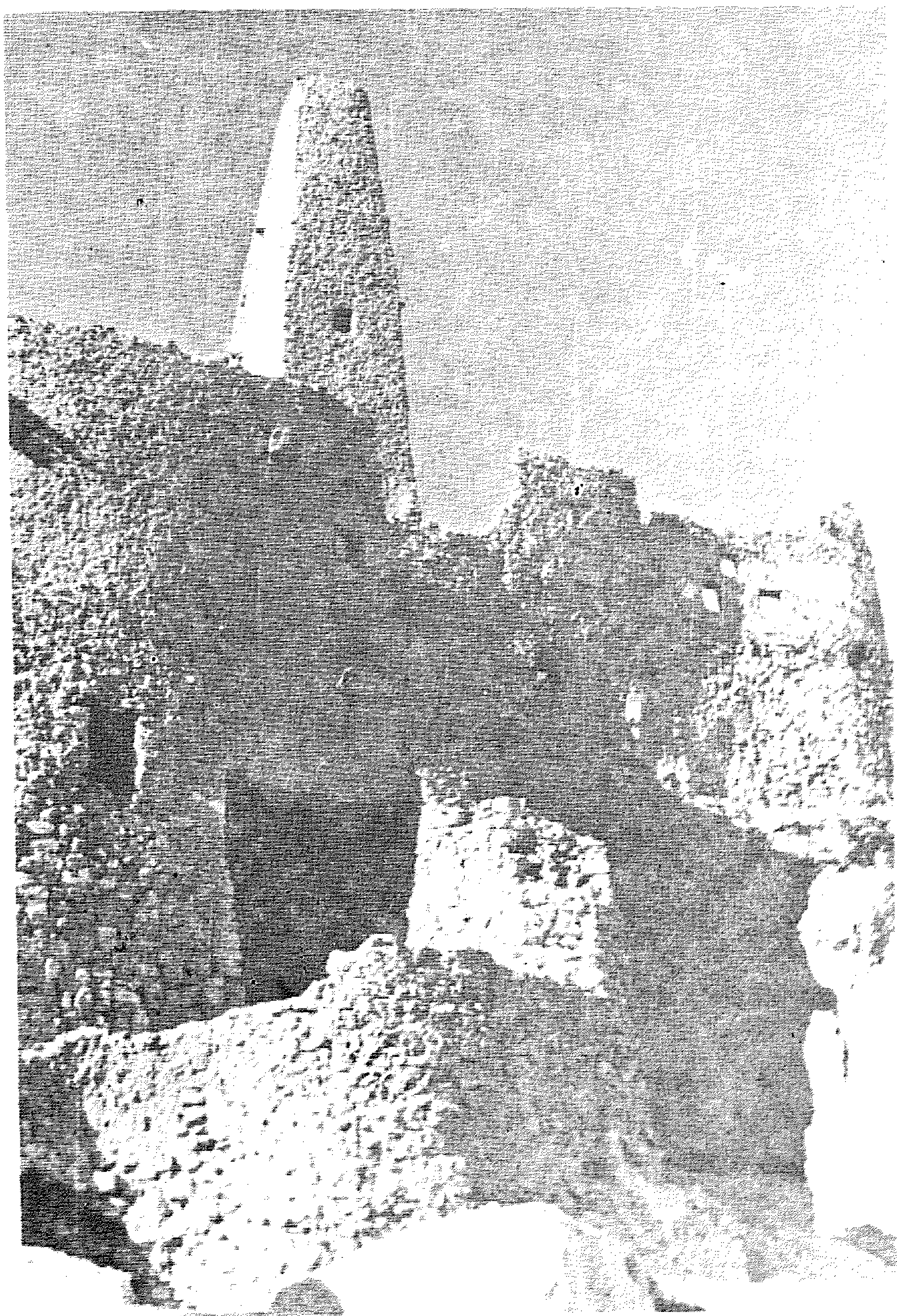
شكل ٣٩ ــ منظر لواحة العرج حيث يمكن أن يكون موقع المعبد.



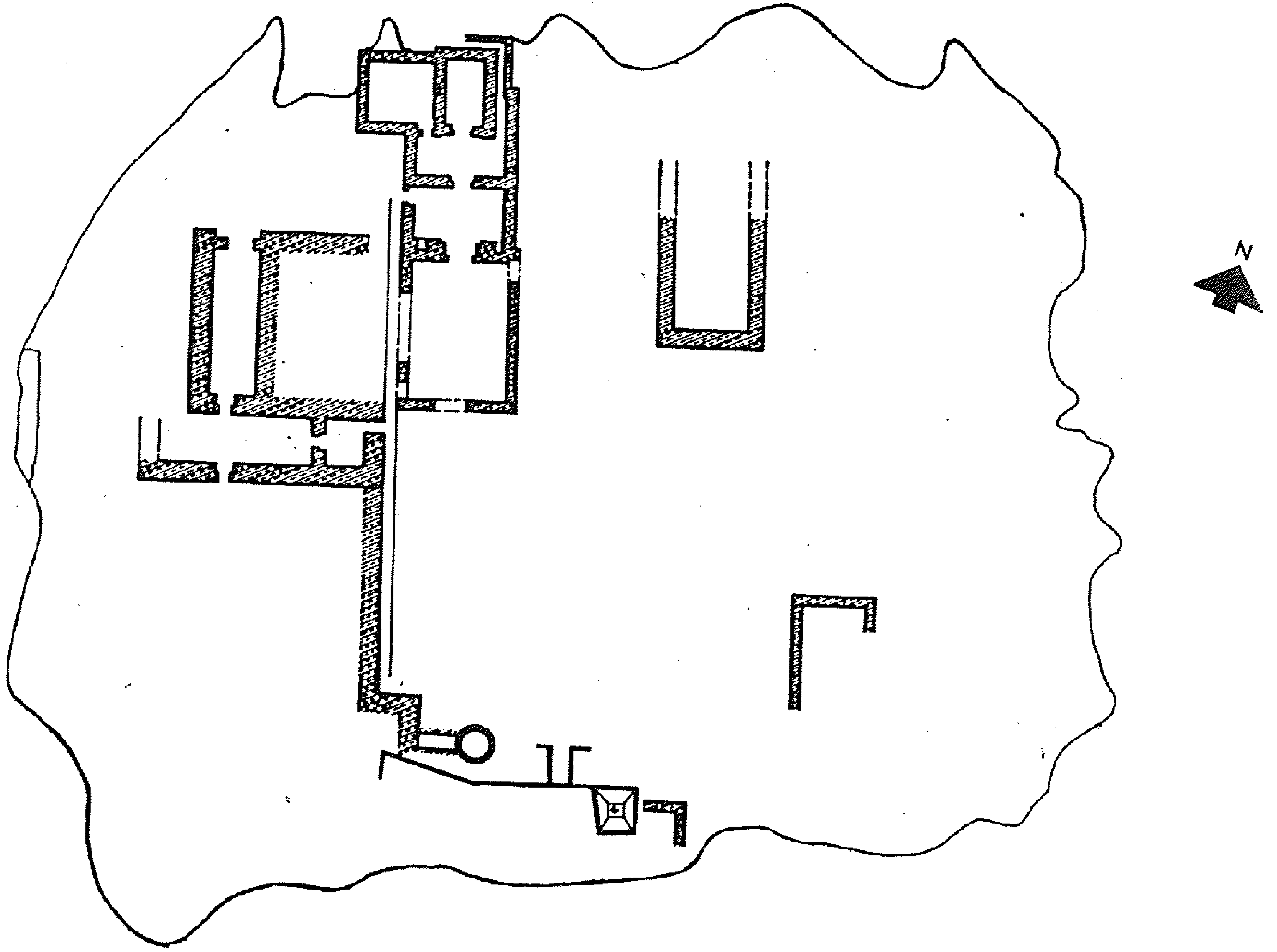
شكل ٤٠ ــ رسم باللون الأحمر لشجرة نخيل فى احدى مقابر العرج.



شكل ٤١ — أغورمى عام ١٨٢٠ . عن Von Minutoli, Atlas, Pl. XI

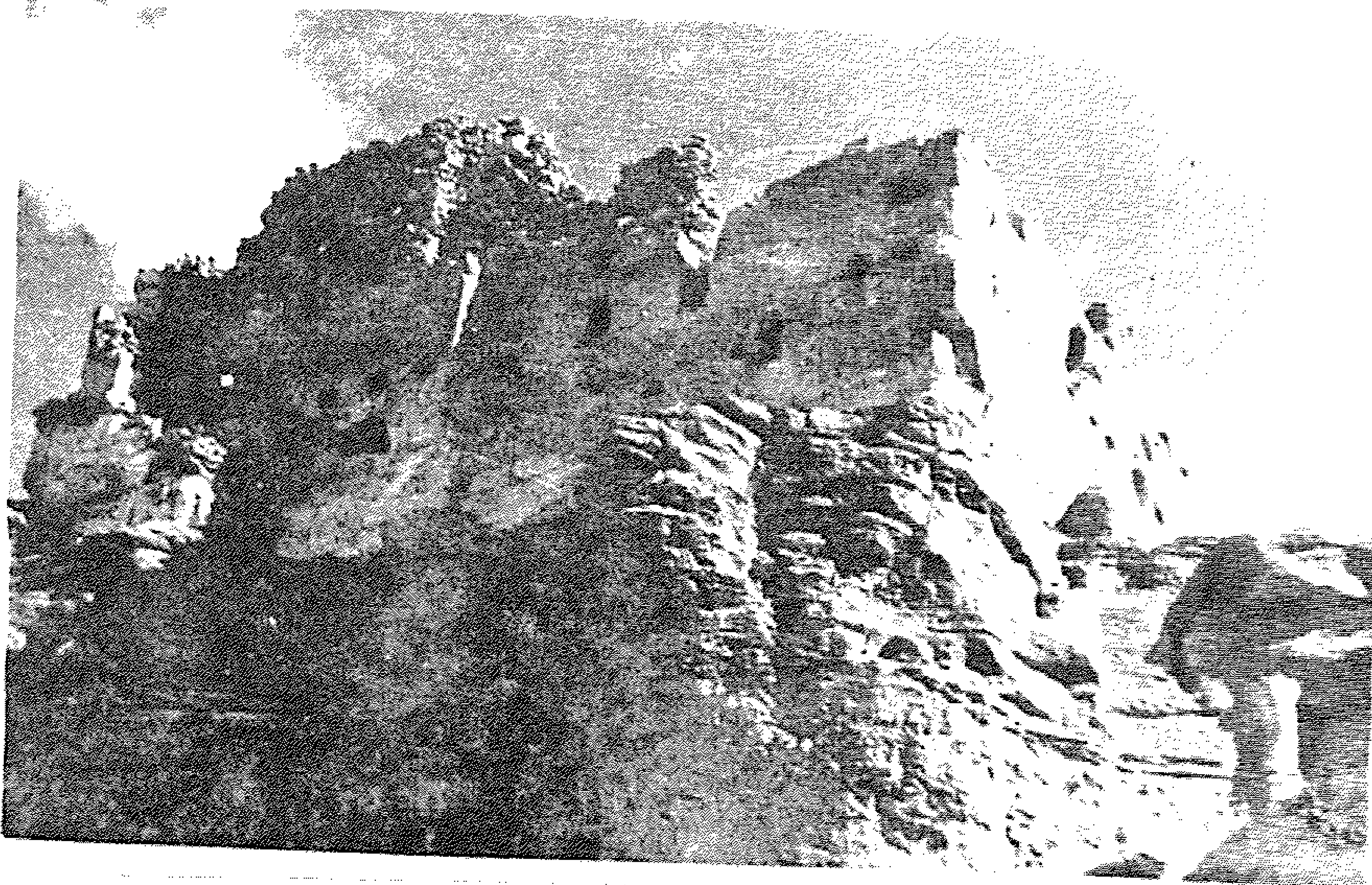


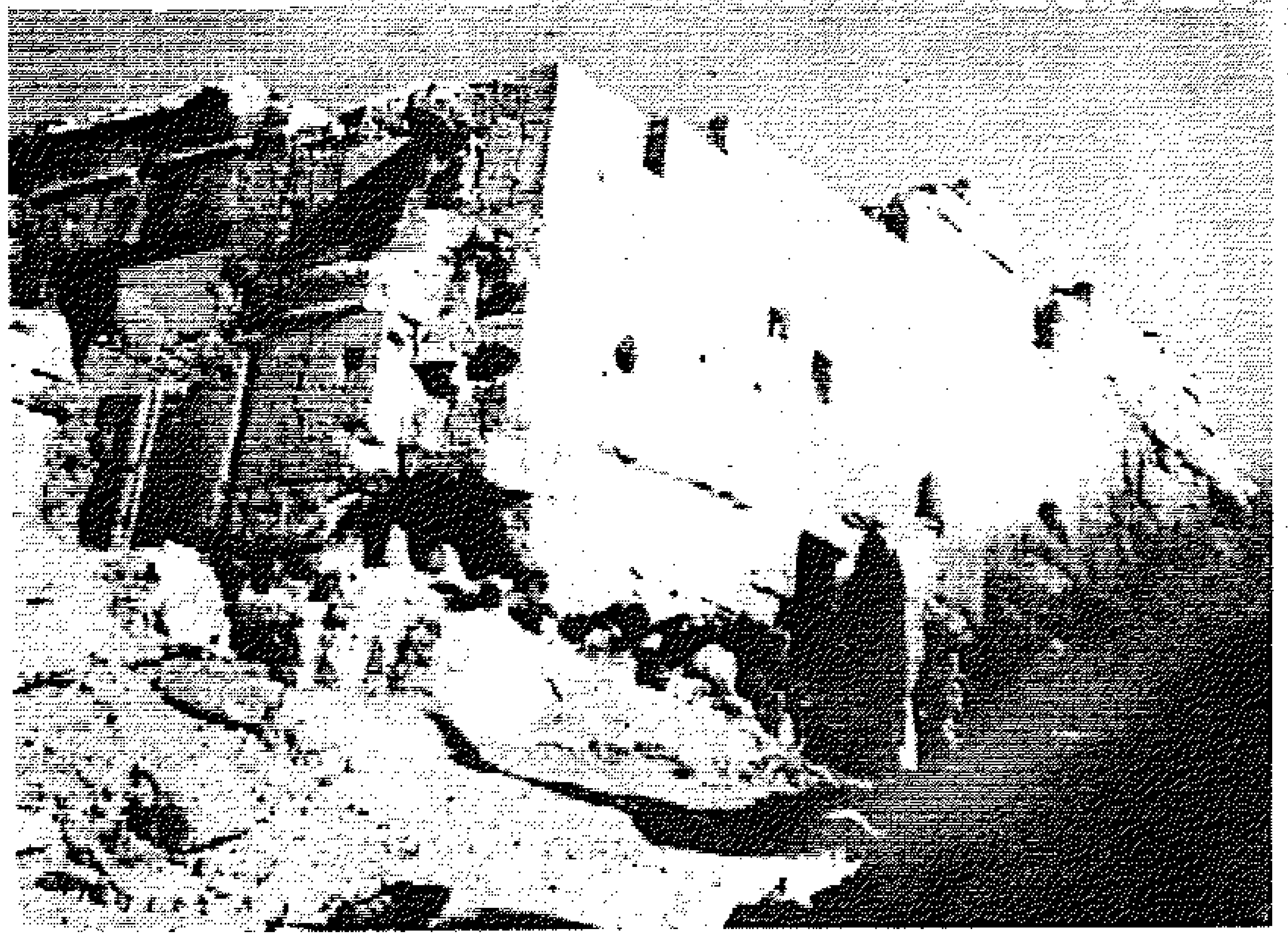
شكل ٤٢ ــ المدخل إلى الحصن . قرية أغورمى .



شكل ٤٣ ــ رسم تخطيطى عام لآثار أغورمى .

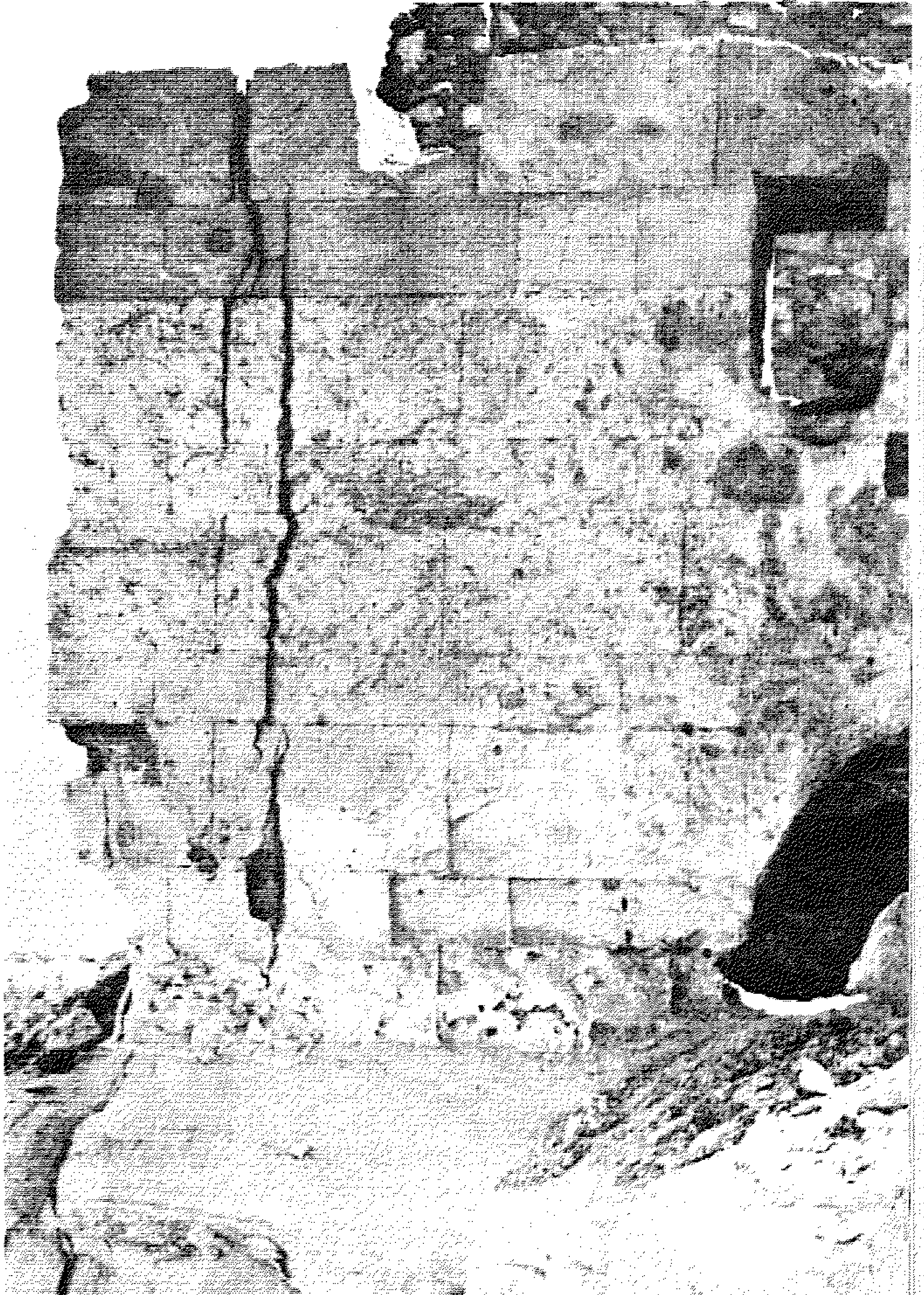
شكل ٤٤ ــ منظر للجدار الخلفى لمعبد الوحى على حافة الصخرة .

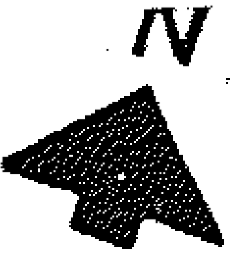


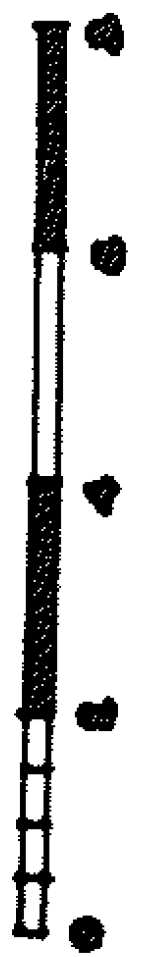


شكل ٤٥ ــ الركن الشمالى الغربى لمعبد الوحى والصورة تبين حالته الخطيرة .

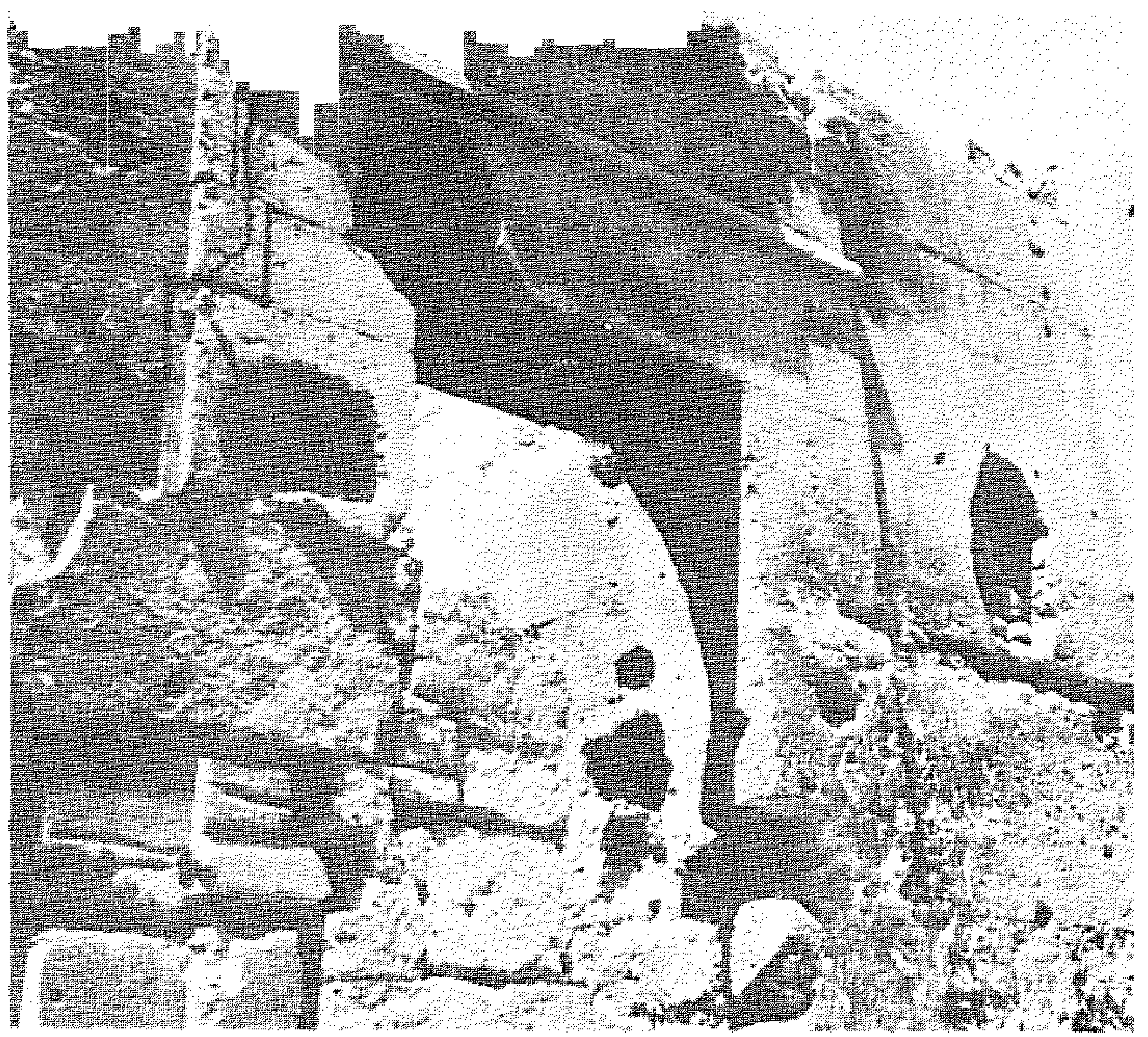
شكل ٤٦ ــ معبد الوحى قبل الحفائر .





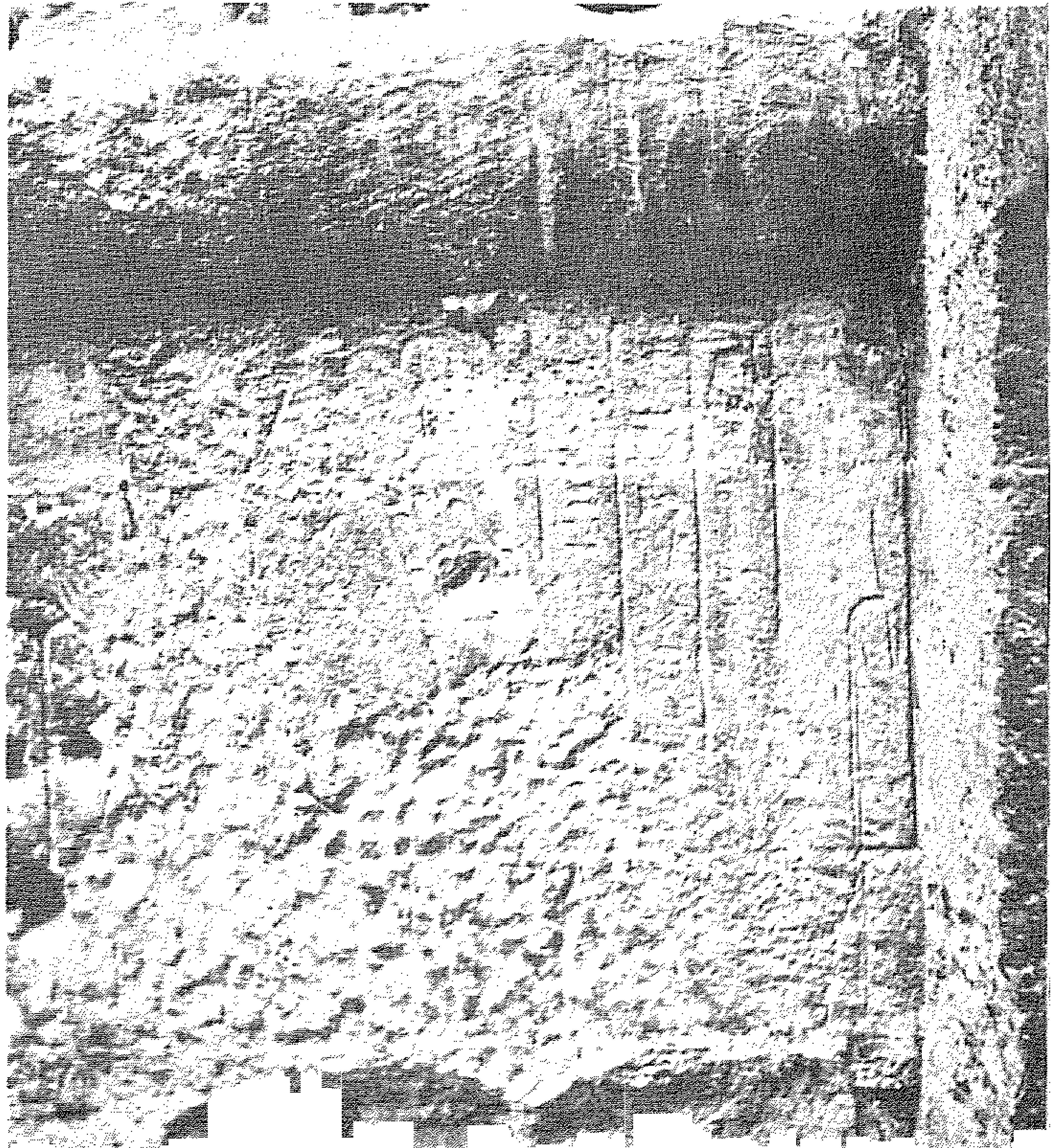


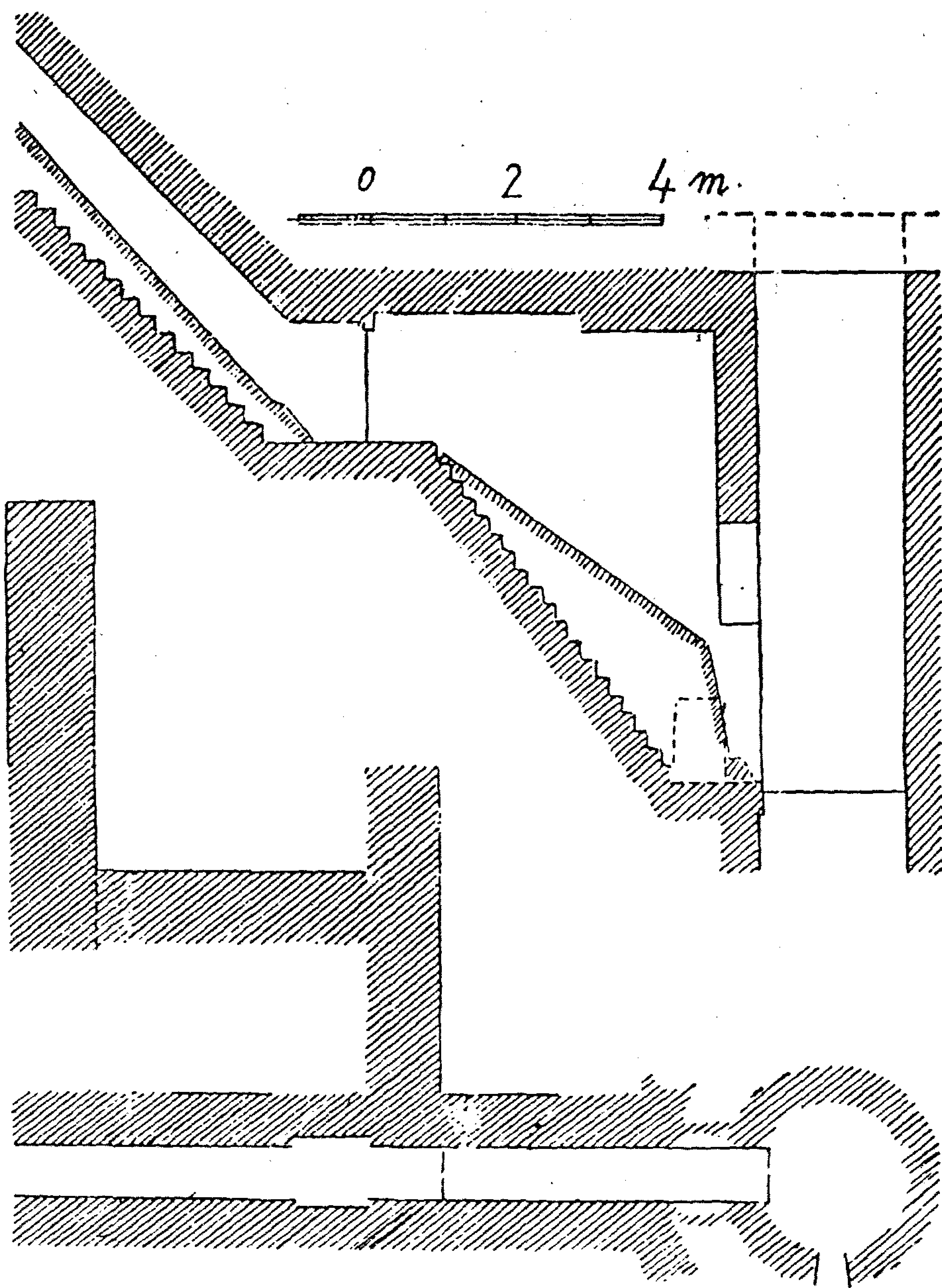
شكل ٤٧ — رسم تخطيطى لمعبد الوحى .



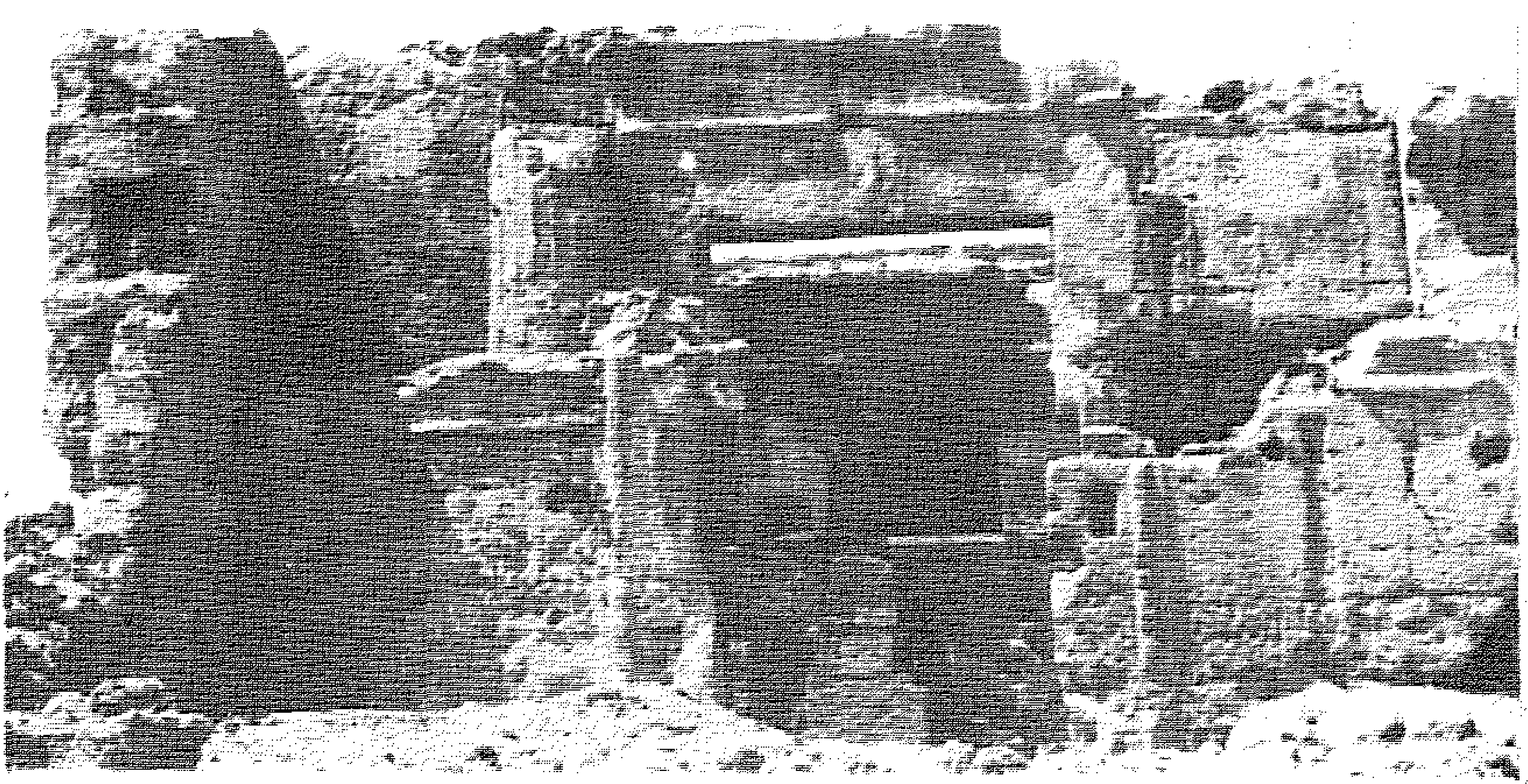
شكل ٤٨ ــ المدخل المؤدى إلى صالة المعبد الثانية قبل ازالة الجدران الطينية .

شكل ٤٩ ــ جزء من أحد الجدران المنقوشة فى قدس الأقداس .



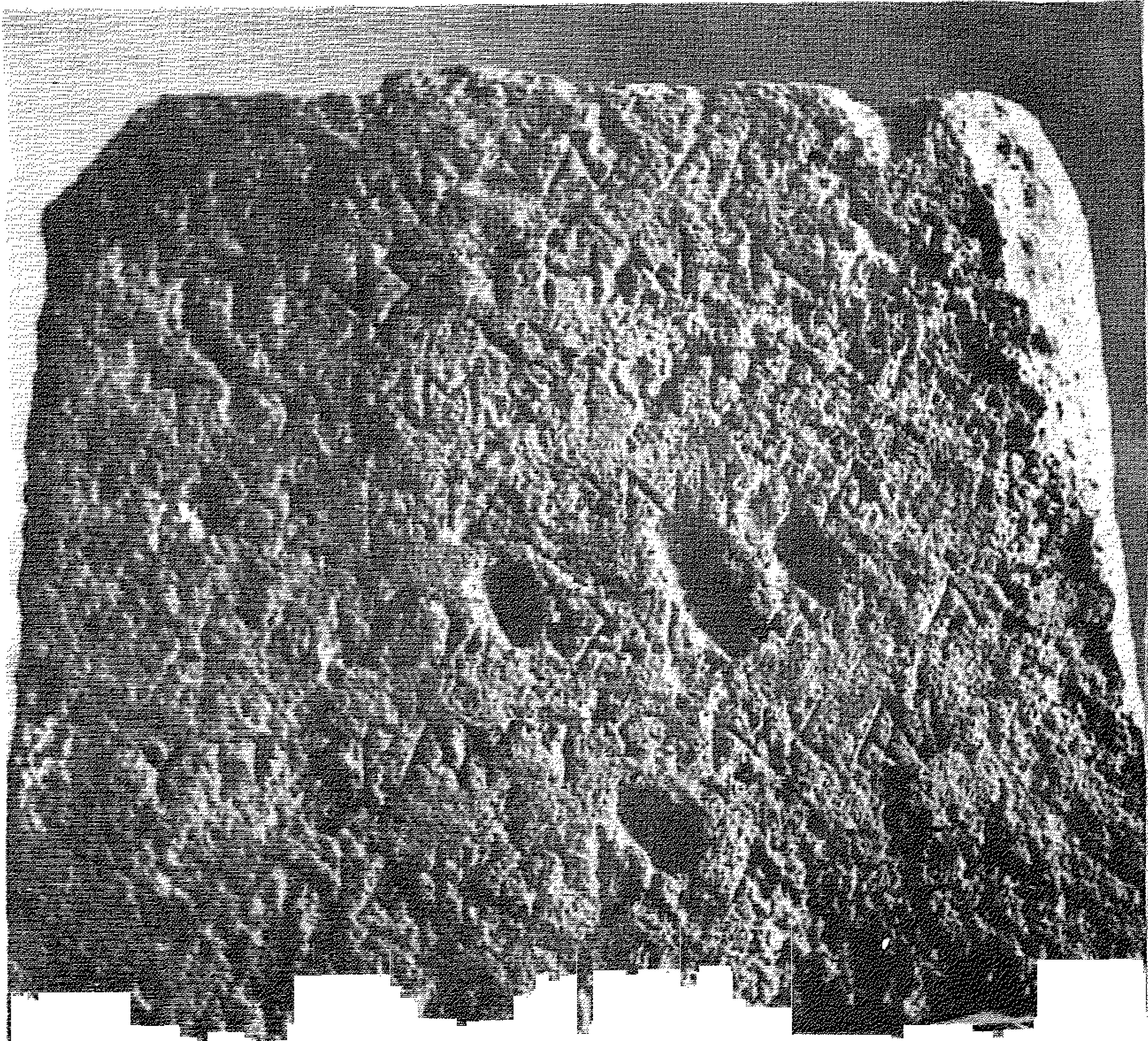


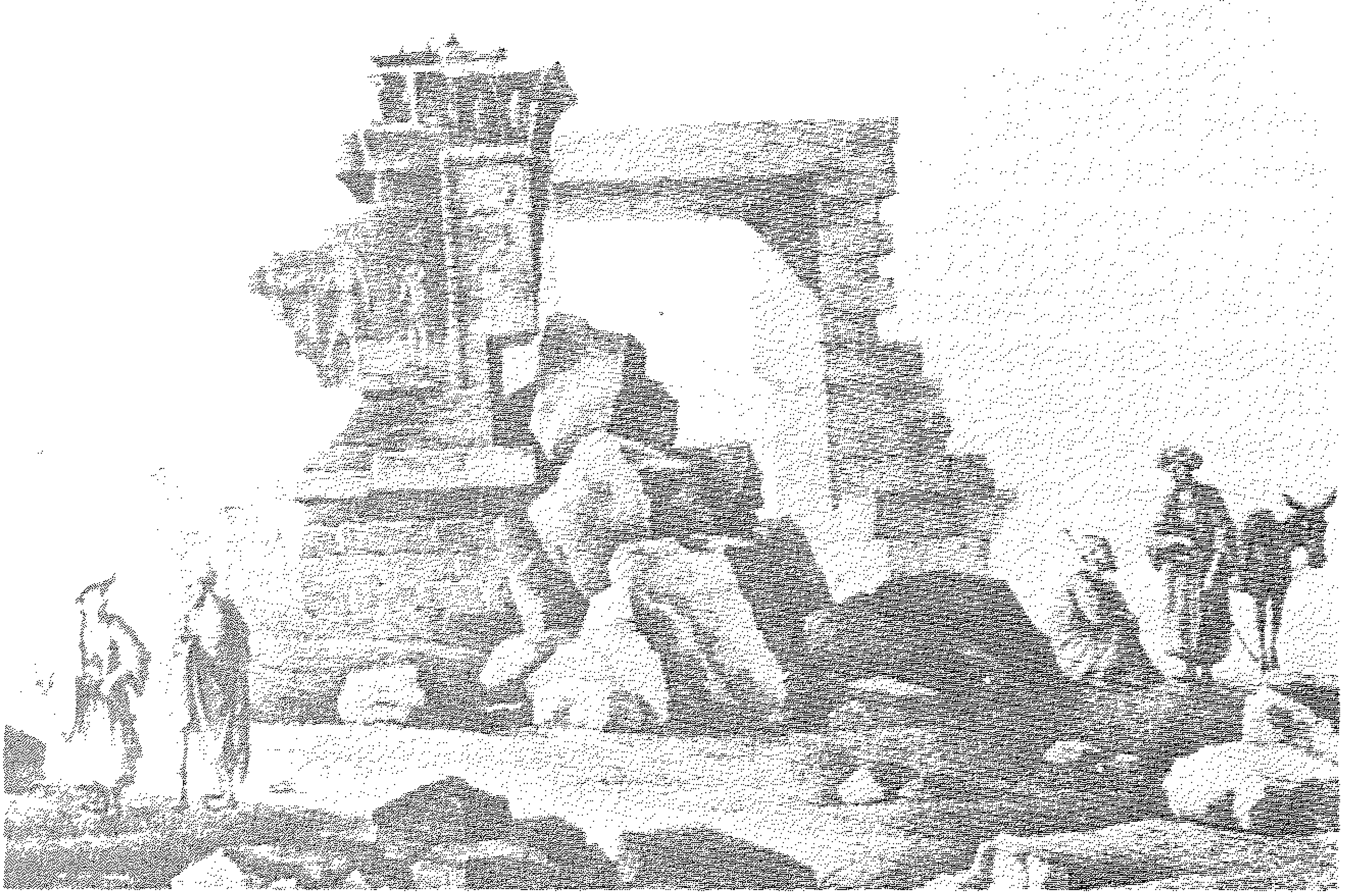
شكل ٥٠ ـــ رسم تخطيطي ومقطع رأسى للبئر القديمة فى أغورمى .
أنظر Aubin, ZAS, 69, P. 15



شكل ٥١ ــ واجهة معبد الوحى بعد حفائر ابريل سنة ١٩٧٠ .

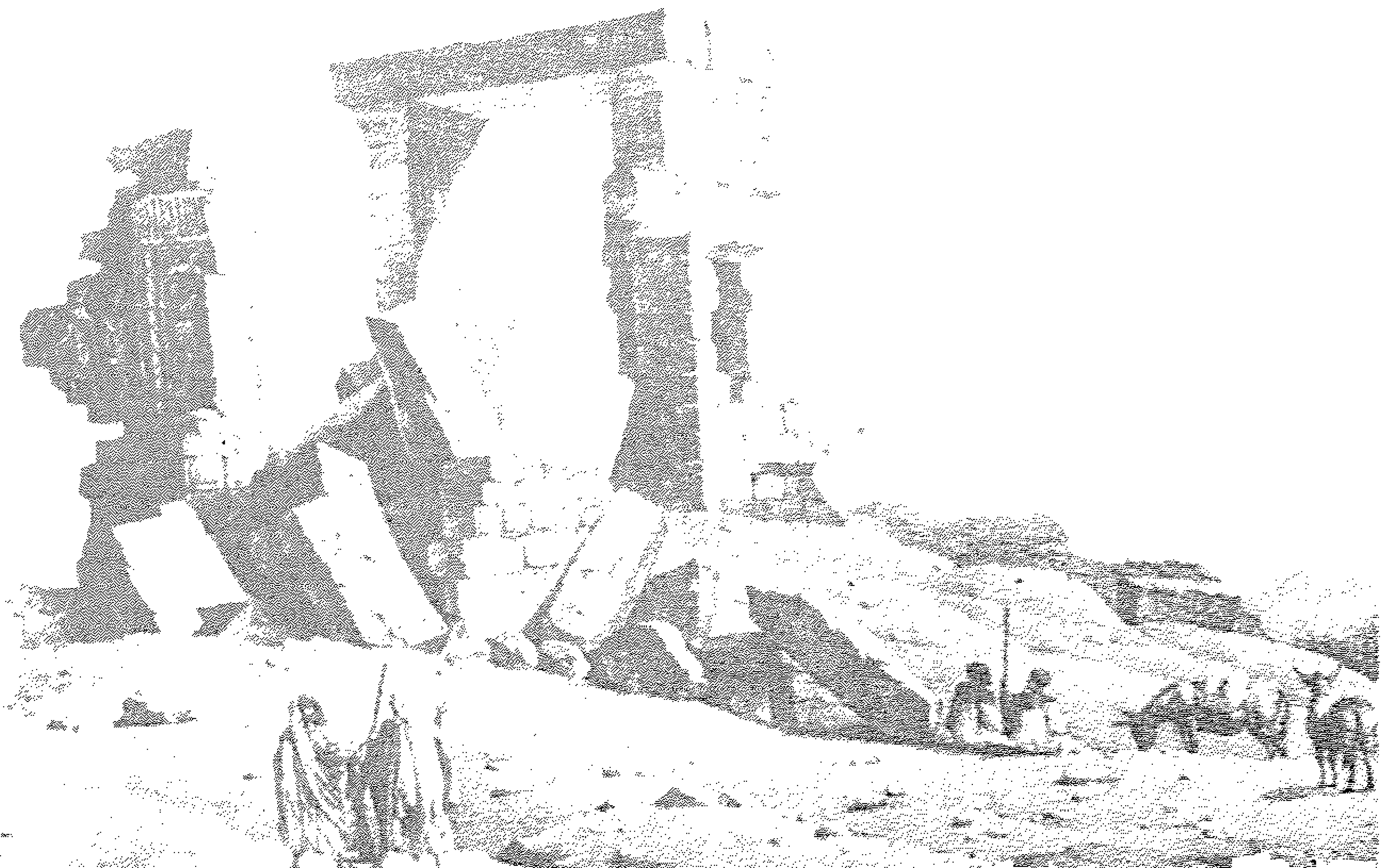
شكل ٥٢ ــ نص يونانى من القرن الثانى قبل الميلاد عثر عليه فى أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، مستخدما فى اساس جدار حديث داخل المعبد .





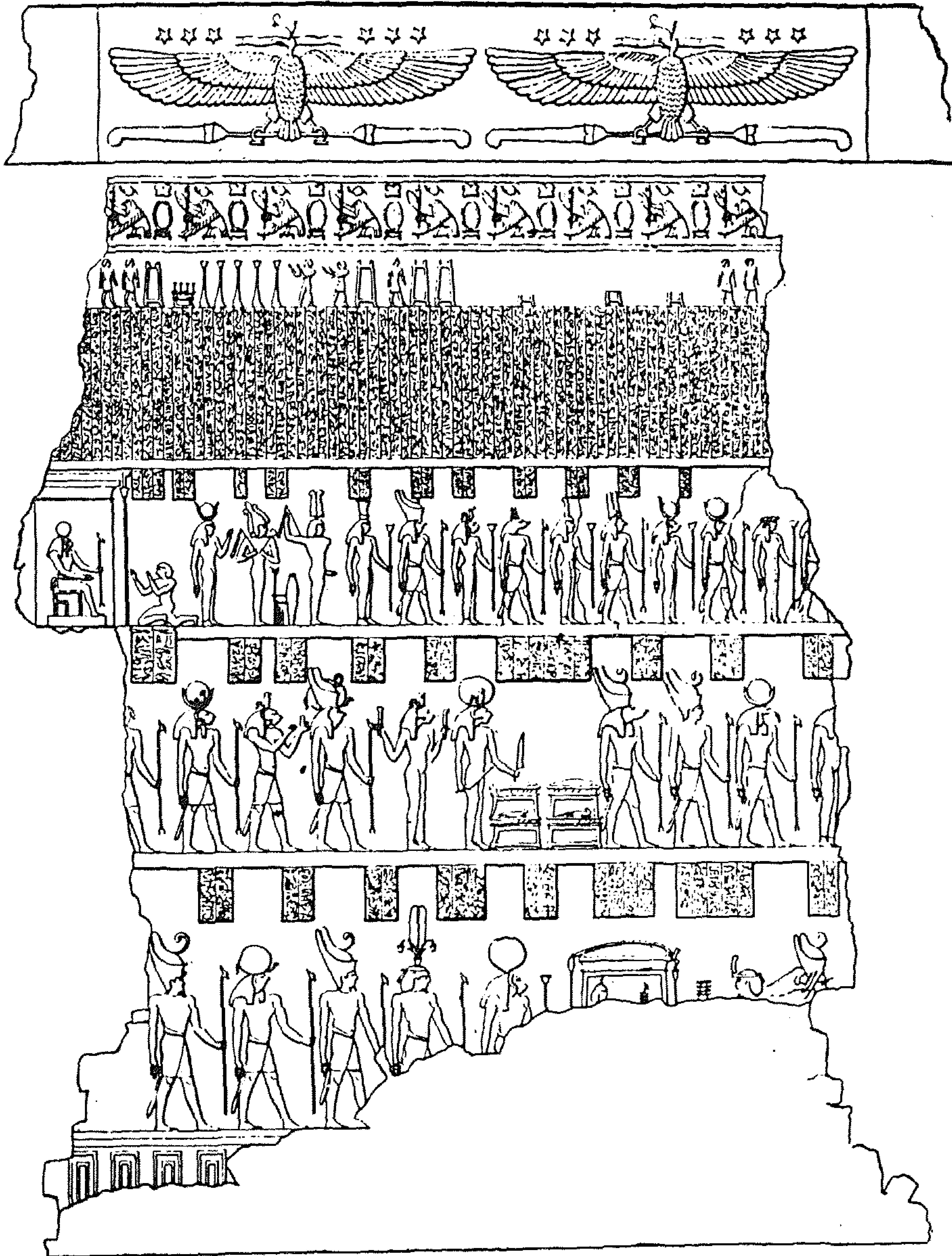
شكل ٥٣ ــ معبد أم عبيدة عام ١٨٢٠ . عن Von Minutoli, Atlas, Pl. VII

شكل ٥٤ ــ اطلال نفس المعبد من زاوية أخرى .

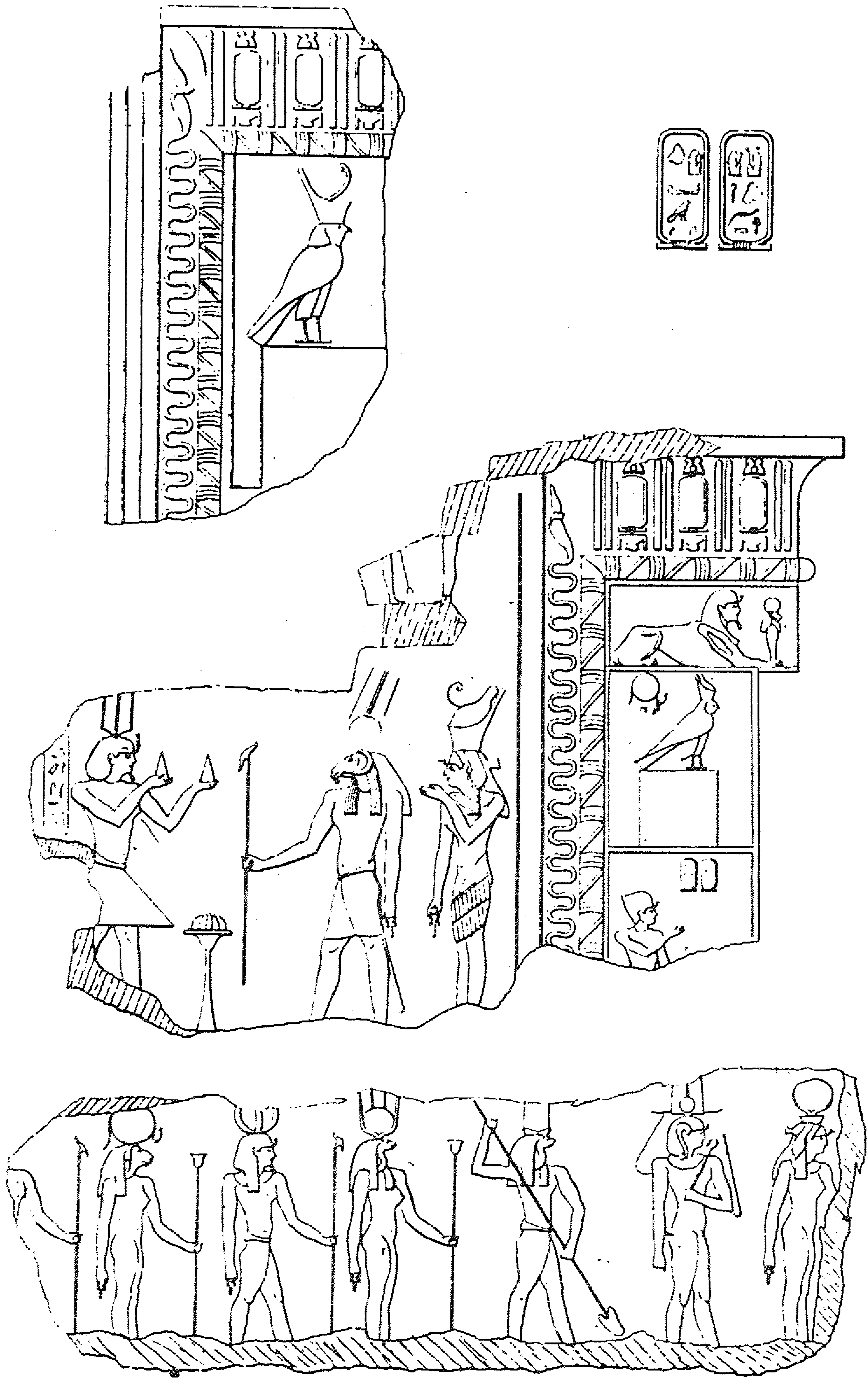




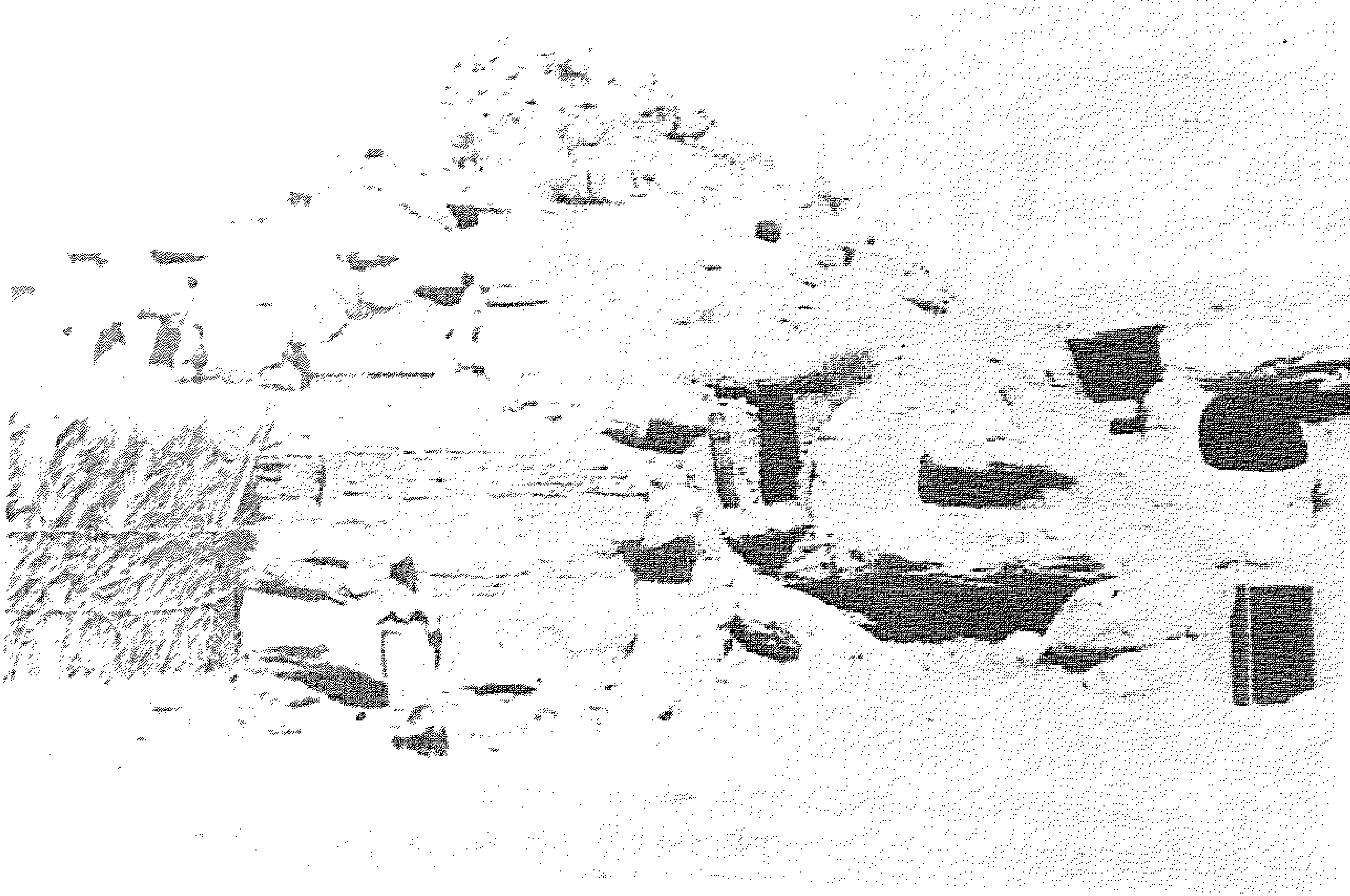
شكل ٥٥ ـ الجدار المتبقى من معبد أم عبيدة .



شكل ٥٦ ـ رسم للمناظر التى كانت مصورة على الجدار الآخر للمعبد والذى دمر سنة ١٨٩٥ .

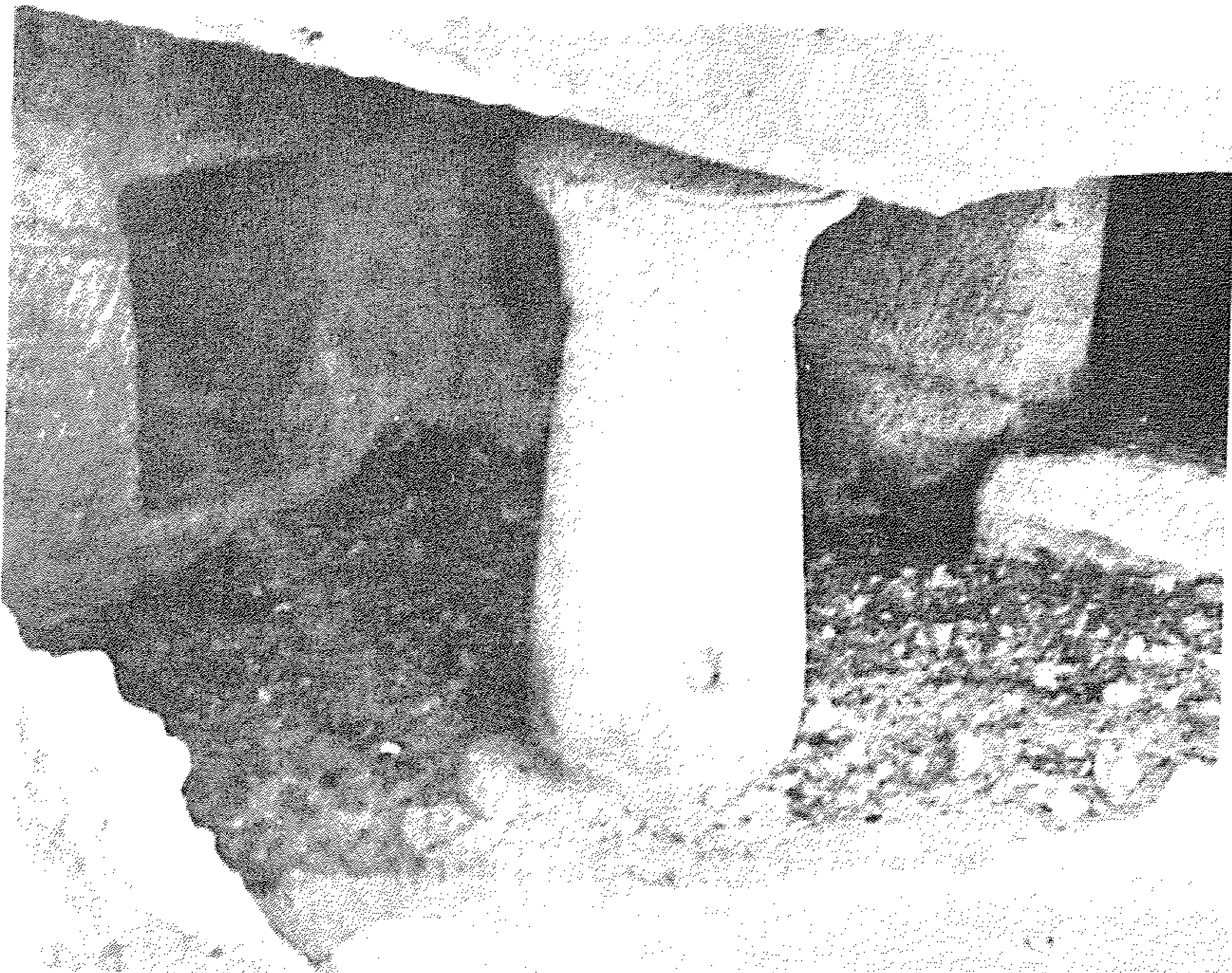


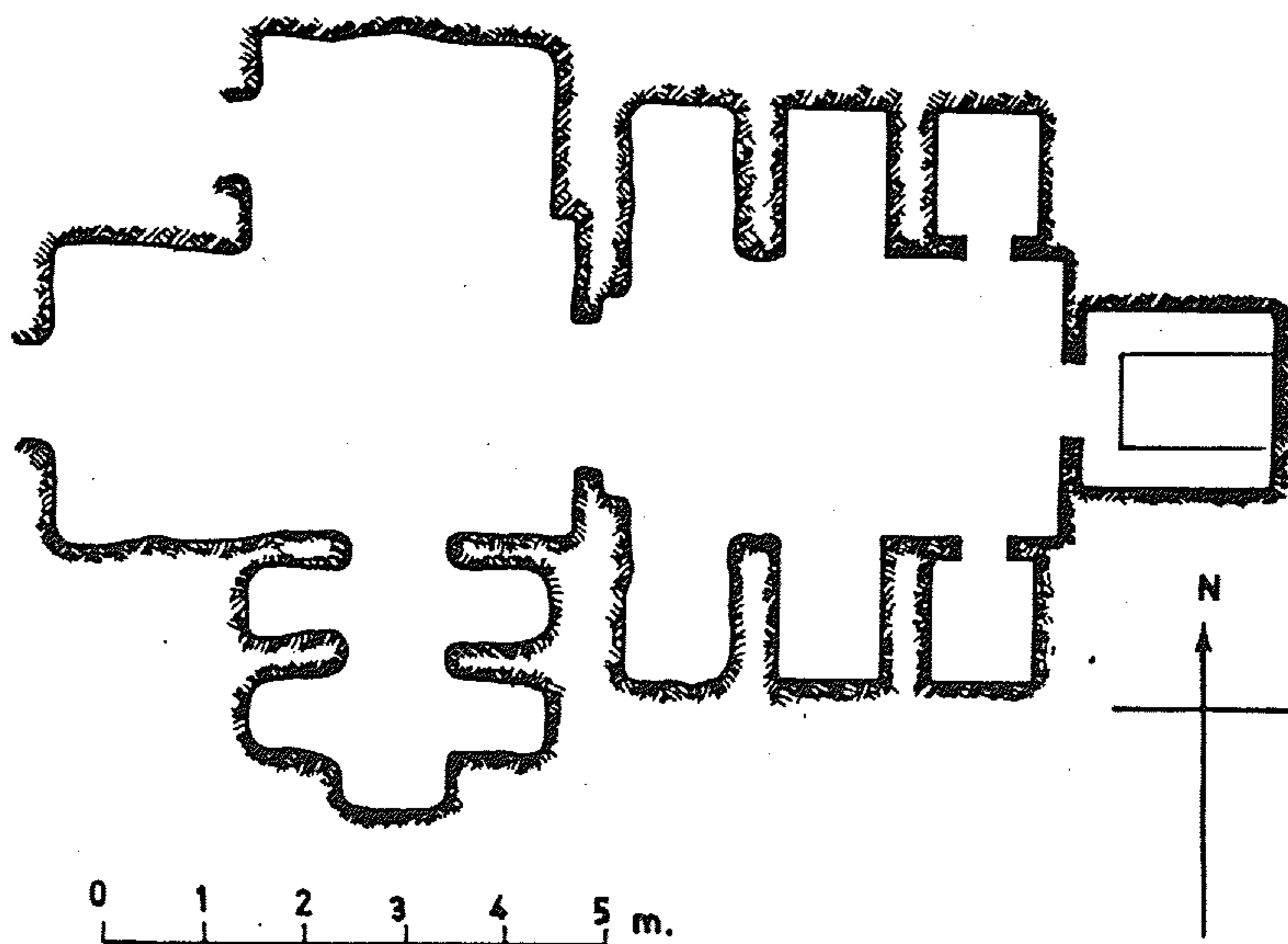
شكل ٥٧ ــ رسوم من أجزاء مختلفة من معبد أم عبيدة وبعض الأحجار المنقوشة باسم نقطانب الثانى أحد ملوك الاسرة ٣٠ .



شكل ٥٨ ــ منظر عام لجبل الموتى.

شكل ٥٩ ــ مقبرة منحوتة فى الصخر اسفل التل.

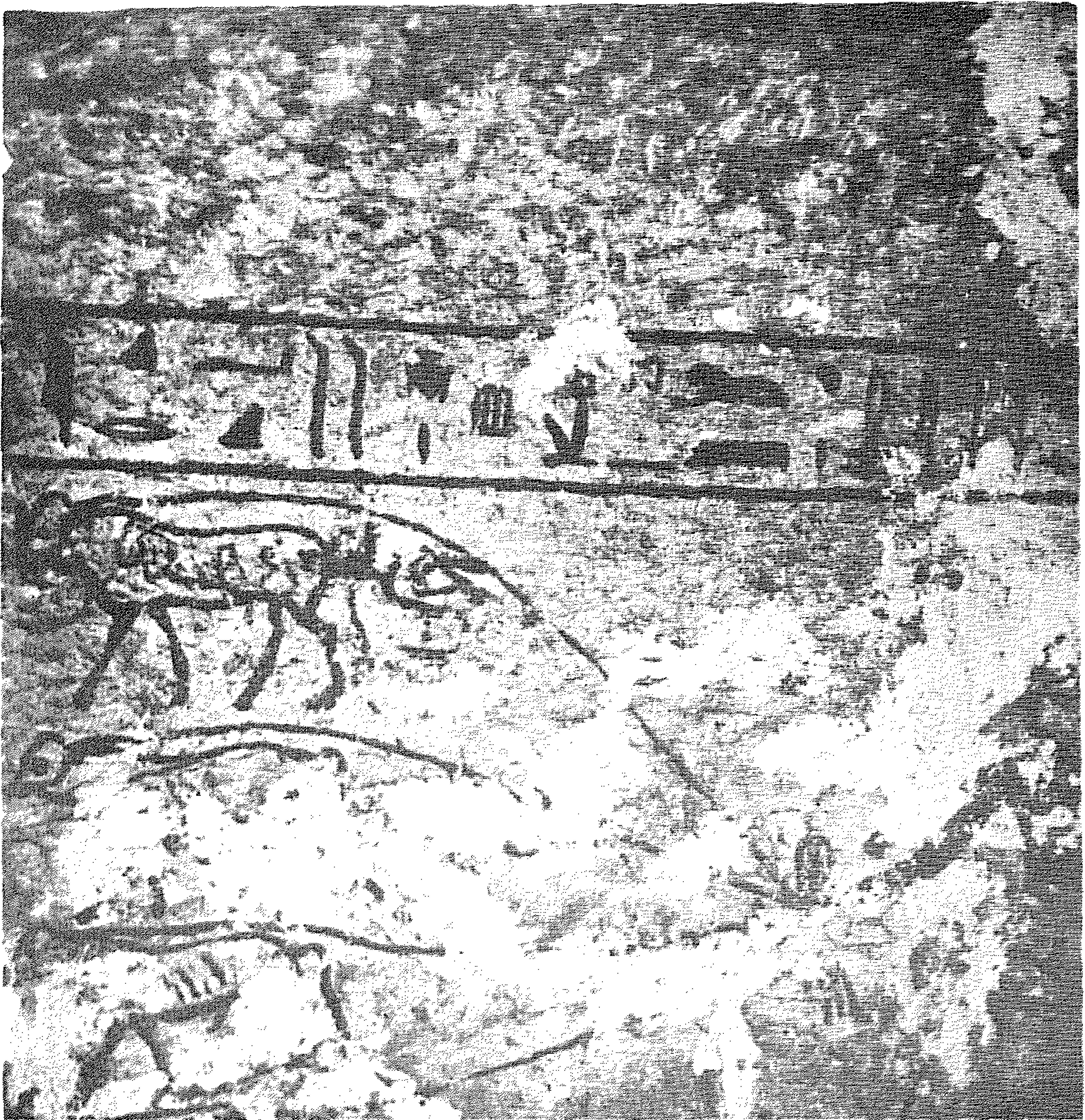




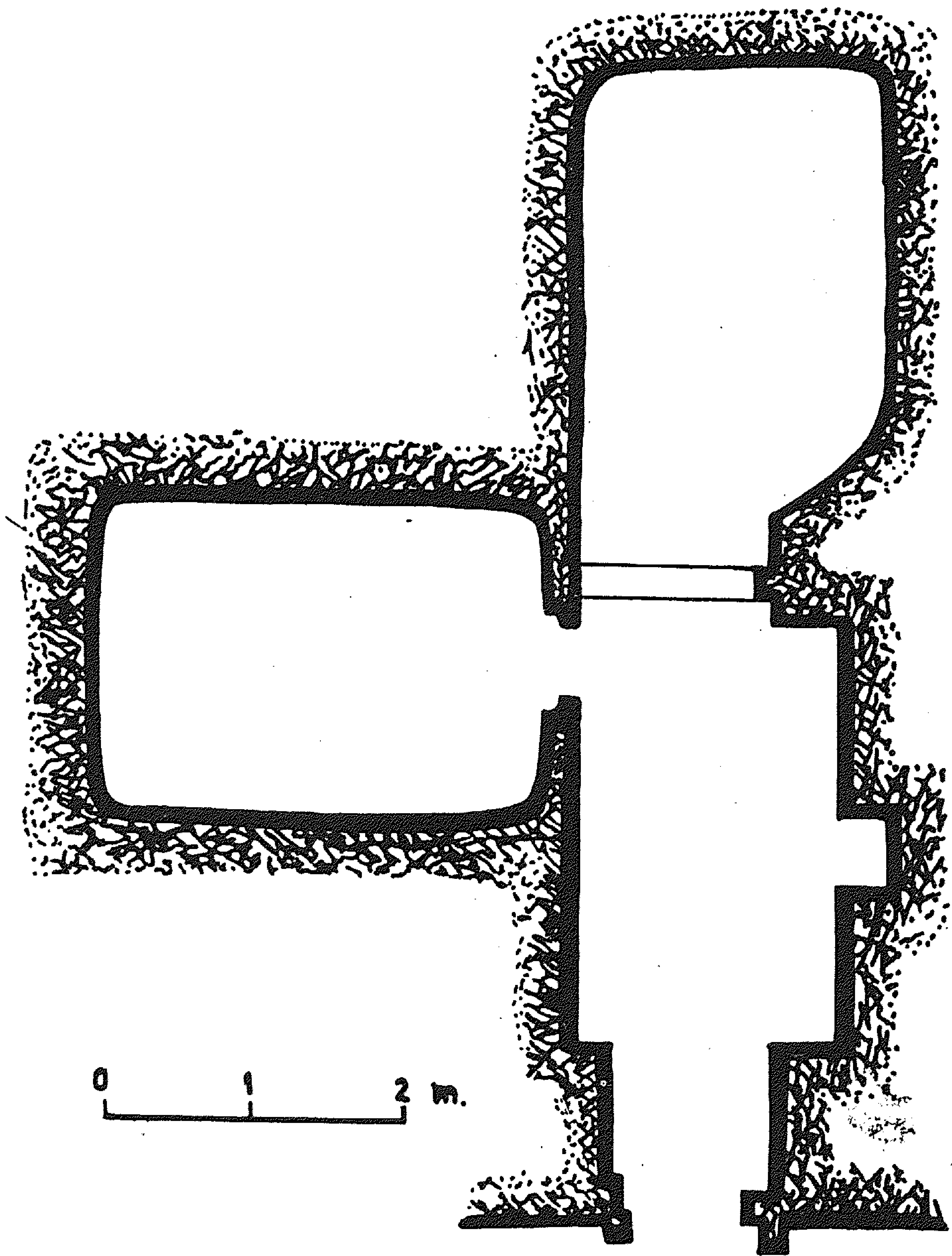
شكل ٦٠ ــ رسم تخطيطى لمقبرة نبربا تحوت .

شكل ٦١ ــ كتابات على واحدة من جدران المقبرة .

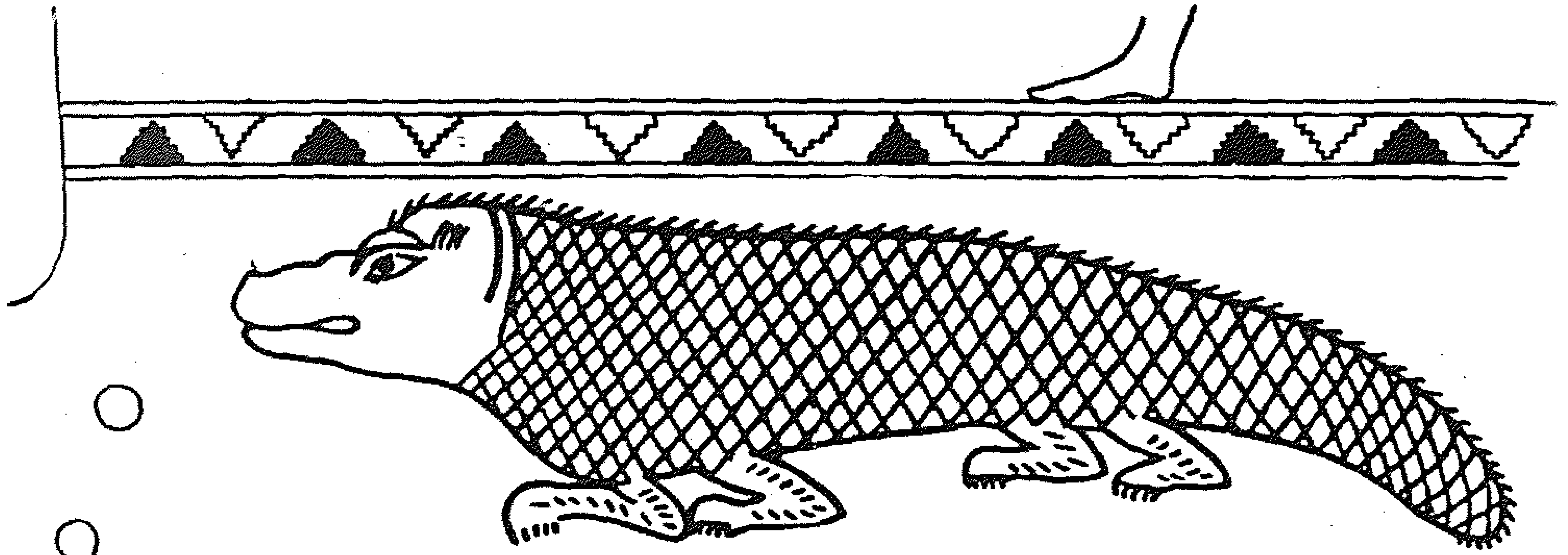




شكل ٦٢ ـــ نبريا تحوت يمسك بحبال الثيران الأربعة .

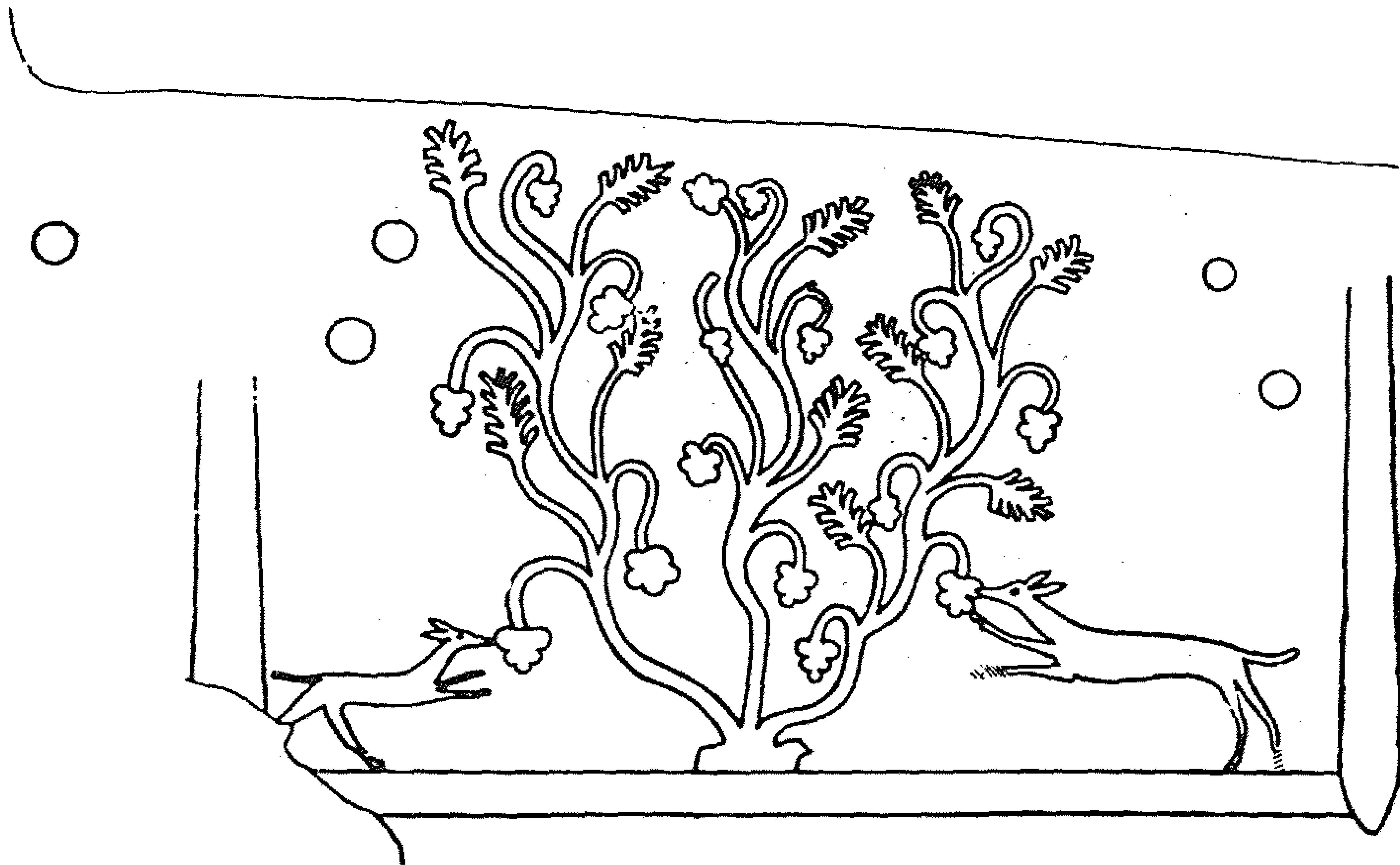


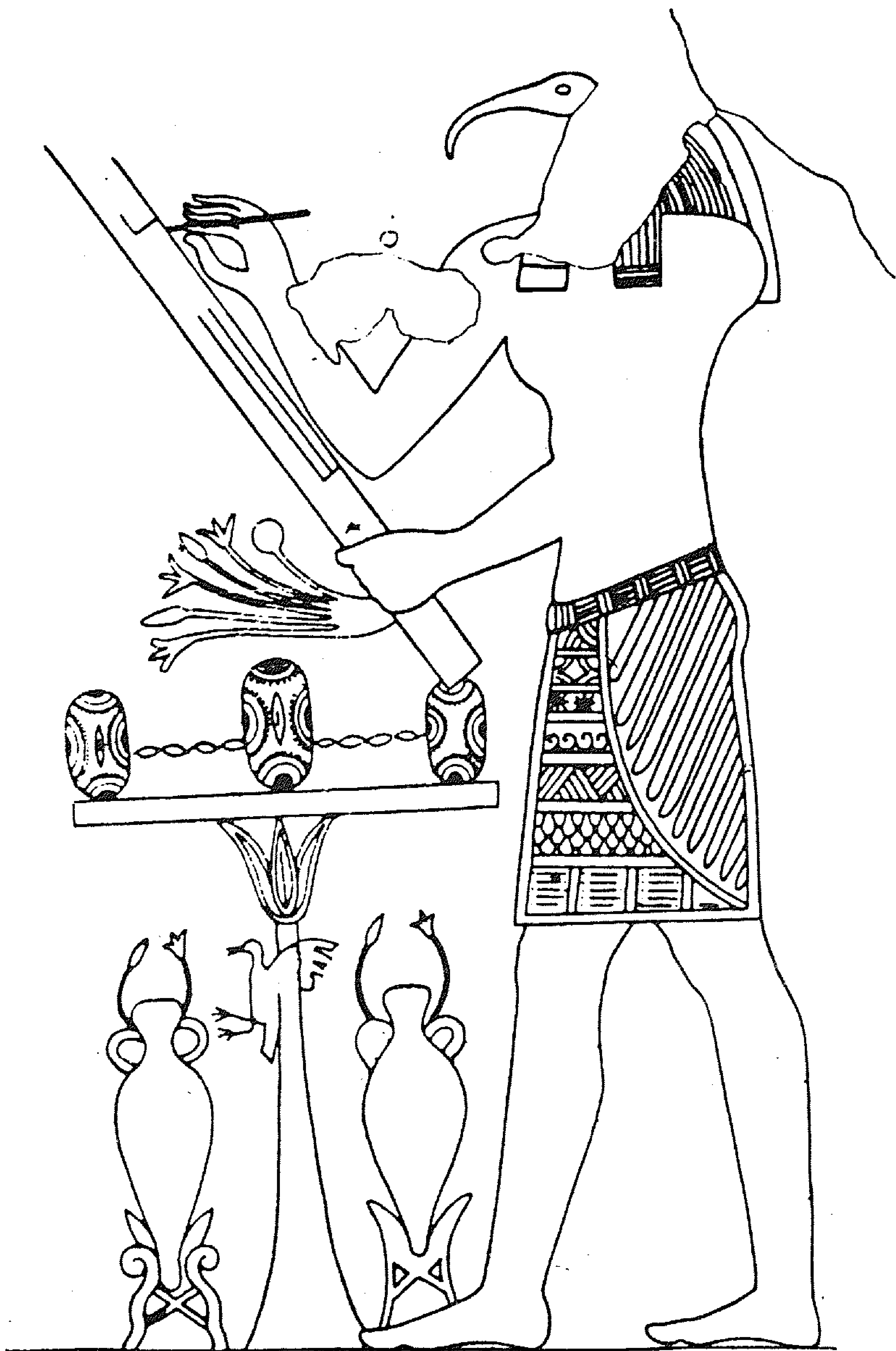
شكل ٦٣ — رسم تخطيطى لمقبرة التمساح .



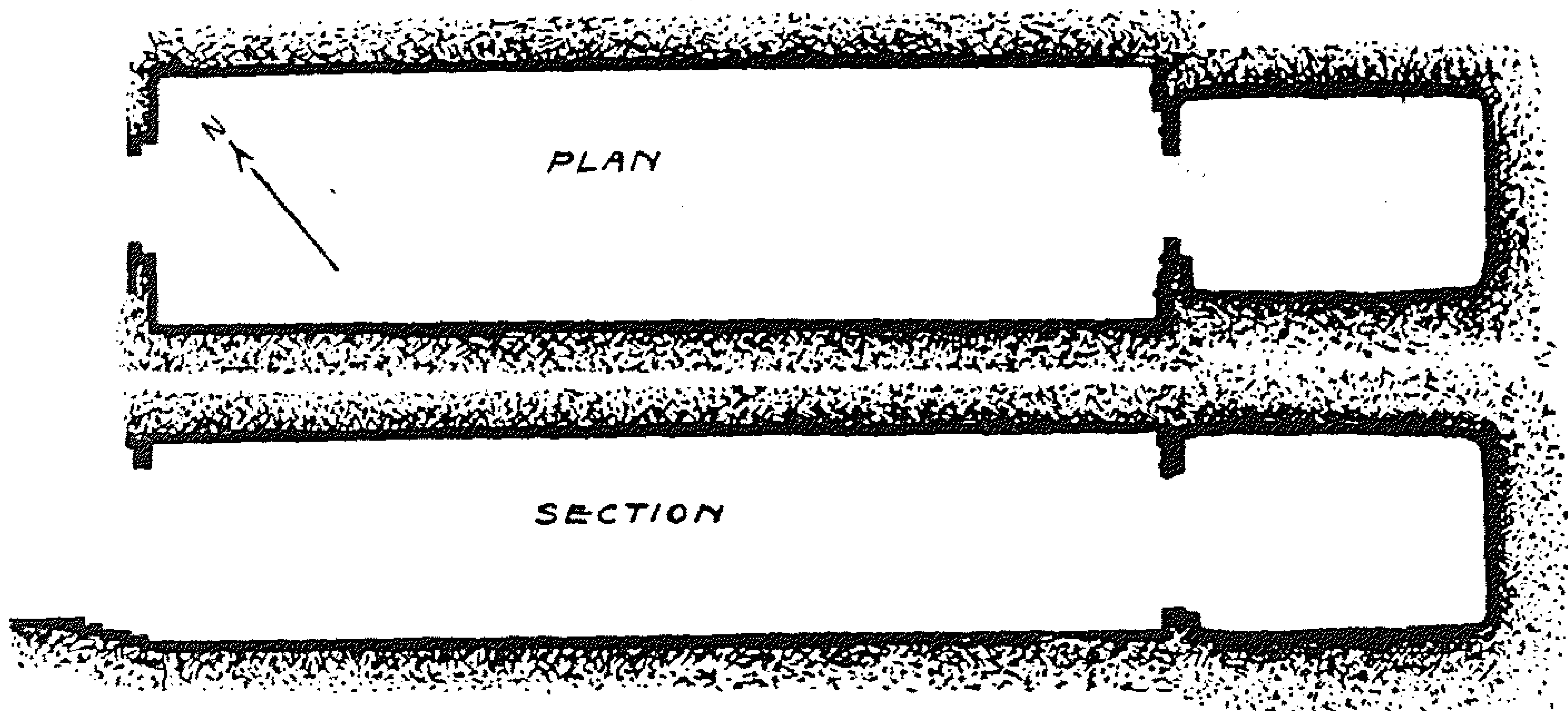
شكل ٦٤ ــ التمساح .

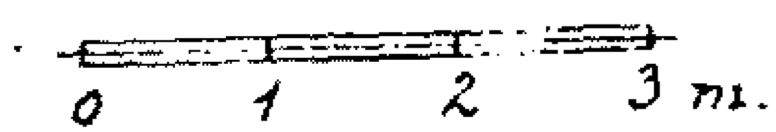
شكل ٦٥ ــ رسم من مقبرة التمساح يبرز التأثير الهللنستى .





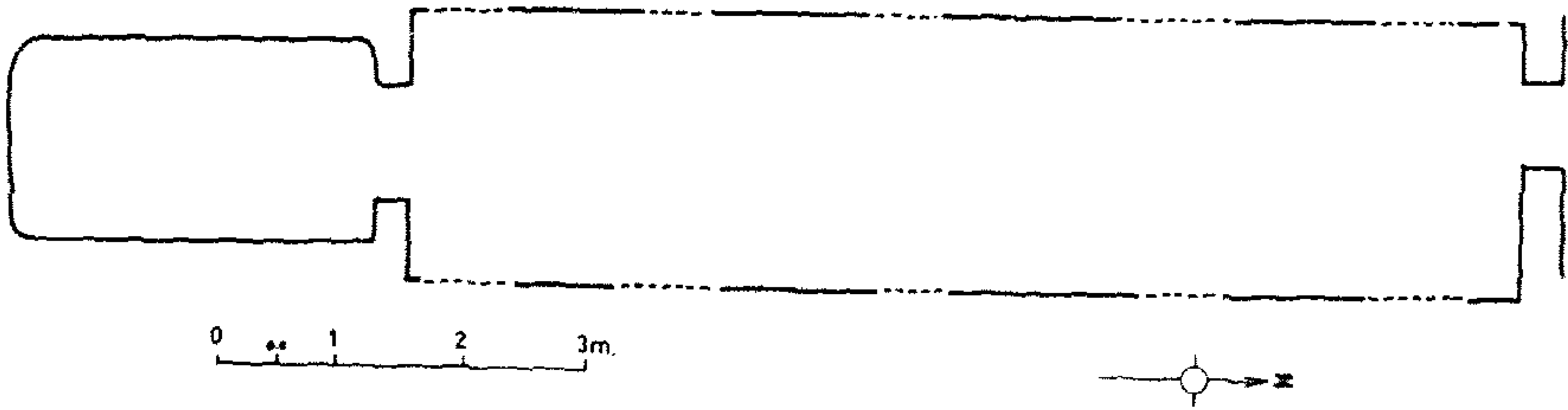
شكل ٦٦ ــ الآله تحوت برأس ابى منجل يكتب على لوحة .





شكل ٦٧ ـــ رسم تخطيطى ومقطع لمقبرة مسو ـــ ايزيس .

شكل ٦٨ ـــ مدخل حجرة الدفن .

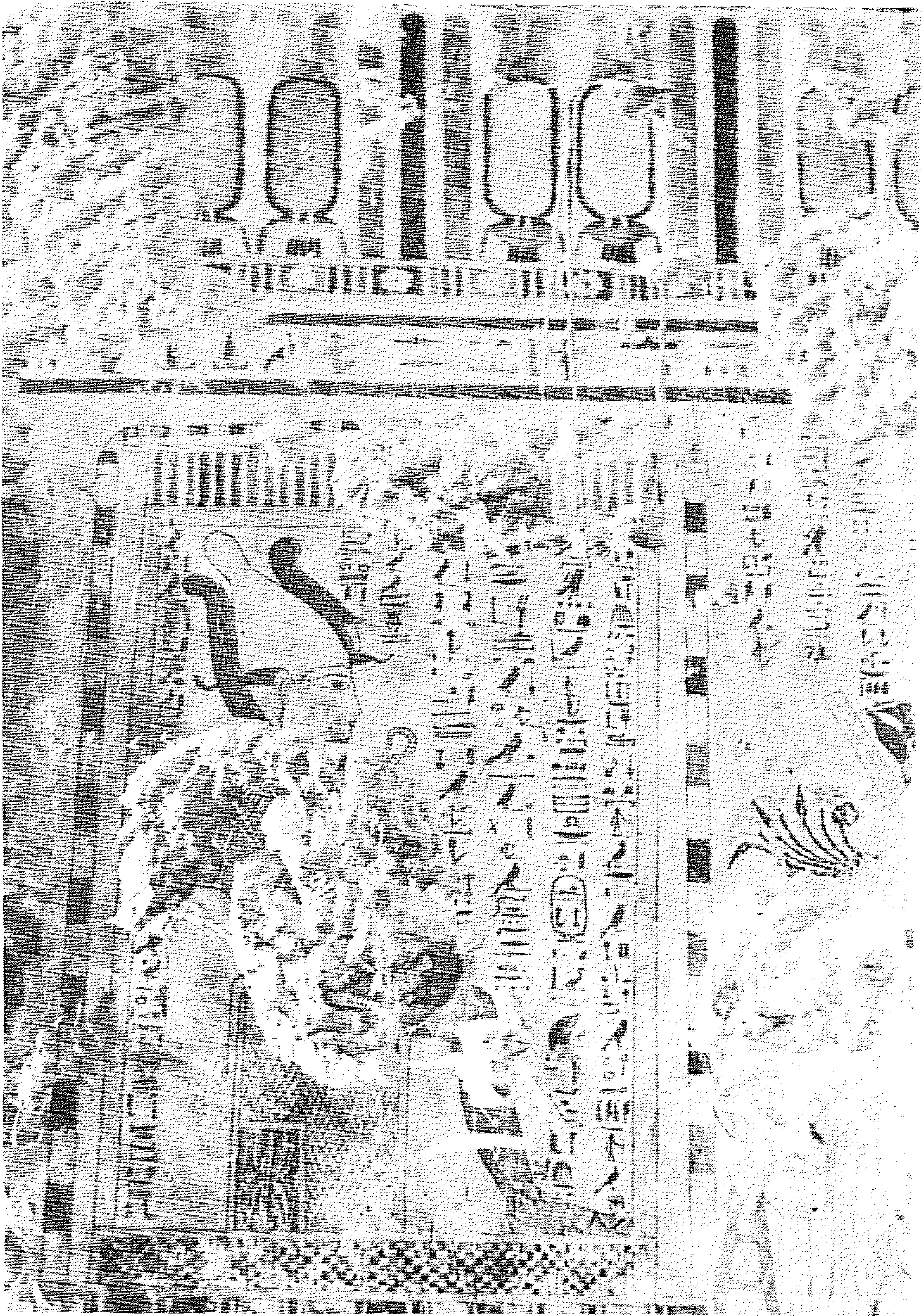


شكل ٦٩ ــ رسم تخطيطي لمقبرة سي ــ أمون .

شكل ٧٠ ــ سي ــ أمون وابنه الأصغر .



شكل ٧١ ـ الالهة نوت واقفة بجانب شجرة جميز .

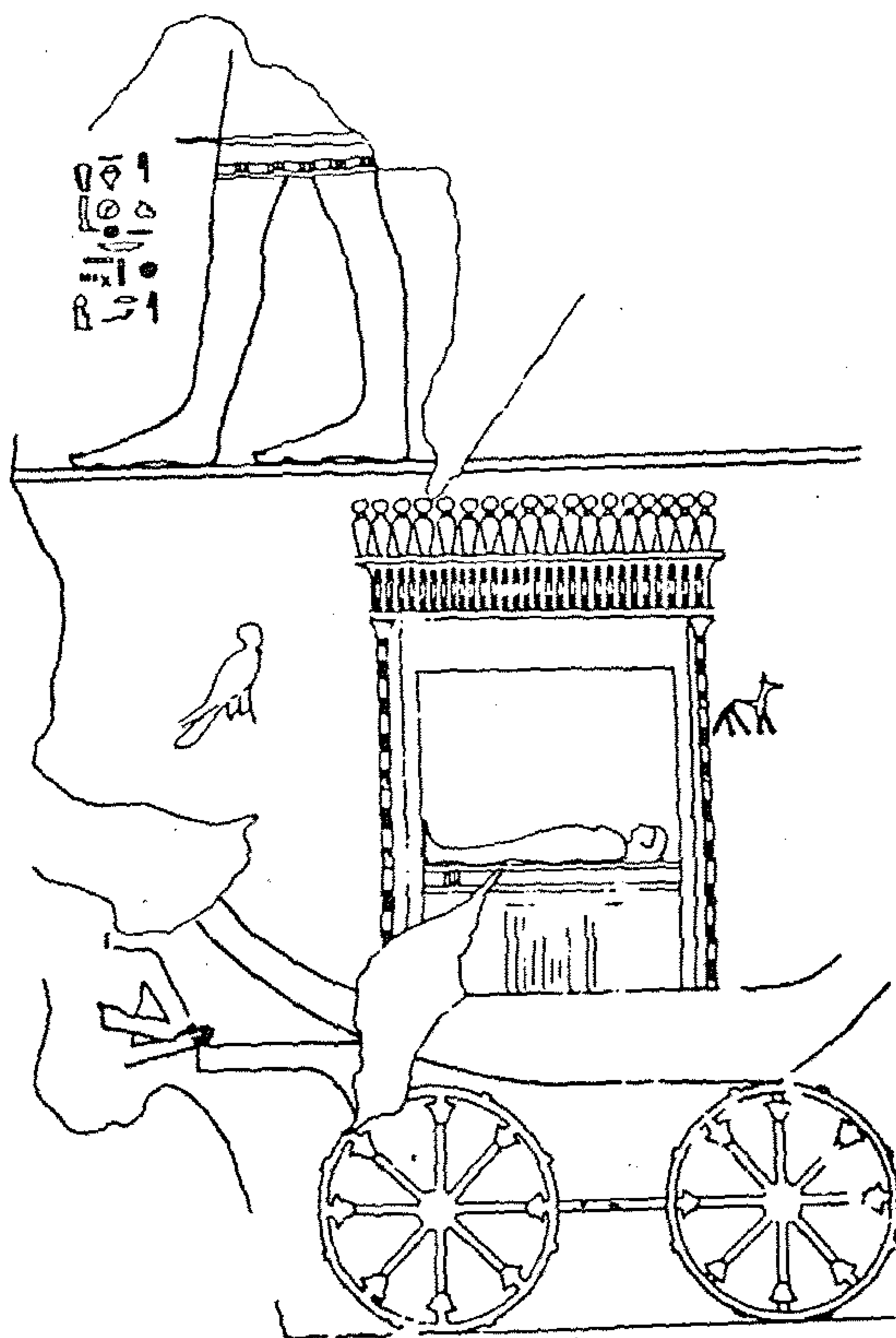


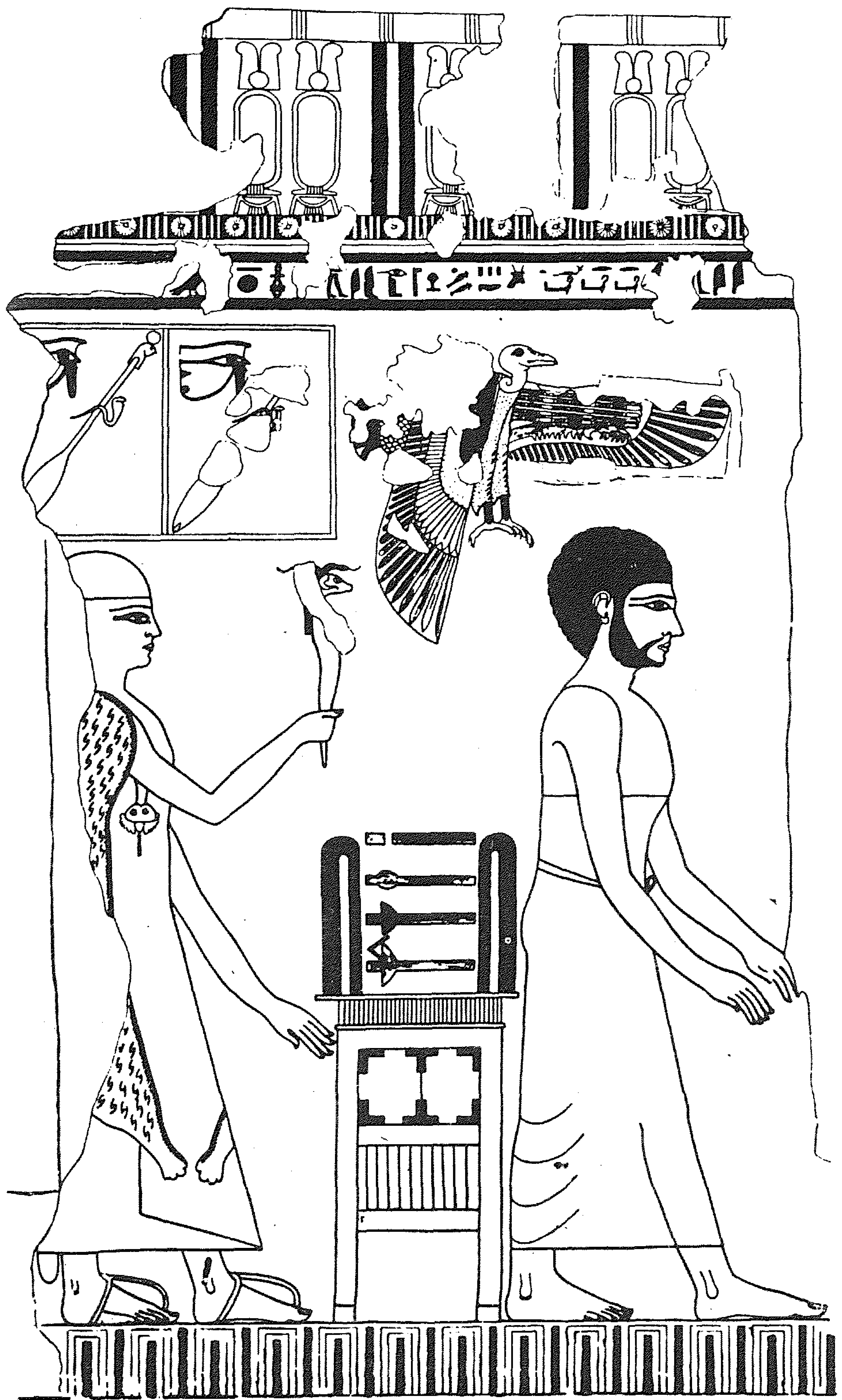
شكل ٧٢ ــ أوزيريس داخل هيكله. كان هذا المنظر كاملا عندما عثر على المقبرة عام ١٩٤٠.



شكل ٧٣ ــ سى ــ أمون وأمامه ابنه وزوجته.

شكل ٧٤ ــ مومياء سى ــ أمون على عربة ذات عجلات.

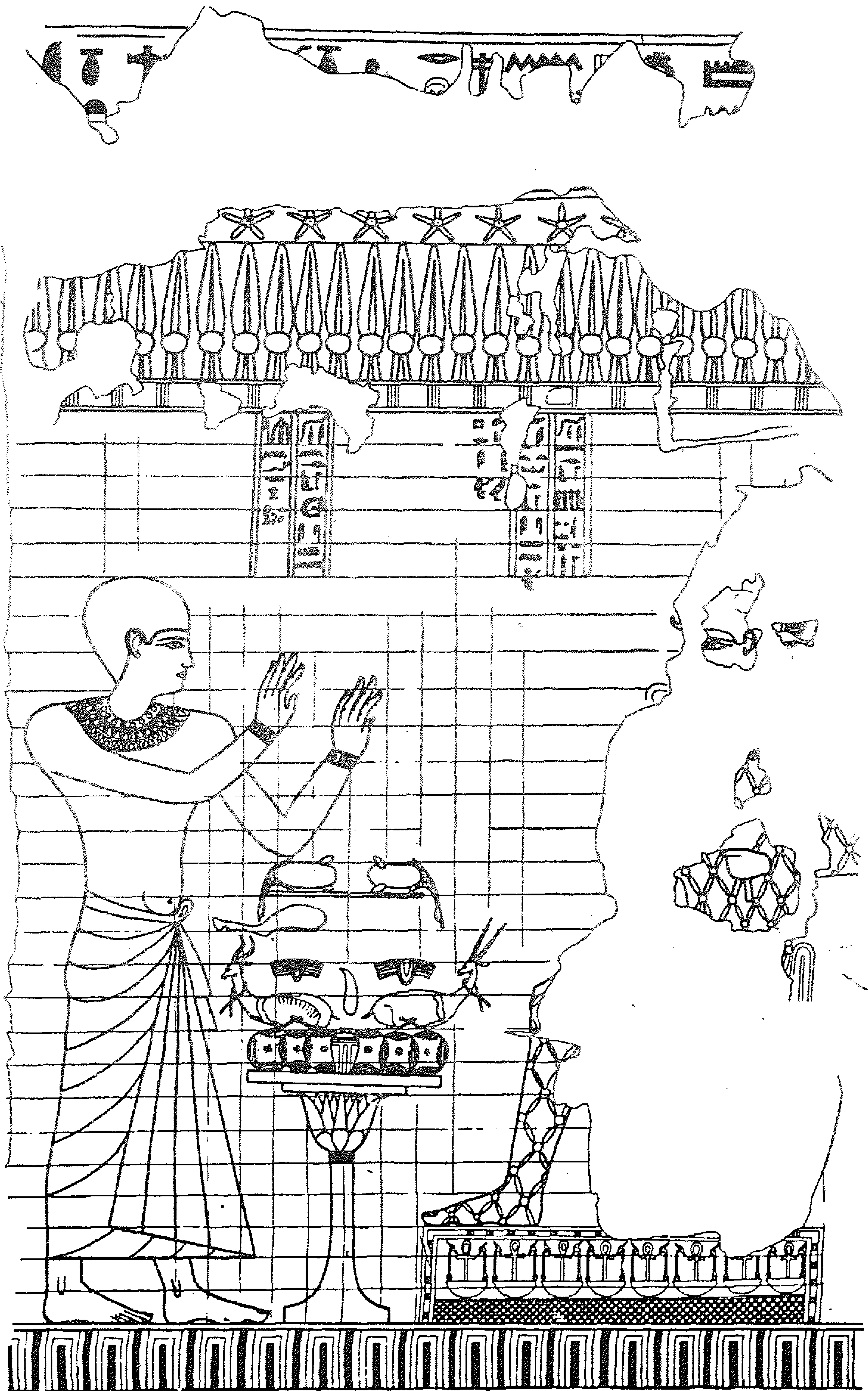




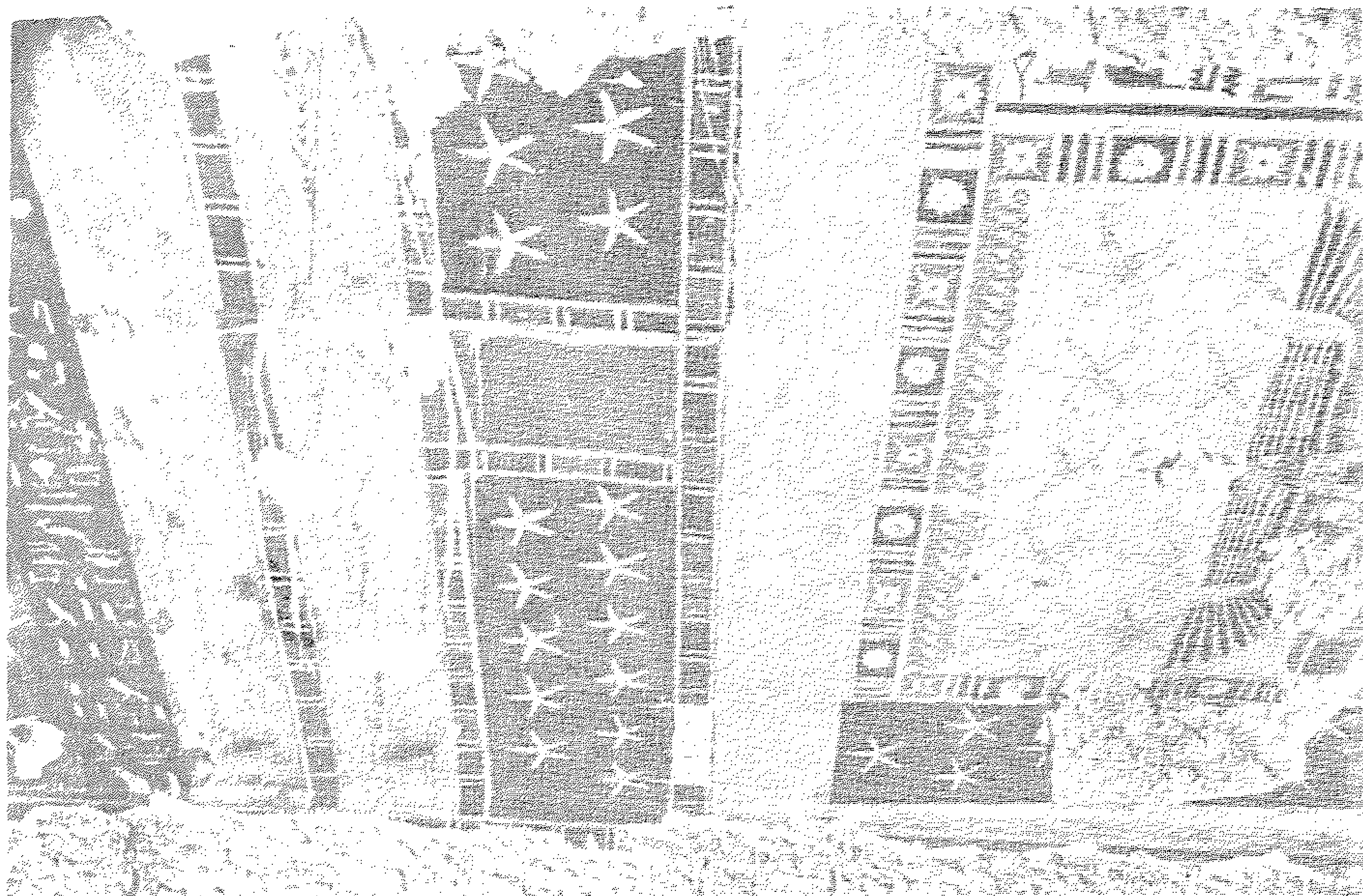
شكل ٧٥ — سى — أمون وابنه الأكبر.



شكل ٧٦ ــ جزء من الجدار الشرقى مصورة عليه الالهة موت حلف أمون رع وخلفها الالهة حاتحور ممسكة بتمثال اله ذى رأس صقر .

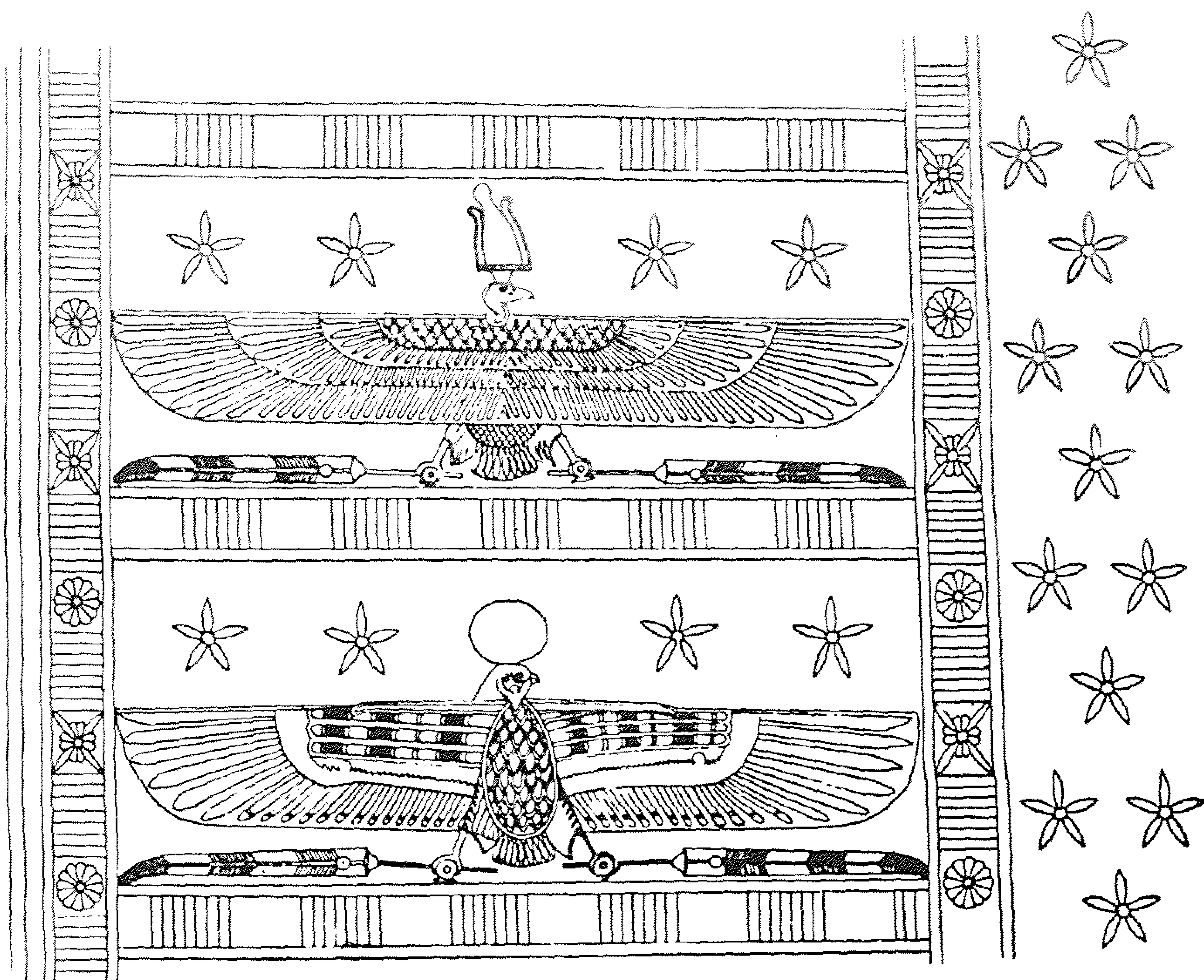


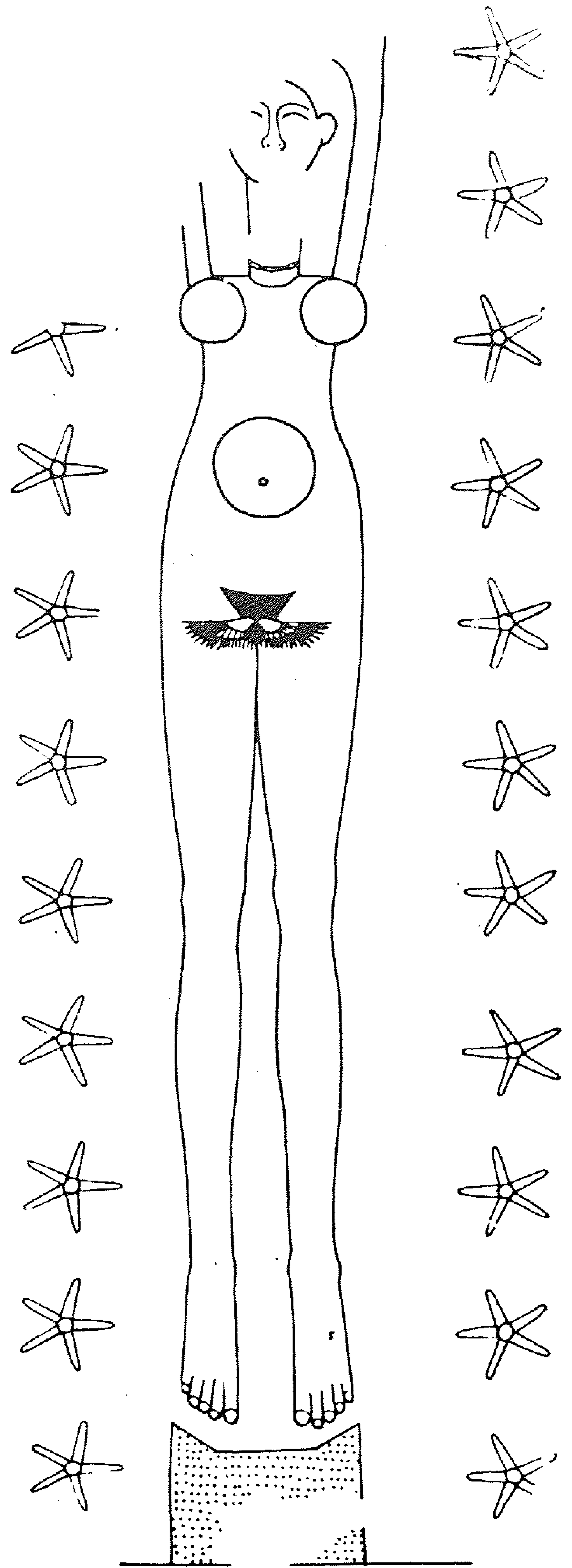
شكل ٧٧ ــ سى ــ أمون يتعبد لأوزيريس .



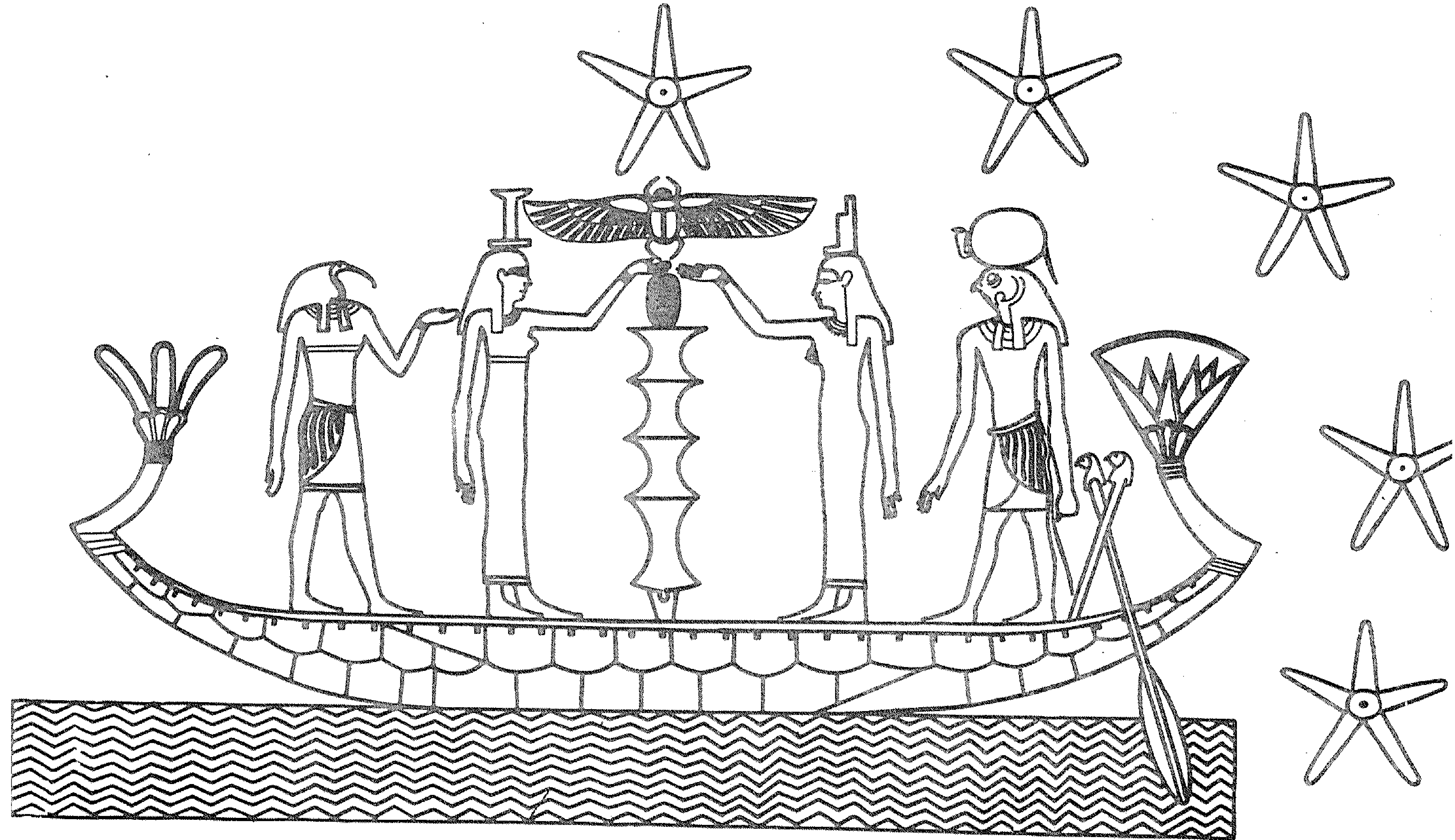
شكل ٧٨ ــ جزء من زخرفة السقف .

شكل ٧٩ ــ عقاب وصقر على السقف .





شكل ٨٠ ـــ نوت ـــ ربة السماء .



شكل ٨١ — أحد القوارب التى يستخدمها اله الشمس فى رحلاته.

محتويات الكتاب

الموضوع		الصفحة

سلسلة الثقافة الأثرية

مشروع المائة كتاب

صدر منها

١ ــ المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية
تأليف : د. أحمد قدرى
ترجمة : مختار السويفى ــ محمد العزب موسى
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٢ ــ تراثنا القومى بين التحدى والاستجابة
منجزات ١٩٨٢ ــ ١٩٨٥
اعداد وصياغة
د. أحمد قدرى
عاطف عبد الحميد
آمال صفوت

٣ ــ الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة
تأليف : د. بهاء الدين ابراهيم محمود
مراجعة : د. محمود ماهر

٤ ــ الايجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية
من القرن ٤هـ / ١٠م الى ١٠هـ / ١٦م
تحقيق ونشر : د. أحمد رمضان أحمد

٥ ــ لمحات فى تاريخ العمارة المصرية
تأليف : د. كمال الدين سامح

٦ ــ الديانة المصرية القديمة

تأليف : ياروسلاف تشرنى

ترجمة : د. أحمد قدرى

مراجعة : د. محمود ماهر

٧ ــ تاريخ فن القتال البحرى فى البحر المتوسط « العصر الوسيط »
(٣٥هـ / ٦٥٥م ــ ٩٧٨هـ / ١٥٧١م)

تأليف : د. أحمد رمضان أحمد

٨ ــ فن الرسم عند قدماء المصريين

تأليف : وليم هـ بيك

ترجمة : مختار السويفى

مراجعة : د. أحمد قدرى

٩ ــ نصوص الشرق الأدنى القديمة

ترجمة : د. عبد الحميد زايد

مراجعة : محمد جمال الدين مختار

١٠ ــ الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة
فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة

تأليف : أبى حامد المقدسى الشافعى

تحقيق : د. آمال العمرى

١١ ــ دراسات فى العمارة والفنون القبطية

تأليف : د. مصطفى عبد الله شيحة

١٢ ــ إيمحتب

تأليف : هارى

ترجمة : محمد العزب موسى

مراجعة : د. محمود ماهر

١٣ ــ الفن المصرى القديم

تأليف : سيريل ألدريد

ترجمة : د. أحمد زهير

مراجعة : د. محمود ماهر

١٤ ــ جبانة البجوات فى الواحة الخارجية

تأليف : د. أحمد فخرى

ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب

مراجعة : د. آمال العمرى

١٥ ــ العمارة المصرية القديمة (جزء أول)

تأليف : د. اسكندر بدوى

ترجمة : د. محمود عبد الرازق ــ صلاح رمضان

مراجعة : د. أحمد قدرى ، د. محمود ماهر

١٦ ــ تاريخ مصر القديمة (الجزء الأول)

تأليف : د. رمضان السيد

١٧ ــ مصر الاسلامية (درع العروبة ورباط الاسلام)

تأليف : د. ابراهيم أحمد العدوى

١٨ ــ صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم

تأليف : د. محمد إبراهيم بكر

١٩ ــ الآثار والزلازل

إجراءات الطوارىء وتقدير الأضرار بعد الزلزال

تأليف : بيير بيشار

ترجمة : د. على غالب

: م. هبة النشوقاتى

مراجعة : أ. د. محمد ابراهيم بكر

٢٠ ــ واحة سيوة

تأليف : د. أحمد فخرى

ترجمة : د. جاب الله على جاب الله

كتب تحت الطبع

١ ــ **المراسم منذ أقدم العصور حتى اليوم**
تأليف : د. ناصر الأنصارى

٢ ــ **الدليل العام لرشيد**
تأليف : عبد الرحمن عبد التواب

٣ ــ **تراث مصر القديمة**
النسخة الأنجليزية اشراف : هاريس
النسخة العربية اشراف : د. محمد ابراهيم بكر
د. محمود ماهر

٤ ــ **المسلات المصرية**
تأليف : لبيب حبشى
ترجمة : د. أحمد عبد الحميد يوسف
مراجعة : د. محمد جمال الدين مختار

٥ ــ **مصر القديمة (دراسة طبوغرافية)**
تأليف : هرمان كيس
ترجمة : د. محمود عبد الرازق
مراجعة : د. جاب الله على جاب الله

٦ ــ **التناسب فى عمارة مدارس العصر المملوكى فى القاهرة**
تأليف : د. على غالب أحمد غالب
مراجعة : د. آمال العمرى

٧ ــ **سجاجيد جورديز فى متحف محمد على بالمنيل**

تأليف : كوثر أبو الفتوح

٨ ــ **نهب آثار النيل**

تأليف : بريان فاجان

ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب ــ محمد غطاس

مراجعة : د. أحمد قدرى

٩ ــ **دراسات فى اللغة المصرية القديمة**

تأليف : أحمد باشا كمال

رقم الايداع ٩٣/٣١٠٩
دولى ٧٧٩ ــ ٥٣٢ ــ ٥٨٠ ــ ٨
هيئة الاثار المصرية

